
القافلة
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين • العدد 4 • مجلد 65 • يوليو / أغسطس 2016
التقرير
مؤشرات البحث العلمي في المملكة
الورشة: تأثير الحوار الهادف في التواصل الفعال
أدب: ماذا بقي من شكسبير بعد 400 سنة على رحيله؟
عين وعدسة: سوق الخضار واللحوم في روتردام
الملف: السِّر

القافلة

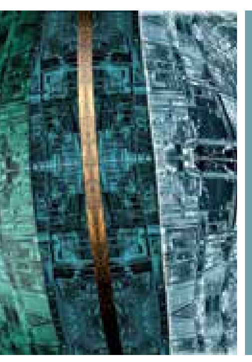
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
العدد 4 • مجلد 65
يوليو / أغسطس 2016

توزع مجاناً للمشتركين
• العنوان: أرامكو السعودية
ص.ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية

• **البريد الإلكتروني:**
alqafilah@aramco.com.sa

• **الموقع الإلكتروني:**
www.qafilah.com

• **الهواتف:**
فريق التحرير: 0175 876 13 966+
الاشتراكات: 0477 876 13 966+
فاكس: 1700 873 13 966+



صورة الغلاف

هذا الغلاف | يشكِّل البحث العلمي واحداً من أبرز العناصر التي تعوّل عليها «رؤية المملكة 2030» الهادفة إلى تحرير الاقتصاد الوطني من الاعتماد على النفط، والتحوُّل إلى الاقتصاد المعرفي. فقد بات من المسلّم به عالمياً أن البحث العلمي هو استثمار مجدٍ وطويل الأمد، وحجر الزاوية في بناء اقتصاد قائم على الابتكار، وأساس لتوليد معارف جديدة ولاستدامة النمو الاقتصادي وتقوية المنافسة العالمية وخلق صناعات جديدة بالكامل.
تصميم الغلاف: فهد القثامي



الناشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)
الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
أمين بن حسن الناصر

نائب الرئيس لشؤون أرامكو السعودية
ناصر بن عبدالرزاق النفيسي

مدير عام دائرة الشؤون العامة
عبدالله بن عيسى العيسى

رئيس التحرير
محمد الدميني

تصميم وتحرير



www.mohtaraf.com

طباعة
شركة مطابع التريكي
www.altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

أدب وفنون

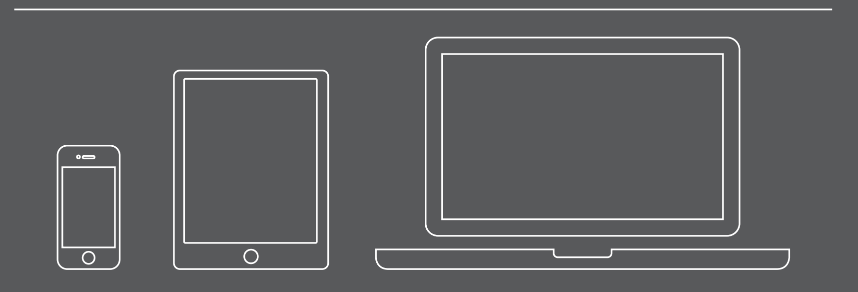
التقرير

الملف

القافلة أونلاين









ورشة عمل | لأن الحوار يلعب دوراً حاسماً في نجاح التواصل، أصبح الحوار الهادف إلى تحقيق غاية معيَّنة يستوجب تحليل عناصره كي يصبح مادةً يمكن تلقينها للمحتاجين إليه، سواء أكان ذلك في قطاع الأعمال أم في غيره من مجالات التواصل. وهذا ما كان محور ورشة العمل التي أدارها المدرِّب المتخصص في هذا المجال، سلمان أمجد في الظهران.



علوم | أسهم الانتشار الواسع لأجهزة الحاسوب الشخصية في إتاحة الفرصة أمام طرح أسئلة محورية عن ماهية البرمجيات، ودورها في صياغة الفكر وتوجيه الحريّات، وكيفية التربّح منها وحقوق احتكارها. وتشكّل رأيان أسهم كلٌّ منهما في رسم تصوراتنا لما يجب عليه أن يكون دور البرمجيات في المجتمع.



عين وعدسة | كانت مدينة روتردام الهولندية توصف بأنها مدينة الأسمنت والحديد الصلب. لكن هذا كله تغيَّر بالكامل مع ظهور مبنى السوق الجديد في وسط المدينة. فبعد افتتاح هذا المبنى مباشرة، صنَّفتها صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية في المرتبة العاشرة ضمن قائمة ضمّت 52 وجهة سياحية.



حياتنا | أصبحت مكّة المكرّمة نقطة التقاء المسلمين من جميع أنحاء العالم، يحجون إليها سنوياً لإقامة ركن الإسلام الخامس. وهناك، يرسم حجاج بيت الله الحرام مشاهد لا مثيل لها، يتجسد فيها الإيمان في أبهى صوره. فتتجمع حشود المؤمنين حول البيت العتيق وتطوف في حركة دائرية واحدة، في مشهد كوني يجسِّد وحدة الرب والكون والإنسانية بما يبدو معه السير في الاتجاه المعاكس خلافاً لحركة الكون.



فرشاة وإزميل | محمد فارع فنان سعودي شاب. شكّل في محترفه في الرياض فضاءً فنياً، فرّغ له الجزء الأكبر من بيت العائلة. وذلك في اعتماده نمط حياة تقوده فعلياً لا مجازياً مفاهيم الفن.. ولدى لقائنا بـ فارع في محترفه هذا، تشكَّلت عندنا صورة عنه، كفنان حريص على استقلاليته. إنه فنان وفي للتراث، ويظنه المشروع الأنسب لمصافحة الآخر، مؤمن بأنَّ لمحترفه الجميل دوراً اجتماعياً فاعلاً في الوسط الفني.



الملف | كل المعارف والمشاعر ومكوّنات وعي الإنسان تنقسم إلى قسمين: قسم متبادل مع محيطه، وقسم يحتفظ به لنفسه أو ضمن دائرة مغلقة. إن السر درع يحمي به الإنسان نفسه أو مصالحه من الآخرين. ولأن «الحماية» من مستلزمات الحياة، ومن شروط البقاء، لا عجب في أن تنطوي هذه الحياة على سلسلة من الأسرار تمتد من أعماق نفس الطفل، وحتى قيادات الدول والمجتمعات.

تحية وبعد

"الرحلة معاً"

من رئيس التحرير

ثقافة الطاقة.. كيف تُبنى؟

أظن أننا لا ندرك قيمة الطاقة في حياتنا إلا عند لحظة فقدانها. فحين ينقطع التيار الكهربائي عن منازلنا، ذات ظهيرة صيفية، فإن أول شعور يداهمنا هو قصور المنشآت الكهربائية عن تغذية مدننا بالطاقة، لكننا نادراً ما نعترف أننا ضالعون في هدر تلك الطاقة التي لا تقدَّر بثمن. فنحن نبني البيوت لنكتشف لاحقاً أن نصفها وأحياناً ربعها يكفينا. ونهدر طاقة المكيفات وأنواع الإضاءة من دون حساب. ونُراكِم الأجهزة الكهربائية في غرفنا ومطابخنا بما يفيض عن حاجتنا. وقد عشنا عقوداً دون أن نعترف أن الاستهلاك المفرط قد وصم حياتنا، وأن الإسراف المنهي عنه قد طبع هويتنا.
لكننا اليوم نصحو على متغيّر استراتيجي، فعبارة «كفاءة الطاقة» أو «ترشيد الاستهلاك» أصبحت مطلباً يتوجب علينا فهمه وإدراك أبعاده، وهي لم تعد عبارات تتطاير للاستهلاك بل هي حاجة تتداولها الدول، فقيرها وغنيّها، وتعقد حولها المؤتمرات، وتدور حولها المبادرات الحكومية والفردية. ولعل أضخم ما حدث في هذا السياق مؤتمر باريس للتغير المناخي، الذي توافقت فيه دول العالم على مواجهة المخاطر الكامنة التي تتربص بهذا الكوكب المسكين بما فيها الاستهلاك المتسارع لخيرات الأرض.
«الشراهة الاستهلاكية» إذاً يمكن أن تكون عنوان علاقة المواطن الخليجي بمصادر طاقته الشّحيحة منذ قرابة نصف قرن. وإذا كان العالم المتقدِّم متهماً بغلبة الاستهلاك، فإن الفرق بيننا وبين ذلك العالم هو في امتلاكه مصادر اقتصادية متنوعة، أما دول الخليج فإن اقتصاداتها مرهونة إلى حدٍّ كبير بذهب الأرض من النفط والغاز وما يلحق بهما من مجمّعات بتروكيميائية، وهو ذهب معرّض لمتغيرات السوق العالمية، وحجم الاستهلاك، وبدائل الطاقة. واستطراداً، فإن هذه الشراهة المفرطة التي يمكن أن تتناسب مع مزاج الدول الغنية، قد لا تنسجم معنا نحن الدول التي لم تستكمل بُناها التحتية ولا صناعة مواردها البشرية المنافسة، وهذا ما يجعل الاستهلاك خطراً كامناً يهدِّد مكتسبات بلادنا ويعرِّض أجيالها القادمة لمستقبل قلق وغير آمن.
فقد بلغ الإسراف في حياتنا حدّه الأقصى. وأفرطنا في استهلاك كل شيء، الماء والوقود والكهرباء، مروراً بالمساكن والمركبات والملابس والأجهزة الكهربائية والهواتف الذكية وما لا يعد من الأسباب الاستهلاكية.
واليوم، نحن مطالَبون بالتوقف عن كل ذلك، وباعتماد ثقافة الترشيد وكفاءة الطاقة في منازلنا ومدارسنا ومواقع عملنا وموسساتنا الحكومية والخاصة، واعتبار هذه السياسة رهاناً مستقبلياً يتطلب من الجميع تحقيقه وجعله ثقافة جديدة.
ولأوجز هنا بعض الحقائق المعلنة والمؤلمة: فالاستهلاك المحلي للطاقة يشكِّل ما نسبته 38% من إنتاج المملكة من النفط والغاز، ويتوقع أن يتضاعف هذا الرقم بحلول 2030م، وهناك ثلاثة قطاعات تستحوذ على أكثر من 90% من الطاقة لدينا، هي: المباني والنقل والصناعة، كما أن ما نسبته 80% من الطاقة الكهربائية يذهب إلى قطاع المباني، وفي مقدور المملكة توفير قرابة 24 مليار دولار سنوياً من خلال برامج ترشيد الطاقة، وإدخال البدائل المتجددة والنظيفة لتوليد الطاقة.
ثمة إذاً ناقوس خطر ينذر بأن ما ننتجه من مواد هيدروكربونية بعد قرابة العقدين قد يستهلك أكثره محلياً، ولا يبقى منه سوى القليل الذي يمكننا تصديره، وهو ما حفَّز الجهات المسؤولة على التوجه بحثاً عن مصادر طاقة جديدة، وترشيد ما نستهلكه بشكل فعلي.
في 2012م ولد المركز السعودي لكفاءة استهلاك الطاقة بتضامن حقيقي مع الشركات والمؤسسات الكبرى في المملكة. وطموح المركز كبير، فقد وضع معايير جديدة للمواطنين ليبنوا مساكنهم أو أبراجهم وفق شروط جديدة، ويختاروا الأجهزة والمركبات والإطارات الأكثر فاعلية وترشيداً. والمركز يعد بحملات وبرامج تقلص استهلاك ثروتنا.
لكن بناء وعي جديد لدى المواطنين تجاه ترشيد استهلاك الطاقة هو أصعب المهمات، ولن ينجزها المركز وحده. فعلى الأفراد والمؤسسات وقنوات الإعلام والتواصل أن تتضامن لتغيير النسق الاجتماعي العام، وحفظ بعض هذه الثروة لأجيالنا القادمة رأفة بهم من السنين العجاف.

وردتنا من الأخ **يوسف العوهلي** رسالة يعقِّب فيها على موضوع الرحلة معاً في العدد الأخير من القافلة، وأعرب عن اعتقاده بأنه من المهم طرح السؤال: ماذا نقرأ؟ وماذا يقرأ الغرب؟

وتساءل: هل تصنَّف الروايات، وكتب الحِرَف، مثل الطبخ، أو بما يسمى «اصنعه بنفسك» تحت تصنيف القراءة ذات المضمون المفيد؟ فإذا كان الجواب بنعم، فهل تعتقدون أن هذا النوع من الكتب هي التي ترفع من الثقافة الأدبية والعلمية من القارئ؟ وإذا كان الجواب بنعم، فأعتقد أن هذه هي المشكلة الرئيسة لمن يخوض في هذا الموضوع، حيث إنني عجزت أن أجد أي شخص مقتنع بأن قراءة الروايات الجوفاء هي ما يرفع المستوى الثقافي للقارئ.

أما إذا كان الجواب بالنفي، فأعتقد أن أزمة القراءة هي أزمة عالمية وليست فقط عربية. وأبسط دليل على هذا هو أنك إذا ذهبت إلى أي من المكتبات العالمية العريقة، تجد أن الأغلبية العظمى من الأرفف هي من نصيب كتب الروايات الخيالية وغير الخيالية، وكتب الطبخ، وكتب «اصنعه بنفسك».. هذا ما يشتريه القارئ الغربي، وبطبيعة الحال المكتبات التجارية تستجيب لما يريده الزبون.





إذاً، كلنا في الهوى سواء.. لا فرق بين القارئ الغربي والعربي إلا لون الجلد، وعقدة الغربي الأبيض المعظّم..

من جهة أخرى، أعرب الأخ العوهلي عن إعجابه بالتقرير «الغرب الرأسمالي يتعلّم الزهد».. في عدد المجلة الأخير. ووصف تحريره بأنه في غاية الاحترافية الصحفية من جميع النواحي، المضمون، وتفاصيل المصادر.. إلخ.. كما شكر المترجم على العمل الجميل، واقترح اعتماد كلمة «تعريب» بدلاً من «ترجمة».

ومن جدة، كتب الأخ **مأمون أحمد محيي الدين** يقول: لم أرَ قطعاً ابني أحمد، الطالب الجامعي ذا العشرين عاماً، يقرأ كتاباً أو مجلة ورقية باستثناء مجلة واحدة هي القافلة.

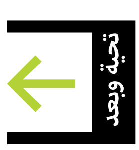
وأضاف إن ابنه يقول إنه يقرأ من الهاتف ولا يحب الكتب الورقيَّة، وليس عنده الوقت ولا المكان لها. ولكن القافلة هي المطبوعة الوحيدة التي يقرأها قبل النوم. ولما سألته مستغرباً لماذا؟ أجاب: أقرأها لأنها فريدة في موضوعاتها وغنية بموادها، وقراءتها كاملة ممتعة أكثر. ولعل القصة مع تناقص أعداد القافلة في مكتبتي لم تنته مع ابني أحمد، فهي تتناقص كلما زارني أصدقائي أو أقاربي، أجدهم يتطلعون إلى مكتبتي، يمرون سريعاً على عناوينها، ثم يلتقطون شيئاً منها ويتصفحونه سريعاً، وفجأة يباغتني السؤال: «ممكن آخذ دي؟». وغالباً ما تكون «دي» أحد أعداد القافلة.

وتلقينا من الأخ **عمر الجهني** رسالة يشكر فيها القافلة على ما سمَّاه «هذه المادة الرصينة التي صاحبتنا سنوات طويلة» مقترحاً «توزيع المجلة مقابل رسم نقدي وتوفيرها في المكتبات ومنافذ البيع.. لأننا وبصدق، في حاجة ماسة لمثل ما تقدِّمونه من معلومات مفيدة في هذا الزحام المعلوماتي».

وللأخ عمر نقول إن القافلة تصدر عن أرامكو السعودية في إطار تقديماتها الاجتماعية. ويكفي للحصول عليها التقدم بطلب اشتراك فيها. كما أن غالبية القرَّاء يفضِّلون وصولها إليهم مجاناً وبالبريد على شرائها. ولكن فكرتك تبقى قابلة للبحث.

ومن الرياض، أعربت الأخت **أسرار منذر السليمان** عن إعجابها الخاص بصفحتي الأخبار العلمية، واقترحت توسعة هذه الزاوية لتصبح من أربع أو ست صفحات. ونحن بدورنا سنحيل اقتراحها إلى فريق التحرير لدراسته واتخاذ القرار الملائم.





نهر عظيم في الصحراء؟

يَتداولُ البعض أنَّ نهراً عظيماً كان يجري في الربع الخالي في غرب الصحراء!، فهل يمكن أن يكون الأمر صحيحاً؟
تُعد منطقة الربع الخالي واحدة من أكثر المناطق حرارةً وجفافاً في العالم، وبالتالي، فإن لا أحد سيلوم من لم يصدِّق هذه الرواية. ولكن خرائط شبه الجزيرة العربية تُظهر نهرين كبيرين يجريان في صحراء الربع الخالي، يجري أحدهما شمالاً نحو الخليج العربي والآخر يجري جنوباً نحو البحر الأحمر. ومع أنَّ هذه الخريطة رُسمت في القرن الخامس عشر، حين كان من المؤكد عدم وجود مثل هذين النهرين في هذا القرن، إلا أنَّ رَسْمَها استند إلى وصف بطليموس للعالَم حوالي العام 150 ميلادي، أي إنَّ الوصفَ يَعكسُ حالَ شبه الجزيرة العربية قبل حوالي 2000 عام.
والدليل الآخر هو أنَّ المُستكشفين، وجدوا في عمق الصحراء عدداً من المواقعِ لبحيراتٍ جافةٍ يَعودُ تاريخها إلى ما بين 7000 و13000 سنة مضت. وكذلك وجدوا بالقرب من هذه المواقع عظامَ غزلان وماعز بري وماشية أخرى بقرون طويلة، وجميعها حيوانات لم يشاهدها أحد في الصحراء خلال الذاكرة المُعاشة. وهذا يؤكد أن الصحراء الجافة حالياً كانت قبل آلاف السنين مُبتَلّة بشكل كبير وفيها مياه وفيها حيوانات غير صحراوية!
وربما ما هو أكثر إقناعاً لنا، هو ذلك الأثر الخفيف جداً لبقايا نهر أظهرته صور أقمار صناعية لهذه المنطقة. ووجود سبخة مطي التي هي منبسط ملحي يمتد لمئات الكيلومترات في غرب صحراء شبه جزيرة العرب يمكن أن يُعد من الدلائل المهمة الأخرى. والسبخة رخوة جداً ولا يمكن المشي عليها لأنها مغطاة بقشرة ملحية، ولو حاول الإنسان أو الحيوان المشي عليها لغاصوا تحت رمالها، إلا أنه توجد بعض المسالك والدروب البدائية التي يعرف أبناء المنطقة أسرارها فيمرون منها بسهولة وسلام. ويُظن أن السبخة كانت قديماً منطقة مبلولة وفيها مياه بسبب مرور نهر فيها.


صورة مُقرَّبة لمنطقة النهر العظيم في سبخة مطي وتظهره كخليط بني طري من الملح والرمل، مختلف تماماً عن رمال الصحراء

وتدعم دراسات معاهد الطقس الآراء أعلاه، فهي تُخبرنا أن طقس شبه الجزيرة العربية من النوع الذي يتأرجح تناوباً بين فترات مبلولة وفترات جافة، وهو الآن في طور جفاف، بينما كان قبل 5000 عام أكثر اعتدالاً من الآن، وشبيهاً بطقس شرق إفريقيا حالياً. وفيه كمية أمطار تكفي لديمومةِ وجودِ بحيراتٍ ولنمو عُشْبٍ يكفي لدعم وجود حياة برية لحيوانات يلاحقها الناس لاصطيادها.

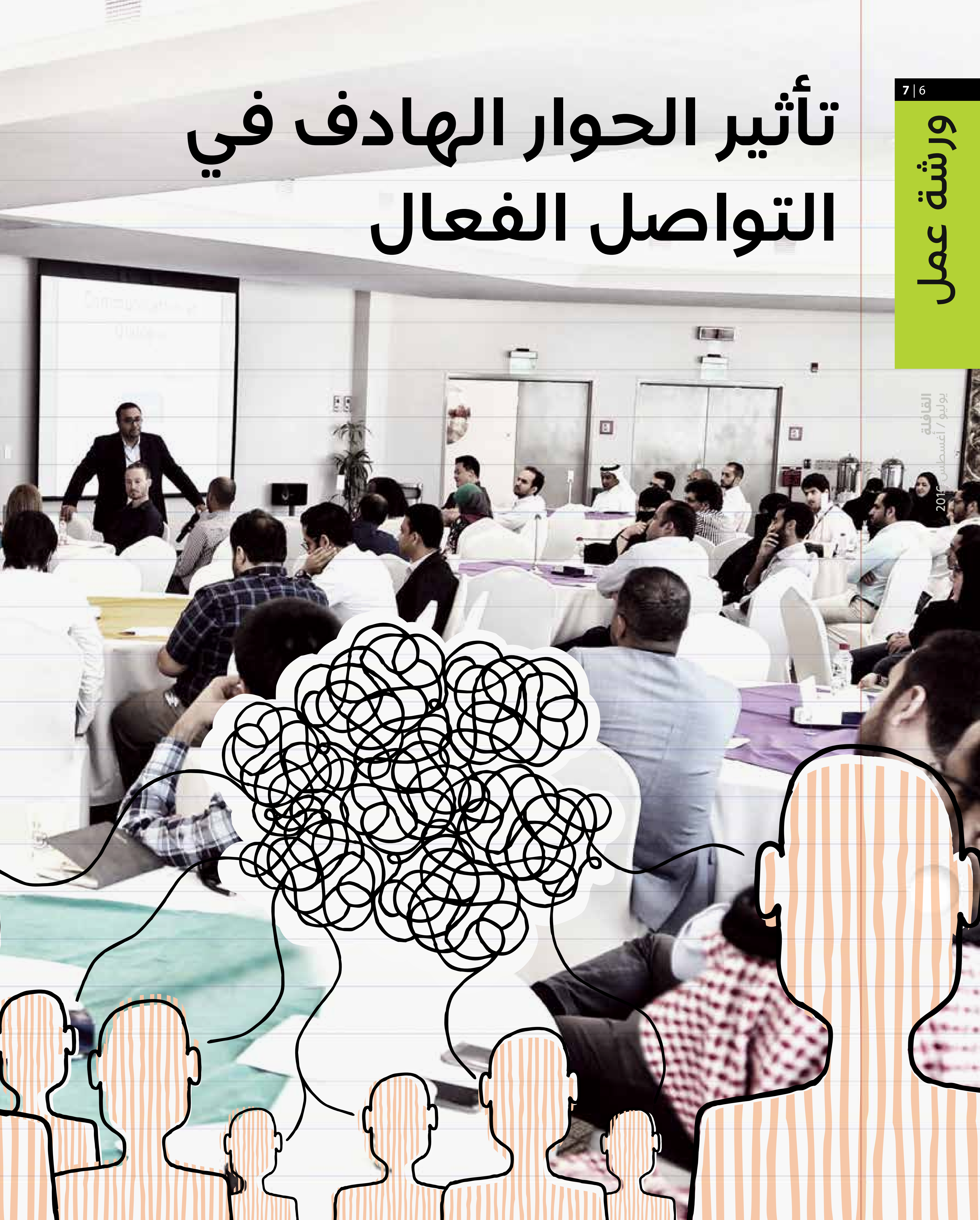
الدكتورة ليلى صالح العلي
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

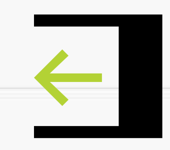
أهميّة التنظير

أصبح التنظير السمة السلبيّة التي ننعت بها من يعود بأصل المسألة إلى أساسها النظري أو وضعها الافتراضي. فيتدرّج من مستواها إلى مراحل الأحداث بغرض القياس عليها في سبيل استنتاج ما كان صائباً وما كان خاطئاً، وما كان يجب عمله وما يجب تفاديه. ننتقد نحن هذه النوعيّة من الأشخاص لأنهم لا يطبّقون شيئاً على أرض الواقع، أو هذا ما نحسبه. لا أزعم أنّني أعلم من غيري، إلّا أنني مؤمنٌ بأهميّة التنظير في كل مسألة. لأنها كما أعتقد المرحلة الأولى والأساس المتأصّل في الحل. يعقب التنظير التخطيط لآليّة الحل، وما يمكن عمله أو لا، وما يمكن تفاديه أو لا حسبما نُظِّر له. ويعقب ذلك مرحلة التطبيق التي مع الأسف لا نؤمن بما قبلها. أكثر أنواع التنظير ظلماً هو التنظير الاجتماعي أو العلني. فالمفكّر هنا يضع فكرته للعلن ليشاركه غيره مسألة تقليبها عوضاً عن حبسها في عقلٍ واحد في سبيل تحقيق الحل المرجو. وكل ما سيلقاه هو اللوم والانتقاد. بل الأعظم أن هذا يكون من قِبل مَنْ يُنظّر لأجلهم! ولعل ما أقوله الآن ليس إلّا تنظيراً خالصاً، أرى فيه أهميّة التنظير، وفي حال شارك المنظّرون أفكارهم، لا يجب على القرَّاء محاربتهم.

إياد سليمان السليمان
الظهران

تأثير الحوار الهادف في التواصل الفعال





في هذا الوقت الذي يزداد فيه عالم الأعمال توسعاً وتأثيراً ظهر قادة الأعمال اليوم متسمين بأربعة سلوكيات ذات تأثير فعّال، تميّزهم وتجعلهم قدوة يحتذى بها. وبدأ الموظفون وأفراد المجتمع تأسي هذه السلوكيات، سعياً منهم إلى تغيير نمط حياتهم ووظائفهم، والوصول إلى أهدافهم بأقصر الطرق وأكثرها فاعليّة بالإضافة إلى زيادة تأثيرهم الإيجابي في مجال أعمالهم أو في محيط علاقاتهم الاجتماعية. وتتلخص هذه السلوكيات الأربعة في كل من: سلوك الحوار الهادف، والتمكين، والتعاون، واتخاذ القرار. في هذه الورشة التدريبية يرصد لنا بندر الحربي طريقة تعامل وتفاعل الناس مع سلوك الحوار الهادف.

شكّل سلوك «الحوار الهادف» نقطة التفاعل بين المشاركين في ورشة العمل التي ضمّت زهاء مئة وثلاثين مشاركاً، وأدارها المدرِّب الدولي سلمان أمجد، من تورونتو، كندا، المتحدث بست لغات، والحاصل على درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي من جامعة برمنغهام والمتخصص في مجال وسائل التواصل واكتساب اللغات وتعليمها.

ما أراد المدرِّب أمجد إيصاله، وهو يعبر جَيئةً وذَهاباً أمام مجموعات المشاركين في الورشة، هو أن هذه السلوكيات الأربعة تُمثل عاملاً مهماً في تهيئة بيئة النجاح للأفراد والمنظمات، وأن سلوك الحوار الهادف يكوِّن بيئةً تقود إلى النجاح الشخصي والمهني، إلّا أن لسياق الحوار وتأثيرات مواقف الحوار المختلفة، بالإضافة إلى خصائص اللغة، أثراً في إحداث أو إعاقة الفهم بين المتحاورين.

بدأ العرض بقوله إننا نعرف اللغة ولكن قد ينتابنا الشك من مضمونها الفعلي. قد لا ندرك ما يُسمى «حسّ الفكاهة» و«الأهداف الضمنية»، وفهم مضامين اللغة بناءً على المحتوى والسياق، والعوامل المهمة التي ترفع مستوى الحوار محدَّد الهدف إلى مستوى أعلى من الحوار، يسمى التواصل الفعّال. وهو ذلك المستوى من التواصل الذي يقود إلى نتائج إيجابية للأفراد والمنظمة. ومن هذه النتائج: 1 - توضيح أهداف الأفراد وأدوارهم بشكل أكثر وضوحاً، 2 - نقل المعرفة فيما بينهم، 3 - زيادة الإنتاجية والفاعلية الشخصية والجماعية، 4 - تعزيز التوافق والانسجام بين الأفراد وتحسين التنسيق بينهم، 5 - زيادة الدافعية الشخصية والجماعية، 6 - صقل المهارات واكتساب الخبرات، 7 - تأسيس علاقة قوية بين الرئيس والمرؤوس في بيئة العمل تُعطي الرئيس قدرة لتقييم مشاركة كل فرد من أفراد فريق العمل في تحقيق أهداف المنظمة التي يعمل بها. كما أن الوصول إلى هذا المستوى من التواصل، يتطلب وجود ثقة بين طرفي الحوار، وفهم الحوار فهماً جيداً، إذ ليس «ما يُقال» دائماً هو «ما يُفهم معناه» تماماً، وبالتالي من المهم أن يكون الحوار واضحاً وبعيداً عن أي غموض.

الأفكار التي سعت ورشة العمل إلى إيصالها إلى المشاركين، عبر أسلوب عملي وسرد قصصي، ترافقت مع تجارب المدرِّب وخبراته الشخصية في دولٍ وبيئات ثقافية مختلفة زارها من قبل لتقديم محاضرات.

ما هي السلوكيات الأربعة؟

حسناً، ما هي أو ما معنى السلوكيات الأربعة؟ لنبدأ مع سلوك الحوار الهادف، ويعني حديثك المنتظم مع الآخرين عن توقعاتك، ومناقشتهم لأدائك وتطورك؛ في حين يعني سلوك التمكين، منح الآخرين صلاحيات مناسبة من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، ومساعدتهم للتغلب على أي صعوبات أو عقبات قد تواجههم؛ بينما يدلُّ السلوك الثالث، وهو التعاون، على الالتزام بالأهداف المشتركة والسعي مع الآخرين من أجل تحقيقها، ويمثِّل السلوك الأخير وهو اتخاذ القرار، الالتزام والوضوح في التفكير، بهدف اتخاذ قرارات مهمة.

> **السلوكيات الأساسية في التواصل الفعّال، هي: الحوار الهادف والتمكين والتعاون واتخاذ القرار.**



المدرِّب الدولي سلمان أمجد
متحدِّث بست لغات
يحمل شهادة الماجستير في علم اللغة التطبيقي من جامعة برمنغهام.
متخصِّص في مجال التواصل واكتساب اللغات وتعليمها.

المشاركون في الورشة تلقوا بتحفز السؤال الأول والرئيس، وهو: ما الذي يجعل التواصل فعَّالاً؟ والإجابة جاءت على هذا النحو: إن أهم ما يؤثر في فاعلية الحوار، ست مهارات، وهي: تحديد مَنْ هو صاحب اللغة؛ واكتساب الحسّ الفكاهي؛ ومعرفة أهداف المتحدث الضمنية؛ والقدرة على التمييز بين الاختلاف والخطأ في اللغة؛ ومعرفة المحتوى والوعاء الظرفي؛ والقدرة على تفسير تعبيرات الجسد.

لم يخلُ الطرح من استجوابٍ لطيفٍ للمشاركين عندما طرح المدرب هذه الأسئلة: مَنْ هو صاحب اللغة؟ وهل مَنْ يملك اللغة الأم هو من يحدِّد سياقها ومضمونها ومقصدها؟ وهل في اختلاف الثقافات واللغات تأثير على اتساق الحوار وفهمه؟ وماذا يعني الاتصال؟ وماذا يعني بالضبط من ثقافة إلى أخرى؟ ماذا يعني لك وللآخرين؟

وبعد ردودٍ عديدة من المشاركين، عرَّف المدرِّب اللغة بأنها نظام من الأصوات والرموز، تحمل معاني متعددة، وتقوم على اتفاق متبادل بين المتحدثين في المجتمع، كما تَظهر بصور عديدة، ولكي يكون التواصل عن طريق اللغة ناجحاً فلا بد من فهم مضمون اللغة، ومعاني مفرداتها وجملها. ولكن حين تكون لمفردات اللغة وجملها المتشابهة معانٍ مختلفة في السياق الذي تُقال فيه، تصبح ثمة حاجة لتوضيحها أكثر في هذه الحالة.

اختلافات في اللغة نفسها

تتضح هذه الحالة أكثر في اللغة الإنجليزية نفسها، سواءً اللغة المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية، أو تلك المتداولة في بريطانيا. يذكر المدرِّب في هذا الصدد ملاحظاته، مثلاً كلمة (subway) تعني الممر تحت الأرض في إنجلترا، بينما تعني أيضًا (مطعم الشطائر) المعروف أو مترو الأنفاق في أمريكا! وفي حين أن كلمة (coach) تدل على الحافلة في إنجلترا فإنها تعني (المدرِّب) للأمريكيين. وبالتالي تحمل هذه الاختلافات الدقيقة دلالةً مختلفة في التواصل، بسبب بسيط وهو أن التوصل إلى الفهم بين متحدثي اللغة نفسها من خلفيتين ثقافيتين مختلفتين تقوم على مفهوم «مَنْ هو صاحب اللغة؟».

وبدأت الفكرة تتضح أكثر للمشاركين، من خلال سرد المدرِّب أمثلة أخرى من تجاربه لا تخلو من مفارقات طريفة، وتحدث عن أمثلة تتعلق بدور العبارة أو معناها، مثل عبارة التحية التي يستخدمها السعوديون: «إيش لونك اليوم؟» فإن جوابها المعتاد هو «بخير، الحمد لله»، باعتبار أن هذا السؤال تضمن سؤالاً عن «الحال» وليس «اللون!» كما يدل حرفياً. ومثال آخر مرَّ به يتعلق بالتشابه في نطق كلمتين، عندما سأله نادل المطعم العربي «كيف الأمور؟» فظن أنه يقصد «الهاموّر» (نوع من السمك)، فأجابه: «لا، دجاج من فضلك!».

كما أبان المدرِّب عبر سرد حكايته مع رئيسه في العمل معنى اكتساب مهارتي حسّ الفكاهة ومعرفة الأهداف الضمنية. فذكر أن ما يحدِّد مسار الحوار غالباً هو المستوى غير الرسمي، والفهم الصحيح لمضمون ما يقوله المتحدث، ومستوى سلطته، وحيث





> عند اكتساب حسّ الفكاهة تتلاشى الفروقات والمستوى الرسمي بين المتحدثين، ويصبح الحوار أكثر عمقاً وفهماً...



سلوكيات قادة الأعمال اليوم

1 - سلوك الحوار الهادف
الحديث المنتظم مع الآخرين عن التوقعات ومناقشة الأداء والتطور.

2 - سلوك التمكين
منح الآخرين الصلاحيات والفرص اللازمة.

3 - سلوك التعاون
مساعدة الآخرين على تذليل العقبات.

4 - سلوك القرار
التزام الوضوح في التفكير الضروري لسلامة القرارات.

يكتسب الحديث حسّ الفكاهة وتتلاشى الفروقات بين المتحاورين، ويصبح الحوار أكثر عمقاً وفهماً، وبالتالي يصبح المهم في هذه الحالة، هو معرفة مَن الذي يتحدث، وليس ما يقال. أما ما الذي يعنيه المتحدث، وكيف يفسره المتلقي، فهذا يدخل في إطار معرفة الأهداف الضمنية، التي تعني إتقان مهارة الاستماع ومعرفة ما يقصده الآخرون فعلاً، أو بمعنى آخر معرفة ماذا يكمُن وراء اللغة المنطوقة. خذ هذا المثال: عند السؤال المألوف والمقصود به التحية: كيف حالك؟ فليس من المتوقع أن يكون الجواب لماذا تسأل؟! أو طلب توضيح للمعنى، فهذا النوع من الحوار لا يحمل أهدافاً ضمنية أو يحتاج إلى مستوى معيَّن من الثقة بين الطرفين.

التواصل بين الثقافات

إن اكتساب مستوى من الثقة في علاقات الأفراد مع بعضهم في مكان العمل، يعزِّز التواصل الفعّال ويبعث الراحة لدى المتحاورين، لكونه يلقي عن كاهلهم التكلف والرسمية، ولكن لا بد أن يكون ثمة تمييز بين «طرح السؤال» و«الاستجواب»، أو بمعنى آخر ثمة حاجة لمعرفة مقصود المتحدث.

وفي هذا المحور، استشهد المدرِّب بأفكار علم الإنسان الاجتماعي ومصطلحاته، فذكر مصطلحي «ثقافة السياق المرتفع» و«ثقافة السياق المنخفض»؛ اللذين يشيران إلى طريقة كل ثقافة في استخدام عمليات التواصل المعتادة. فمثلاً في «ثقافة السياق المرتفع» لا يقول الناس كلاماً كثيراً في الغالب بهدف إيصال المعنى للمتلقي، إذ تقوم العوامل الأخرى لهذه الثقافة بشرح المعنى المقصود، وتصبح الكلمات المفردة في مثل هذه الثقافة مهمة جداً، كما أنها تستخدم بفاعلية. بينما في «ثقافة السياق المنخفض» من الضروري أن يكون المحاور واضحاً ومباشراً جداً في حديثه، أي يدخل في الموضوع مباشرة، ولا تمثل لديه الكلمات المفردة أهمية بحد ذاتها. على سبيل المثال فإن شعوباً مثل الأستراليين والأمريكيين والسويسريين يتبنون «ثقافة السياق المنخفض»، وبالتالي فإن سلوكيات التواصل بين أفرادها تتسم بالوضوح الشديد، بينما تستخدم الثقافة العربية والفرنسية والإفريقية واليابانية مثلاً ثقافة السياق المرتفع، وبالتالي فإن سلوكيات التواصل بين أفرادها أقل مباشرة في تناولها لموضوع الحوار.

إحدى تجارب المدرِّب مع رئيسه، أوضحت المقصود من ذلك، يقول: كنت برفقة رئيسي في العمل، وكان يقود السيارة بسرعة وشعرت أنه من الصعب أن أطلب منه مباشرة أن يبطئ سرعته، فوجدت أن أستخدم أسلوب ثقافة السياق المرتفع، لأنه الأفضل في هذه الحالة، قلت له: «هل تعلم أنني كنت أعيش في هذه المنطقة، وصادفت كثيراً من الجِمال تَعبرُ هذا الطريق»، ففهم قصدي وبطأ من سرعته.

الحديث الواضح

في نقطة مهمة أخرى يوجه المدرِّب حديثه للمشاركين، قائلاً: إنه لكي تكون متأكداً من أن حديثك مفهوم وواضح لدى المستمع، فلا بد أن تتمتع بحسّ الفكاهة، وحتى تتأكد من تحقيق هدفك في الحوار، عليك أن تتأكد من مستوى الثقة بينك وبين الطرف الآخر، كي لا يشعر الطرف الآخر بالإهانة أو يرفض الحوار. تخيل أن رئيسك في العمل يطلب منك الحضور حالاً. أغلبنا سيشعر أن ثمة خطأ قد وقع! أو تخيل أن تجد على شاشة هاتفك عديداً من المكالمات الفائتة من المنزل، أغلبنا سيشعر بالقلق أيضاً! فإذا كان اكتساب حسّ الفكاهة يتعلَّق بالمتحدث، فإن معرفة الأهداف الضمنية تتعلق بالمتلقي أو المستمع. فعندما لا نكون متأكدين من أهداف مَنْ يتحدث معنا، سنمتلئ بالشك والقلق.

بعد ذلك جرى الحديث عن مهارة التمييز بين الاختلاف والخطأ في اللغة، وذكر أنه عند الترجمة من لغة إلى أخرى، أو عند تعلم لغة





جديدة، ثمة عناصر من اللغة الأم نجد أثرها في اللغة الثانية، وفي بعض الحالات تسمى هذه العناصر «أخطاءً» لأنها تتعارض تماماً مع قواعد اللغة الجديدة، وفي حالات أخرى تكون مجرد «اختلاف» فقط.

كيف؟ من تجربته في تعلم اللغة العربية، كان يقول (اثنين كرسي) بدلاً من (كرسيين) لأن هذه الصيغة هي التي تقوم عليها لغته الإنجليزية الأم، وهذه تسمى (لغة المتعلم الأصلية)، لكن في مثل هذه الحالة فإن الاختلاف لا يعيق التواصل كما أنه لا يظهر سوء فهم عند المستمع ولا يدل على خطأ.

ولتوضيح الفكرة أكثر، قدَّم جملاً إنجليزية مترجمة حرفياً من اللغة العربية، موضحاً الفرق بين المعنيين، كما سرد مجموعة من المفردات الإنجليزية التي تختلف في الثقافتين البريطانية والأمريكية عن بعضها بعضاً، وأورد أمثلة من اللغة الإسبانية والفرنسية، سائلاً المشاركين العارفين بتلك اللغات توضيح معناها.

ما أراد إيصاله في هذا الجزء من ورشة العمل التدريبية، هو ما أشار إليه سابقاً من أن معرفة الأهداف الضمنية مهم في سياق أي

> كان يقول (اثنين كرسي) بدلاً من (كرسيين) لأن هذه الصيغة التي تقوم عليها لغته الإنجليزية الأم. هذه الحالة تسمى (لغة المتعلم الأصلية)، وفي هذه الحالة فإن الاختلاف لا يعيق الفهم أو التواصل.

ثمة جمل صحيحة من ناحية القواعد في لغتها الأصلية ولكن تمثل صعوبة في الحوار، وبالتالي تكون عقبة في التواصل الفعّال

فوائد الاتصال الفعَّال

- توضيح الأدوار والأهداف
- نقل المعرفة
- زيادة الإنتاجية والفاعلية الشخصية
- تعزيز التوافق والانسجام والتنسيق
- زيادة الدافعية
- صقل المهارات
- تأسيس علاقة سليمة بين الرئيس والمرؤوس

"ثقافة السياق المرتفع": كلام قليل يتكامل مع عناصر ثقافية أخرى في إيصال المعنى

"ثقافة السياق المنخفض": وضوح ودخول مباشر في الموضوع وعدم ترك أي مجال للتأويل



حوار. وأن ثمة جُملاً صحيحة من ناحية القواعد في لغتها الأصلية، ولكنها تمثل عائقاً في الحوار ومن ثمَّ التواصل الفعّال.

وبالانتقال إلى جزء آخر من الورشة، أشار المدرِّب بيده إلى جملٍ ظهرت على شاشة العرض، مختلفة في تراكيبها ولكنها تحمل المعنى نفسه، في محاولة لإيضاح مفهوم المحتوى والوعاء الظرفي، ذاكراً أنه قد تكون جمل الحوار صحيحة من ناحية القواعد ولكنها ليست كذلك على مستوى المعنى، وفي هذه الحالة أيضاً قد يظهر الخطأ في التواصل. وهنا تكمن أهمية معرفة القواعد، حيث إننا قد نعرف اللغة بالحدس، لكننا لا نستطيع شرحها دون تعلُّمها. وهذا ينطبق على اللغة العربية التي تستخدم مفردات التذكير والتأنيث، مثلاً عند قولنا: «هذه سيارة» و«هذا كتاب».

إذاً من المهم في مجال التواصل عدم الحكم على الجُمَل من ظاهرها دون معرفة السياق، فالمثل الذي يُضرب دائماً في مجال الإعلام: «الكلب عض الرجل» و«الرجل عض الكلب»، كلاهما صحيح من ناحية قواعد اللغة، ولكننا نعرف أن الجملة تحمل معنىً حقيقياً واحداً.

التعبيرات الجسدية

وبعد أن أومأ برأسه في محاولة لإيضاح ما قد تدل عليه تعبيرات الجسد؟ سأل الحاضرين ما إذا كانت جميع ثقافات العالم تتفق مع هذا التعبير، لكونه دلالة على الموافقة؟ وقد كانت إجابة الجميع بالنفي، فالثقافات حتماً تختلف في تفسير التعبيرات الجسدية.

وقدّم مثالاً آخر عن الإشارة بالأصبع لاستدعاء شخصٍ ما، سائلاً المشاركين ما إذا كان هذا تعبيراً مناسباً؟ وقد ردت إحدى الحاضرات بنعم، ثم استدركت بقولها إنه قد يكون سلوكاً ممارساً منذ زمن في المطاعم مثلاً، لكنه لم يعد كذلك الآن.

ومن خلال تمثيل عملي، علّق المدرِّب بقوله إن تعبيرات الجسد مرتبطة بتفاوت سلطة كل من المتحاورين، فالإشارة إلى شيء ما يعتمد على السياق ومع من يرافقك، كما أن تعبير الابتسامة ليس تعبيراً منتشراً في جميع الثقافات العالمية كما يتُصور، فثمة ثقافات

تفسِّر هذا التعبير على نحو مختلف! وعندما نلقي نظرة على نتائج بعض الأبحاث المتعلقة بتعبيرات الجسد، نجد أن التواصل غير لفظي في أغلبه، بل إن التواصل غير اللفظي يمثل في الحقيقة 80% من عملية التواصل بين الناس.

ولكن تعبيرات الجسد التي تستخدم في أنحاء مختلفة من العالم تختلف عن بعضها بعضاً، وفي بعض الحالات تكون متعارضة تماماً، فمثلاً أحد التعبيرات هو ضم أصبع السبابة مع أصبع الإبهام وتوجيه كف اليد إلى أحد الأشخاص. هذا يعني في الثقافة الأوروبية «الموافقة»، أو نوعاً من الرضا، وفي الثقافة اليابانية «مال» أو «الرجاء دفع المال!»، أما في الثقافة السعودية فيعني التهديد، وفي هذا السياق يذكر المدرِّب حكاية الطالب السعودي الذي أشار إليه معلمه البريطاني معبراً عن تهنئته ورضاه عن أدائه، الأمر الذي أدى إلى امتعاض الطالب لعدم معرفته بمعنى الإشارة!. تعبير آخر قد يُعد مغايراً تماماً وهو «هزّ الرأس» الذي يعني في أغلب المجتمعات الموافقة ويعني لدى بعض الثقافات «رفض» مثل الثقافة البلغارية.

مصادر متنوعة

استعان المدرب بمصادر متنوعة لتعزيز المفهوم المقدَّم في ورشة العمل، فذكر أن الحوار الهادف يتكون من خمسة عناصر، هي: الذكاء والعاطفة والتأويل والسرد ثم الحوار بوصفه نتيجة العناصر الأخرى، وهذه العناصر مجتمعة تمثل «صندوق الحوار»، وهو المصطلح الذي صاغه ديفيد كوان في كتابه «استراتيجية التواصل الداخلي: كيف يُبنى أداء الموظف والتزامه».

إذا بدأنا بالمكوّن الأول للصندوق وهو الذكاء، الذي يعني قدرتنا على أن نكون عقلانيين ونتبع طريقاً منطقياً للوصول إلى المعلومات واتخاذ القرار، إلا أن ثمة العديد من الحواجز التي تمنع الناس، رغم امتلاكهم العقل الذي يساعدهم على التفكير، من الوصول إلى النتائج الصحيحة، ومن هذه الحواجز الافتراضات المسبقة والتحيز، ومدى القدرة على الانتباه.

ولكي نفهم «صندوق الحوار» أكثر، فإننا نحتاج إلى النظر إلى دور العاطفة لنكمل هذه الدائرة، لأن التواصل مع الذكاء الواقعي أو



1	2	3
الثقافة الأوروبية	**الثقافة اليابانية**	**الثقافة السعودية**
موافقة	الرجاء دفع المال	وعيد



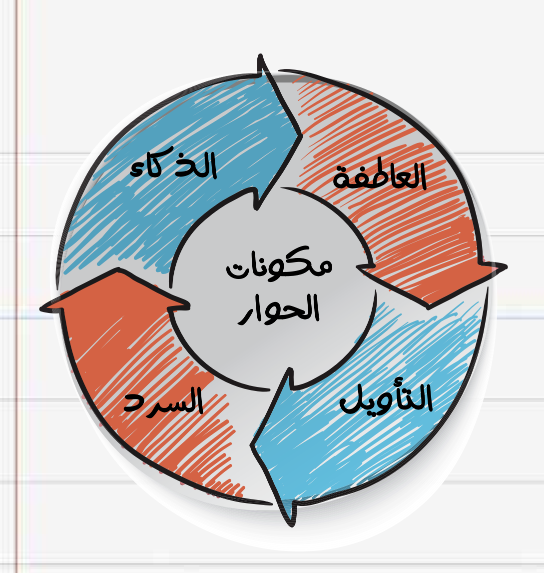
الإيماءات التي تُستخدم في أنحاء العالم تختلف كلياً، وفي بعض الحالات تكون متعارضة تماماً، إحدى الإشارات هي تحريك أصبع السبابة دائرياً موجهةً إلى أحد الأشخاص. فهي تعني في الثقافة الأوروبية «الموافقة»، أو نوعاً من الرضا، وفي الثقافة اليابانية «مال» أو «الرجاء دفع المال!»، وفي الثقافة السعودية تهديداً



العملي يمثل مشكلة في التواصل، فالناس والموظفون يتسمون بالعاطفة دائماً. وكما يقول المختصون إننا إذا استطعنا لفت انتباه الأفراد إلى أمور محدَّدة بعينها، سنساعدهم على تحديد أفكارهم، والتحكم بعاطفتهم. وتظهر ردة الفعل العاطفية بمجرد الحصول على المعلومات، سواءً أكانت مهمة أم غير مهمة. وتتفاوت ردة الفعل العاطفية حسب الموضوع كذلك، فقد تكون طويلة أو قد تستمر لثوانٍ فقط، ومن المهم معرفة كيف نتحكم بالعاطفة إذا أردنا معرفة التواصل الفعَّال، حيث إن إدارة الأفراد متعلقة بإدارة العواطف. والنقطة المهمة هنا أن العاطفة تحمل كثيراً من المعلومات ويستطيع القادة حلّ كثير من المشكلات من خلالها. كما أن إدراك حالة المتحدث وفهم مضمون حديثه والتعاطف معه، يتطلب الاستماع إليه ورؤية الأمر من وجهة نظره.

ومن أجل ربط الذكاء مع العاطفة، يأتي العنصر الثالث وهو تفسير المعلومات، بمعنى فهم ما هو المقصود من هذه المعلومات، إذ يميل الناس لرؤية الأحداث من وجهة نظرهم، التي لا تخلو من تحيز مسبق ووضع مسار شخصي للأحداث يبتعد عن الحياد والموضوعية.

أما السرد باعتباره العنصر الرابع في «صندوق الحوار» فهو يعني تنفيذ ردة الفعل سواءً باتخاذ قرار أو تقديم رأي. وهكذا بدون هذه



العناصر الخمسة للحوار، سيظهر سوء الفهم، وصعوبة التفسير، وعدم الوضوح. ويتعلَّق الأمر هنا بالاستجابة الفاعلة بين المرسل والمستقبل من أجل تحقيق فهم صحيح لسياق الحوار، إذ يتواصل الناس دائماً، ويتداولون عديداً من القصص مع بعضهم بعضاً، حيث يمكن لهذه القصص أن تعضد أو تضعف الروح المعنوية، مع الأخذ في الاعتبار وجود خط رفيع بين الوضوح والغموض.

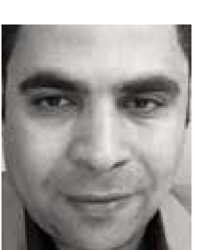
ختاماً فقد طرح المشاركون عديداً من الأسئلة: إذ سأل أحد المشاركين عن مدى ارتباط سلوك الحوار الفعَّال مع السلوكيات الثلاثة الأخرى؟ وذكر المدرب أن السلوكيات الأربعة مرتبطة معاً. وقدَّم مشارك آخر تنبيهاً للمدرِّب عن موضوع اللفظ، واختلاف اللكنة، فمثلاً قد يكون المتحدث للغة الإنجليزية إسبانياً أو صينياً، تغلب على ألفاظه لغته الأم. وذكر آخر اختلاف اللغات وإسقاط بعض الحروف من لغة إلى آخرين، بينما علَّق آخر بأن الناس لا يستمعون بقدر ما يرغبون بالاستماع إليهم، فذكر المدرِّب أن الاستماع يعني التعاطف، وثمة فرق بين الاستماع والإنصات، وهذه نقطة مهمة. كما أن معرفة الشخص تُحدِّد مستوى الحوار وعمقه، كذلك فإن العلاقات والثقة مهمة قبل الحوار، وهذا ما يؤكد موضوع اكتساب حسّ الفكاهة ومعرفة الأهداف الضمنية.

مدى ارتباط سلوك الحوار الفعَّال مع السلوكيات الثلاثة الأخرى؟

وذكر المدرِّب أن السلوكيات الأربعة مرتبطة جميعاً



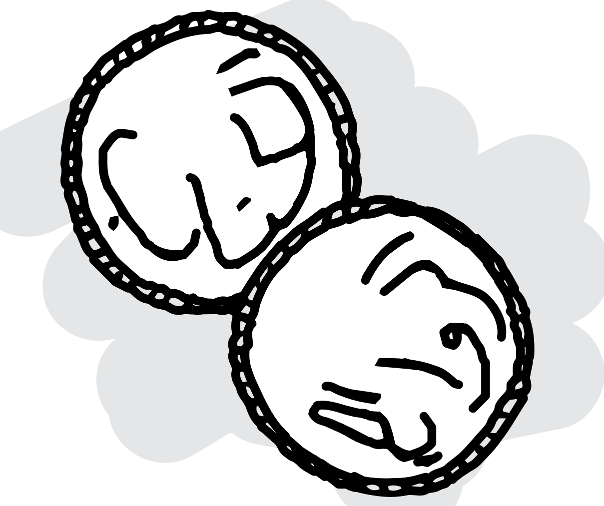
أيهما تفضِّل.. قراءة رواية أم كتاب آخر؟



1

وجهان لعملة واحدة

إبراهيم عبدالباقي - صحفي مصري



الرواية والكتاب وجهان لعملة واحدة. إنهما طرفا معادلة لا يستقيم الحال بأحدهما دون الآخر، وذلك عند مَن يقرأ ومَن يسعى إلى إدراك ما يدور حوله.

فمن تجربتي، أعتقد أن الرواية عالم رحب يضعك في قالب الحكاية، تقرأ وتفهم وتتوقَّع وتفسّر بمفردك؛ تُسقط أحكامك على أبطالها تبرّر وتدافع وتهاجم وتضع الحلول؛ وحتى النهايات أحياناً؛ وفق خيال رحب حرَّكه فيك كاتبها، لتخرج بنفسك بالمغزى وتسقطه على واقعك أحياناً أو تبحث عنه أحياناً أخرى.

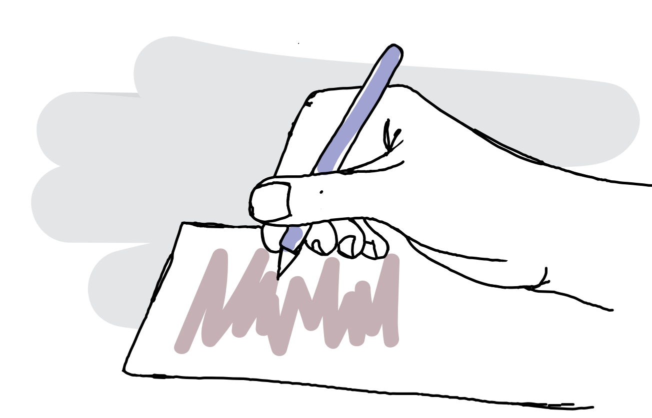
أما الكتاب؛ سواء أكان علمياً أو فكرياً؛ فهو بمنزلة المعادلة والنظرية والقانون؛ وضعه الكاتب بعد تجارب لا تنقصها الأرقام والحقائق. إذاً فأنت مُلزم الآن بترك أفق الخيال الرحب الذي وضعك فيه كاتب الرواية والنزول إلى أرض الواقع وفق معادلات وأرقام وأدلَّة. فالرواية تصنع الخيال ليأتي الكتاب بالعلم والقانون ويكمّل الصورة، فكم من اختراع بدأ بخيال وانتهى بواقع.

بقي أن أقول إن الرواية عالم افتراضي، نعيش فيه لبعض الوقت لنستلهم العِبر من أبطالها ونسعى للتغيير للأفضل وفق مضمونها، أما الكتاب فيظل معلومات وخبرات وقوانين ليست مجالاً للرأي والرد فقط. إنه الحقيقة، والمطلوب أن تقرأها وتعتقد بها حتى يأتي العلم بجديد يثبت العكس.

2

الكتاب أكثر تخصصاً، ولكن الرواية تثري أيضاً

مشاعل الغامدي - باحثة دكتوراة



غالباً ما تُبنى الرواية على فكرٍ واحدٍ هو فكر صاحبها الذي قد يتفق أو يختلف مع فكر القارئ. وهو أمر طاغٍ على الرواية من وجهة نظري ويصعب تجاوزه. فالرواية القائمة على آراء شخصية مرتبطة بتجارب فرديةٍ غالباً، ممزوجة ببعض المعلومات التي تتأثر باهتمامات الكاتب وظروفه وحياته، مقارنة بالكتب التي تُبنى في معظمها على علوم متفق على كثير من تفاصيلها، علمٌ مؤصل بعيد عن الخيالات.

ثم إن الكتاب أكثر تخصصاً من الرواية، وتحصيل المنفعة العلمية من قراءته أكبر، لأنه يتناول موضوعات تدور في فلك واحد. وهذا ما يجعل جمهوره أقل، على عكس الرواية الجذابة بقدرتها على إثارة الفضول في معظم الأحيان.

لكن، وللإنصاف، فإن الرواية تثري القارئ أيضاً، وتجعله يتعرَّف على واقع لم يعايشه في حياته اليومية. فاختلاف البيئات والعصور والثقافات يفتح عالماً جديداً للقارئ، ومجالاً جديداً ليقارن ويحلل ويناقش. فالرواية تعطي التوازن للباحث، والكتب تعطي الثقافة للهاوي. ولكل ذلك، تفعل الرواية ما لا يفعله الكتاب، لكنها لا تغني عنه.





المدرِّس العملي والمدرِّس النظري

غزوان الحسن - إعلامي سوري مقيم في السعودية

3

في بدايات قراءتي، توقفت مراراً سائلاً نفسي ومستشيراً عقلي بعد إنهاء كل رواية عن الفائدة التي عادت عليّ بها، وكانت فوائد لا تحصى.. ولكن هل سأجد عدداً مشابهاً من الفوائد في الكتاب؟

ربما أكبر وأفضل، وأوضح الفوارق بين الرواية والكتاب هي نفسها الفوارق بين المدرِّس العملي والمدرِّس النظري. فأيهما أفضل؟ مدرِّس يتحدَّث عن عظمة الأهرام المصرية ويشير إلى صورتها في الكتاب أمامك، أم مدرِّس يأخذك في رحلة إلى الأهرام، تحت الشمس، ويتسلَّق معك الأحجار، وتستكشفان الغرف، ويبهرك بالأسرار أمام عينيك؟؟

الكتاب يعطيك الخلاصة في كل موضوع. ويتحدث الكاتب من منطلق البحث والاستقصاء - وهذا صحيح - فإن ما يكتبه هو الصحيح وعليك أن تلتزم به ما دمت تثق في الكاتب. أما في الرواية فإن الكاتب لا يضع لك حدوداً أو إطاراً معيناً.

بل إنه يترك لك التصور والتخيل واقتراح مئات الحلول قبل أن يضع الحل الذي يراه هو مناسباً في النهاية. وربما لا يفعل هذا، فيترك لك «النهاية مفتوحة» كما يقولون، تضعها أنت كما تحلو لك.

ما أجمل أن تقرأ

عبدالرحمن العنبري - مشرف علاقات

4



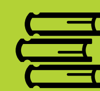
الروايات في أغلبها إنسانية، تتناول حياة الإنسان وتصرفاته وردود أفعاله. لكن إذا كنت لا تعترف إلا بالمعلومات المحدَّدة والعلوم، فأود تذكيرك بأن خيال بعض الكتَّاب الذي ذهب بعيداً في رواياتهم قد وصل إلى مصطلحات أضيفت بعدها إلى العلوم الأخرى.

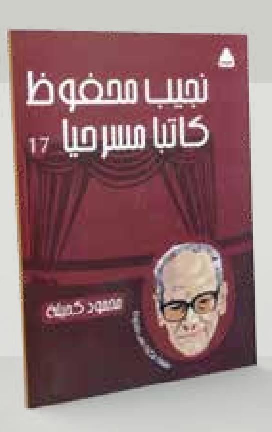
ولعل أوضح وأكبر مثال على ذلك هو مصطلح «الفكر المزدوج» الذي أضيف إلى علم النفس، والمصطلح الذي أضيف إلى السياسة وهو مصطلح «الدول الشمولية» أو «الأورويلية» نسبة إلى صاحبها وهو الكاتب «جورج أورويل» الذي ذكرهما في روايته العظيمة «1984».

ولكن، في المجمل، ما أجمل أن تقرأ.. فقط أن تقرأ، وتتبادل الحديث الفكري بينك وبين الصفحات التي سطرها الكاتب الذي - بدوره - جمع ما فيها من معلومات وخبرات فنقاها، وصفَّاها ووضعها في أجمل شكل استطاعه، لتوضع بين يديك. تفهم منها على قدر فهمك، فلا تستعلي عليك لضيق أفقك نسبياً، ولا تقلل من شأنك إذا كنت مخالف الرأي، فقط تقرأ وتكمل أحجية الفكر بين الكاتب والكتاب.. وأنت.









نجيب محفوظ كاتباً مسرحياً

تأليف: محمود كحيلة

الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - أبريل 2016

يأتي هذا الكتاب ضمن «سلسلة نجيب محفوظ» الذي خلّف وراءه مخزوناً أدبياً كبيراً، تُوِّج بحصوله على جائزة نوبل في الأدب في عام 1988م.

يخلص الكتاب الجديد إلى أن نجيب محفوظ أسهم في تهميش نصوصه المسرحية بوضعها ضمن مجموعاته القصصية، دون تنبيه واضح إلى وجودها. وتبعه في ذلك نقَّاد الأدب الذين بحثوا في رواياته وتجاهلوا نصوصه المسرحية، رغم تميّزها في الشكل والمضمون.

وأوضح الكتاب أن محفوظاً كتب ثماني مسرحيات حملت توقيعه ككاتب درامي، وأكَّدت وجوده ككاتب مسرحي. كما أن الكتاب ليس الأول من نوعه، فقد سبق للناقد المسرحي الكبير الدكتور حسن عطية أن أعدّ دراسة بعنوان «تخطيط لدراسة سوسيولوجية.. شخصيات مسرحيات محفوظ بين سلطة الكاتب وسلطة المجتمع».

وقال حسن عطية في دراسته: «وسط العالم السردي الذي تفرَّد به نجيب محفوظ بمكانة سامية في مجال الرواية، فضلاً عن تميزه في مجال القصة القصيرة، ومع وجود الحوار بكثرة في عديد من أعماله السردية، طرق محفوظ حقل الكتابة الدرامية للمسرح في مرحلة متأخرة من مسيرته الإبداعية، منتجاً ثمانية نصوص فقط».

مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة

تأليف: محمد القاضي

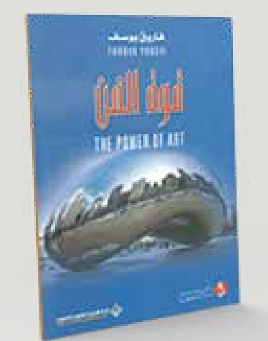
الناشر: كتاب المجلة العربية - مارس 2016

يحتوي هذا الكتاب جملة من الوقائع الفكرية والثقافية التي اختلف حول قضاياها وموضوعاتها عديد من الكتَّاب العرب. ويعرض أطيافاً من التعابير النقدية بين الخصوم لدى مساجلاتهم، وهو نوع من الأدب العربي الذي ظهر في وقت مبكِّر بين المبدعين العرب حول قضايا الشعر والأدب واللغة والفكر والفلسفة والعلوم، حيث أسست تلك المساجلات بنية راسخة في الظاهرة النقدية في الإبداع العربي منذ وقت مبكر.

ويغلب على الكتاب الطابع اللغوي في نقد المعارك الأدبية التي باتت تمثِّل قطاعاً حياً من الحياة الثقافية والفكرية، وبرزت كفعل إبداعي تتوخَّى تجارب وأساليب، مثلما تؤشر على ثقافة منهجية تمتلك أسئلة معرفية وجمالية حائرة حول موضوعات البحث وأشكاله.

ومن عناوين بعض فصول الكتاب: الشاعر إبراهيم ناجي بين العقاد وطه حسين، رسالة الغفران للمعري بين الدكتور أمجد الطرابلسي والدكتورة بنت الشاطئ، بذور الطائفية بين محمد مهدي الجواهري وساطع الحصري، غازي القصيبي ومحيي الدين محمد حول ديوان (مدينة بلا قلب) للشاعر عبدالمعطي حجازي، والدكتور محمد النويهي وذو النون أيوب حول شخصية بشار بن برد، بالإضافة إلى قضايا الشعر العربي المعاصر بين نازك الملائكة وجميل حسن، الملكية الأدبية بين أدونيس ونزار قباني.

ويشكِّل الكتاب إضافة إلى المكتبة العربية، ويفيد كثيراً من الباحثين والأكاديميين في الاطلاع على نماذج من هموم وتطلعات عدد من القامات الإبداعية العربية تجاه محطات في الإبداع العربي المعاصر في أكثر من زمان ومكان.



قوة الفن

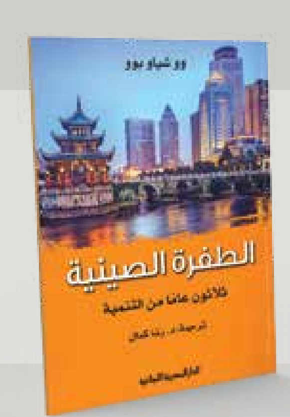
تأليف: فاروق يوسف

الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون - أبريل 2016

يسعى كتاب قوة الفن للإجابة عن عديد من الأسئلة ويحاول فيه الكاتب تحديد هوية الفن بعد أن تعرَّضت هوية الفرد إلى التعدد إن لم نقل إلى التشتت.

فقبل سنوات، كان هناك تفكير مختلف حول الفن ووظائفه والغاية منه. ولكن خلال العقود الأخيرة تغيّرت النظرة إلى الفن. فعلى المستوى المادي، نلاحظ اتساع رقعة استخدام التقنيات الرقمية وغزارة الثروة المعلوماتية وتوزع اهتمام الذهن البشري بين ما هو مرئي وما هو افتراضي. أما على المستوى الروحي فقد حل فراغ كبير بعد تفتت المنظومات الفكرية الكبرى وسطوة السلوك النفعي الذي يقدِّم المنافع على العقائد.

فهناك نوع صامت من اليأس دفع بكثير من الفنانين إلى اللجوء إلى الأساليب المباشرة، وأحياناً المبتذلة، في محاولة منهم للفت النظر إلى الكارثة التي تهدِّد المصير البشري والطبيعة من حولنا. هناك قسوة متبادلة يعيشها الفن مستفزاً ومنفعلاً. فهل صار العالم واقعياً أكثر مما يجب؟ وهل تخلَّى العالم عن واقعيته بشكل مطلق؟ هذا ما يجيب عنه الكتاب.



الطفرة الصينية ثلاثون عاماً من التنمية

تأليف: وو شياو بوو

ترجمة : د. رشا كمال

الناشر: الدار المصرية اللبنانية - يناير 2016

يتتبع هذا الكتاب في فصوله الخمسة مسارات وتفاصيل نهوض الصين الاقتصادي، من دولة محسوبة على العالم الثالث إلى دولة في صف العالم الأول، خلال ثلاثين عاماً، بدأت من عام 1978م وحتى 2008م. حيث تُعد الطفرة الصينية خلال العقود الثلاثة الماضية واحدة من أكثر الأمور التي جذبت أنظار العالم إليها. واشتملت هذه الطفرة على خلفيات ثقافية خاصة وأسس فكرية متفردة، كما تضمنت أساليب اقتصادية معقدة وغير اعتيادية، إلى جانب صراعات المصالح وتضاربها. ويبحث المؤلف عن كيفية وصول دولة زراعية يفوق سكانها المليار نسمة إلى مرحلة «العصرنة».

كما يركز الكتاب على ملامح الصين التي تغيرت خلال هذه الفترة بما فيها من تقلبات واضطرابات. والتي عبَّر عنها المؤلف في المقدمة بقوله: «وأنا أقلِّب نظري في الصور، لا أزال أشعر بالدهشة من تطور الصين الذي قلب الدنيا رأساً على عقب. ودائماً ما أتساءل هل هذه حقاً الصين نفسها التي نعرفها؟». ويصف الكتاب هذه الفترة التاريخية بأنها رائعة ومتنوعة، إذ لم يكن الناس يراقبون «القانون الموضوعي» الذي يحلو للاقتصاديين الحديث عنه، بل كانت التجربة الصينية انتصاراً لمفهوم القيمة التجريبية التي لا مثيل لها في العمل، ورغبة الثراء عند جميع المواطنين والحكومة، والإصرار على ترك حالة الفقر والسعي بقوة نحو التحديث.

نجران: جدلية المكان والشخوص.. دراسة أنثروبولوجية

تأليف: محمد آل هتيلة

الناشر: دار جداول للنشر والترجمة - أبريل 2016

يتناول هذا الكتاب مدينة نجران، التي تعود نشأتها إلى ما قبل التاريخ، ومرَّت عليها ثقافات الإنسان في كل مراحلها وتوجت بالتوحيد الإبراهيمي كبداية لانتشار التوحيد في شبه الجزيرة العربية.

فكما تؤكد الدراسات التي أعدّها الرحالة الأوروبيون الذين توافدوا على الجزيرة العربية منذ نهاية القرن الثامن عشر، وكذلك المسوحات التي أجرتها الهيئة العامة للسياحة والتراث في المملكة، هناك تاريخ، في نجران، يمتد إلى ما قبل الميلاد بمئات السنين، استناداً إلى بعض المواقع الأثرية التي عثر فيها على كتابات ونقوش قديمة، تم اكتشاف بعضها على أيدي رحّالة أوروبيين، ومنهم هاري سانت جون فلبي، وجونزاك وجاك ريكمانز، وليبنز، وألبرت جام وغيرهم.

ووجد المؤلِّف في بحثه أن لغات أهل نجران كانت متعدِّدة منها الرومية ومنها الحميرية، إلا أنها كانت محدودة قياساً إلى اللغة العربية التي كانت سائدة عندهم.

والكتاب معزَّز بدراسات بحثية متعمقة وصور نقوش ومخطوطات وجدت في المنطقة.



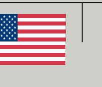
الكتاب وأزمة القراءة في العالم العربي بين الورقي والرقمي

تأليف: مجموعة من الباحثين

الناشر: دار «روافد» بالقاهرة، ومنشورات «فرع اتحاد كتَّاب المغرب» - يناير 2016

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الدراسات التي قاربت موضوع «الكتاب وأزمة القراءة في العالم العربي»، في مختلف إشكالاتها وتجلياتها، التي قُدِّمت خلال الندوة الدولية التي نظمها فرع الاتحاد بمدينة تازة المغربية.

وقد تقرَّر إصدار هذا الكتاب، انطلاقاً من وجوب العمل على مواجهة الإشكالات الكثيرة المرتبطة بمجالي القراءة والكتاب، وأهمها خلو الفضاء العام في العالم العربي من القراءة كسلوك يومي، وهو ما تؤشر عليه كل الدراسات الدولية والعربية على حدٍّ سواء. إذ يصبح من الضروري اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، الانكباب على دراسة إشكالية فعل القراءة بين الورقي والرقمي وأزمتها المستشرية على المستويين العمودي والأفقي في عالمنا العربي.





يمكنك البحث عنها: رفوف المراجع من بابل القديمة إلى ويكيبيديا
You Could Look it Up: The Reference Shelf from Ancient Babylon to Wikipedia by Jack Lynch
تأليف: جاك لينش
الناشر: Bloomsbury Press - فبراير 2016

يقول الكاتب الإنجليزي صموئيل جونسون «المعرفة نوعان: أن نعرف الشيء بأنفسنا، أو أن نعرف كيف نأتي بالمعلومات عن هذا الشيء».

يستكشف كتاب «يمكنك البحث عنها» القصص الآسرة وراء نشوء المراجع والأعمال المعرفية العظيمة ومحتوياتها، من شريعة حمورابي، أقدم القوانين التي عُرفت في بابل القديمة قبل الميلاد بنحو ألفي سنة إلى مجلد «التاريخ الطبيعي» الذي تركه بليني الأكبر، ومن مؤلف «يوم القيامة» من القرن الحادي عشر الذي يسجل حركة ملكية الأراضي في إنجلترا، إلى الأطلس الأول في العالم الذي ألَّفه أبراهام أورتيليوس؛ ومن «معجم اللغة الإنجليزية» لصموئيل جونسون إلى «كتالوج الأرض كلها» على غوغل. ويُلقي المؤلف جاك لينش الضوء على القصص الإنسانية والإنجازات وراء كل منها، وكذلك تأثيرها المستدام على الحضارة الإنسانية. ومن خلال ذلك، يقدِّم رؤية جديدة لقيمة المعرفة.

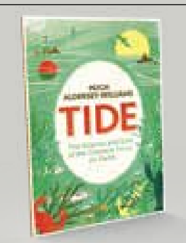


اللغة العالمية: الترجمة والسيطرة
La Langue Mondiale: Traduction et Domination by Pascale Casanova
تأليف: باسكا كازانوفا
الناشر: Seuil - أكتوبر 2016

في كتابها «اللغة العالمية: الترجمة والسيطرة» تدرس باسكال كازانوفا، أستاذة الأدب في جامعة «ديوك» الأمريكية ومؤلفة عديد من الكتب حول اللغات والأدب، آليات السيطرة اللغوية التي تمنح لهذه اللغة أو تلك وتميّزها. ويتناول الكتاب أيضاً دور الترجمة من اللغات «المسيطرة» وإليها. وبالتحديد من حيث تعزيز «سمات السيطرة». أما الملاحظة الأساسية الأولى التي تنطلق منها كازانوفا في تحليلاتها، فتتمثل في القول إن السيطرة اللغوية عالمياً لا تخضع بالضرورة لموازين القوّة الاقتصادية أو العسكرية، على غرار ما يُقال ويتردَّد اليوم بالنسبة لسيطرة اللغة الإنجليزية وارتباط ذلك بالموقع المتميز للولايات المتحدة في العالم.

ومن الأفكار الرئيسة التي تؤكّدها مؤلفة الكتاب أيضاً، أن سيطرة أية لغة ليست بمنزلة «قدر نهائي» على سيطرة الأمة المعنية بها. ذلك أن «مظهر التفوّق» الذي تتمتع به لا يمكن أن تتم ترجمته بالضرورة بتفوق اقتصادي أو عسكري. والمثال البليغ على ذلك تجده المؤلفة في حقبة التفوّق العسكري والاقتصادي لروما القديمة، حيث كانت اللغة اليونانية متفوقة على اللغة اللاتينية. كما تجده في تفوّق اللغة الفرنسية بمواجهة اللغة الإنجليزية في القرن الثامن عشر.

أما اليوم، فتتنازع اللغات على السيطرة على السوق، ولكن بأدوات تتباين من حيث فاعليتها. وتؤكد الكاتبة في هذا السياق أيضاً أن بعض اللغات تفرض قوانينها وسيطرتها على أسواق التبادل التجاري، ومن لا يجيد هذه اللغات لا يغدو صوته مسموعاً.



المد والجزر: العلم و المعرفة المتعلّقة بأعظم قوة على الأرض
Tide: The Science and Lore of the Greatest Force on Earth by Hugh Aldersey- Williams
تأليف: هوغ ألدرسي- وليامز
الناشر: Viking - يونيو 2016

يعيش نصف سكان العالم في المناطق الساحلية في مواجهة عوامل المد والجزر. ولكن كثيرين يجهلون أهمية هذه الطاقة الطبيعية الهائلة.

تعتمد قدرتنا على التنبؤ وفهم المد والجزر على قرون من العلم، من الملاحظات التي دوّنها أرسطو إلى نظريات نيوتن العلمية إلى الحسابات التي تقوم بها أجهزة الكمبيوتر اليوم.

ولكن كتاب «المدّ والجزر» يحتوي أبرز الأحداث المرتبطة بالمد والجزر عبر التاريخ، من غزو يوليوس قيصر الفاشل لبريطانيا إلى الفيضانات الكارثية التي غرقت تحتها مدينة البندقية، وتتداخل هذه الأحداث مع فولكلور غني لا يزال يلهم الفن والأدب حتى يومنا هذا.

ففي هذا الكتاب، يتحوّل ألدريسي ويليامز إلى دليل يجوب بنا الجوانب الأغرب والأكثر رعباً للمدّ والجزر على الكوكب الأرضي، من أضخم الأمواج في الدول الإسكندنافية إلى أعلى ذروات المدّ والجزر في العالم الموجودة في أسكتلندا. ومعه تتوضح أهمية ظاهرتي المدّ والجزر، وتأثيرها على مجرى التاريخ وتشكل الحضارات.

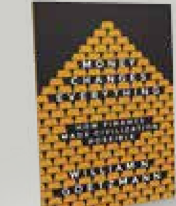


كرة القدم
Football by Jean- Philippe Toussaint
تأليف: جون فيليب توسين
الناشر: Les Editions de Minuit - سبتمبر 2015

ينطلق هذ الكتاب بتحذير استفزازي عندما يعلن أن: «هذا الكتاب لن يُعجب أي أحد»، إذ يحذِّر جون فيليب توسّان من أن عمله سوف ينفّر المثقفين الذين يستخفون بهذه اللعبة الجميلة، وكذلك مشجعي كرة القدم الذين لا يبالون بالمثقفين. وفي محاولة التوفيق بين هذين الفريقين يلجأ توسّان إلى لمسة من الفكاهة، في الوقت الذي يعالج فيه الموضوع بجدية تامة.

يقول في أحد مقاطع الكتاب إنَّ «كرة القدم التي يلعبها الكبار» مع كل السياسة والمال الوفير الذي يدخل فيها، وفضائح الفيفا، «تفقده حماسته للعبة» التي كان يعشقها منذ طفولته.

أما جوهر الكتاب فيرد في الفقرة الختامية من التمهيد، عندما يقول توسّان: «أتظاهر بأنني أكتب عن كرة القدم، ولكنني أكتب، كما هو الحال دائماً، حول تمضية الأوقات الممتعة». وخلال اللعبة، يقول توسّان، تبقى كل الاحتمالات مفتوحة حتى اللحظة الأخيرة، ودرجة الاندماج في كل لحظة من اللعبة «تضعنا على مسافة من الموت»، التي تُنتج بدورها «نوعاً من الرفاهية الميتافيزيقية».





المال يغيِّر كل شيء: كيف جعلت العمليات المالية الحضارة ممكنة

Money Changes Everything: How Finance Made Civilization Possible by William Goetzmann

تأليف: وليم غوتزمان

الناشر: Princeton University Press - أبريل 2016

في أعقاب الأزمات المالية الأخيرة، كان من السهل أن نرى العمليات المالية كقوة مدمرة تقضي على الثروات وفرص العمل، وتقوض الحكومات والبنوك. في كتابه «المال يغيِّر كل شيء»، يقول المؤرخ المتخصص بالأمور المالية وليام غوتزمان إنَّ العكس هو الصحيح، وإنَّ تطور الأنظمة المالية جعل الحضارات ممكنة.

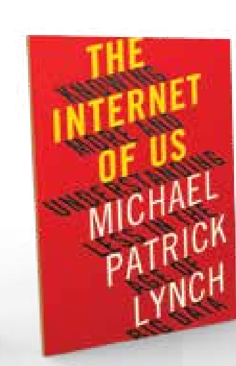
ويوضح غوتزمان أن المعاملات المالية هي مثل آلة الزمن، والتكنولوجيا التي تسمح لنا بالتنقل عبر الزمن. وأن هذا الابتكار قد غيَّر الطريقة التي نظر فيها إلى المستقبل والتخطيط له. وهو يُظهر كيف كانت التعاملات المالية حاضرة في كل لحظة من اللحظات التاريخية المفصلية، حيث كانت الدافع وراء اختراع الكتابة في بلاد ما بين النهرين، والمحفّز على نشوء الحضارات الكلاسيكية في اليونان وروما لتصبح إمبراطوريات كبيرة، وهي التي حددت صعود وسقوط السلالات في الإمبراطورية الصينية، وهي التي كانت وراء البعثات التجارية التي أخذت الأوروبيين إلى العالم الجديد.

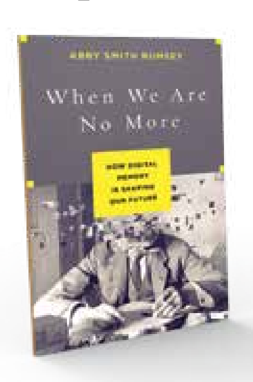
كما يظهر غوتزمان أيضاً كيف أن هذا الجهاز الذي نربطه بأسواق الاقتصاد الحديث الذي يتكون من أسواق الأسهم وصناديق الائتمان، والمنتجات المالية المعقدة، والتجارة الدولية، تم تطويره مراراً وتكراراً كما تمّ إهماله أحياناً أخرى وإعادة تكوينه على مدى التاريخ البشري.

من خلال استكشاف الدور الحاسم للقطاع المالي على مدى آلاف السنين، وحول العالم، يسلط غوتزمان الضوء على تفاصيل تظهر كيف ساعدت التقنيات المالية والمؤسسات المالية والسندات والبنوك والشركات في نشوء المراكز الحضرية وتوسيعها وازدهار ثقافاتها. ولن يتوقف هذا القطاع عن إعادة تشكيل حياتنا، لا سيما مع وجود تحديات مستقبلية كبيرة، مثل كيفية استخدام المال للعناية بالأعداد السكانية المتزايدة التي ازدادت شيخوخة.

بين كتابين

ما بين الذاكرة والمعرفة والإنترنت





(1) الإنترنت خاصتنا: أن نعرف أكثر ونفهم أقل في عصر البيانات الكبرى

تأليف: مايكل لينش

الناشر: Liveright - مارس 2016

The Internet of Us: Knowing More and Understanding Less in the Age of Big Data by Michael Lynch

(2) عندما نفنى: كيف تشكّل الذاكرة الرقمية مستقبلنا

تأليف: آبي سميث رامزي

الناشر: Bloomsbury Press - يناير 2016

When We Are No More: How Digital Memory is Shaping Our Future by Abby Smith Rumsey

نعيش في عصر المعلومات، ولكن ما نعرفه أصبح أقل وأقل، ونحيا في عصر تفشَّى فيه هوس تصوير كل ما يجري في حياتنا، ولكن ما نتذكره صار أقل وأقل. صدر حديثاً كتابان حول التكنولوجيا، واحد من تأليف مؤرخ، والآخر من توقيع فيلسوف. يهتم كتاب المؤرخ بالذاكرة بينما يُعنى كتاب الفيلسوف بالمعرفة والعقل. فعلى الرغم من أن هناك عديداً من الأبحاث التي سلَّطت الضوء على تحوُّل جوانب عديدة من حياتنا مع دخول شبكة الإنترنت إليها، لم تستكشف أي منها الآثار الفلسفية العميقة لهذا التحوُّل حتى الآن. ومن خلال تركيزه على أن هناك ما هو متعلِّق بالمعرفة أكثر من مجرد اكتساب المعلومات، اهتم الفيلسوف مايكل باتريك لينش، في كتابه «الإنترنت خاصتنا» بتسليط الضوء على أن العالم الرقمي الذي يسيطر على حياتنا يجعلنا نفضل بعض الطرق لمعالجة المعلومات على أخرى.

فبعدما أطلق ديكارت مقولته الشهيرة «أنا أفكر، إذاً أنا موجود» يتجه العصر الرقمي لترسيخ فكرة «أنا أبحث في غوغل، إذاً أنا موجود». وهذا الاعتماد على غوغل يجعلنا ننتقل من عصر اكتشاف المعلومات إلى مجرد تحميلها.

فمع دخول الإنترنت شارف عصر «الحقيقة» على نهايته، وأخذت «البيانات» مكان «الحقائق»، مما أدى إلى مزيد من الفوضى المعرفية، لأسباب ليس أقلها بأن جمع وتقييم الحقائق يتطلَّب التحقيق، والتمييز والمقارنة. ويكمن جذر المشكلة، كما يراها لينش، في مفارقة غريبة، إذ إنه مع وفرة المعلومات يبدو أننا نعرف أكثر وأقل في الوقت نفسه. وقد أدّى ذلك به إلى طرح بعض الأسئلة حول ما يعنيه أن نقول إننا نعرف شيئاً ما. وبعد عرض شروط ومعوقات المعرفة الحقيقية، يختتم لينش بالقول إنه بعدما ازدادت كمية المعلومات التي نعرفها «كل ما علينا القيام به هو السعي لأن نكون عارفين أكثر مسؤولية، ولأن يصبح فهمنا لما نعرفه أعمق».

وإذا سألت بعض الناس لماذا يوثِّقون تجاربهم بطريقة مكثفة من خلال الصور، سيجيب معظمهم بأنهم يريدون التأكد من أن التجارب التي مروا بها في حياتهم لن يعتريها النسيان. لكن آبي سميث رامزي، تتساءل في كتابها «عندما نفنى»، عما إذا كان هوسنا بالتوثيق، سيؤدي إلى النسيان بدلاً من منعه.

يحتوي كتاب رامزي على كثير من التأملات حول الذاكرة، إذ تقول إن التحدي الأساسي أمامنا ينشأ من أن «القدرة الاستيعابية لأنظمة ذاكرتنا تتخلف بشكل كبير عن قدرتنا على توليد المعلومات».

وتهتم رامزي بتوضيح الأفكار والاعتقادات المتعلِّقة بالذاكرة، تماماً كما يحاول لينش أن يساعدنا في التفكير على نحو أفضل حول كل ما يتعلَّق بالمعرفة.

هناك كثير في كتاب رامزي الذي يشبه العرض التاريخي التأملي للفكر التاريخي المتعلِّق بالذاكرة، مع تسليط الضوء على شخصيات رئيسة في هذا التاريخ مثل أفلاطون ومونتان وتوماس جيفرسون لدوره في تأسيس مكتبة الكونغرس. وفي الجزء الأخير من الكتاب تتحول رامزي نحو مستقبل الذاكرة، حيث تحدد بوضوح المخاطر التي تهدِّد مقومات الذاكرة لدينا وأهمها الإلهاء وفقدان الذاكرة الذي تسببه التكنولوجيا الحديثة. ولكنها تنهي بنفحة تفاؤلية حيث تؤكد أنها واثقة أن بإمكاننا مواجهة هذه المخاطر بنجاح.

قول في مقال

حُبٌّ افتراضي

يحيى البطاط

أعلنت شركة «أبل» مؤخراً عن إجراء عدد من التحديثات لأنظمة التشغيل المختلفة في أجهزة ماك بوك وآيفون وآيباد وتلفزيون أبل وساعة أبل.

ستطول هذه التحديثات، كما أفصح الخبر، تطبيق المحادثة الذكية المعروف باسم «سيري» الذي أطلق أول مرة قبل سنوات خمس، كأن تستطيع أن تطلب من «سيري» أن تحضر لك سيارة أجرة، أو تسألها أن توفِّر لك وجبة من مطعمك المفضَّل، أو ترسل حوالة نقدية إلى صديق.

«سيري» التي تتمتع بروح مرحة، كما جاء في الخبر، تستطيع أيضاً أداء أعمال أخرى تستهلك كثيراً من الوقت، مثل إجراء عمليات البحث عن المعلومات والملفات وحفظها أو حذفها.

يعود بنا هذا التطوير الجديد الذي أعلنه العملاق التكنولوجي «أبل» إلى فِلم مستقبلي رومانسي يُدعى «هي» (Her) أنتج عام 2013م من تأليف وإخراج سبايك جونز، وبطولة خواكين فينيكس. تدور حكاية الفِلم حول رجل يدعى ثيودور، يعمل بوظيفة كاتب رسائل كالتي تدوَّن على بطاقات المعايدات، وهو على وشك الانفصال عن زوجته، يعيش حياة فارغة، ويعاني من الوحدة والملل.. ولذا يمضي معظم وقته بالثرثرة مع الأصدقاء أو ممارسة ألعاب الفيديو..

تنقلب حياة ثيودور رأساً على عقب عندما يقرِّر اقتناء نظام تشغيل ذكي يُطرح في الأسواق يُدعى (OS1)، وتقوم فكرة النظام الجديد على مبدأ إنجاز كل الأعمال الخاصة بالزبون عن طريق المحادثة الصوتية. غير أن هذا النظام يتمتع بذكاء صناعي خارق، فهو يستطيع أن يبلور لنفسه شخصية فريدة، ويمنح نفسه جنساً واسماً خاصاً حسب رغبة الزبون. ويتحوَّل نظام التشغيل في الفِلم إلى أنثى اسمها (سامنثا).


لقطة من الفِلم

تستطيع سامنثا أن تدخل إلى أجهزة ثيودور، وتقترح عليه جملة من الأعمال كتنظيم ملفاته، وتجري معه محادثات عميقة لا تختلف عن أي محادثة يجريها شخصان عاقلان مثقفان، بل إن سامنثا تزيد على ذلك بأن تتصرف كسكرتيرة شخصية، وتقوم بمهمات لم يلتفت إليها البطل، كأن تتفق مع دار نشر وتطبع كتاباً يضم أعمال ثيودور، بل وصل الأمر بها إلى أن تبحث له عن صديقة حقيقية بعد أن اكتشفت أنه يعاني من العزلة والملل.

تتغيَّر يوميات ثيودور جذرياً، عندما يكتشف أن حياته أصبح لها معنى بوجود سامنثا، وأنه منجذب إليها، ولم يعد قادراً على الاستمرار من دونها. ومما يزيد من طرافة حبكة الفِلم، أن نظام التشغيل الافتراضي الذي يحقق تواصله مع البطل الواقعي عن طريق الصوت فقط، يجد نفسه هو الآخر واقعاً في حُب ثيودور.. وهنا تأخذ قصة الفِلم منعطفاً حاسماً عندما يبدآن بتمضية أوقات أكثر بالحديث مع بعضهما بعضاً.

في ذروة صدمة أصدقاء ثيودور، ومشاهدي الفِلم على حد سواء، تبزغ فكرة مؤلف ومخرج الفِلم سبايك جونز التي يلخصها سؤال جوهري واحد: ماذا بعد؟

رجل حقيقي يقع في حُب نظام تشغيل بشخصية وصوت أنثى... كيف يمكن أن تتطور العلاقة بينهما؟ أي منحى واقعي وإنساني ستنتهي إليه؟ هل ستنتهي بالزواج مثلاً؟ هل سيختلفان وتحدث بينهما مشكلات عاطفية؟ هل سينفصلان في لحظة ما؟ ويبقى السؤال الأهم: أين سيأخذنا الوعي عندما يصل إلى جدار مسدود، كالذي وصل إليه وعي كل من بطل الفِلم ثيودور، وبرنامج التشغيل سامنثا؟

الأمر مربك حقاً، البطل يشكِّك في أعماقه بحقيقة سامنثا، فهي في النهاية برنامج تشغيل يتمتع بذكاء صناعي صممه البشر.. وهي، أي سامنثا، تدرك أن ثيودور غير مقتنع بحقيقة مشاعره تجاهها، لذا تقرر أن تهجره، وتتركه وحيداً مرة أخرى.

تطبيقات الذكاء الصناعي رائعة عندما يتعلق الأمر بتقديم الخدمات الروتينية مثل توفير سيارة أجرة أو تحويل الأموال، لكن من يعلم كيف ستصبح الحياة عندما يتعلَّق الأمر بتقديم الخدمات العاطفية أيضاً؟


شاركنا رأيك
www.qafilah.com



علوم

البرمجيات الحرّة

الصراع بين حق الملكيّة.. وحق الإبداع

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة صراعاً داخل المجتمع التقني حول «الوضع الاجتماعي للبرمجيات». فقد شهد عقد الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي نقلة كمية ونوعية للبرمجيات مع بدء الانتشار الواسع لأجهزة الحاسوب الشخصية، ما سمح لفئات واسعة من المجتمع بالإسهام في تطوير البرمجيات دون الحاجة لدعم الجهات الأكاديمية والتجارية. وأسهم هذا الانتشار في إتاحة الفرصة أمام طرح أسئلة محورية عن ماهية البرمجيات، ودورها في صياغة الفكر وتوجيه الحريّات، وكيفية التربّح منها وحقوق احتكارها. ومع ظهور شركات البرمجيات ككيانات اقتصادية كبرى، واعتماد الناس المتزايد عليها في شؤون حياتهم، باتت مسألة الحرية في تداول وتطوير هذه البرمجيات بمنزلة ورقة الضغط السياسية. وتشكل رأيان أسهم كل منها في رسم تصوراتنا لما يجب عليه أن يكون دور البرمجيات في المجتمع.

براء عرابي

بحسب مشروع «غُنو» الذي سنتطرَّق إليه خلال الأسطر التالية، فإن «البرمجيات الحرة» هي تلك التي يملك المستخدمون الحرية في تشغيلها ونسخها وتوزيعها ودراستها وتعديلها وتحسينها. ومع هذه الحريات، يتحكم المستخدمون، من أفراد أو مجموعات، بأثر المنتج البرمجي عليهم، عوضاً عن أن يتحكم المنتج البرمجي - والجهة التي أنتجته - بحياة المستخدمين.

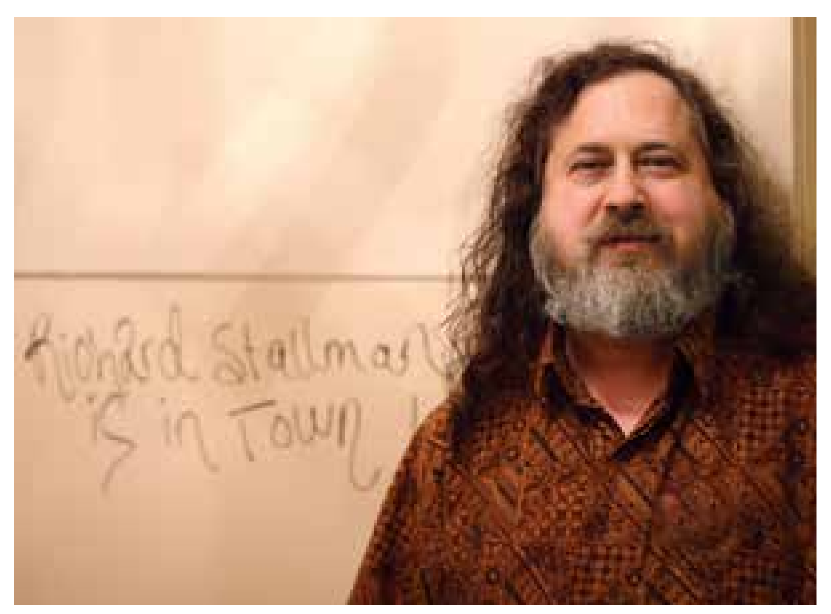
ولعل البعض سمع بالمشروع «غنو» من خلال استخدامه - وإسهامه - في تحرير مواد موقع «ويكيبيديا» التي تُعد بدورها أحد أشهر موارد المعلومة مفتوحة المصدر. وحتى هذا المصطلح (المصدر المفتوح – Open Source) كان أحد محاور الصراع الذي ثار منذ الثمانينيات من القرن الماضي حول أحقيتنا كمستخدمين في تعديل ونسخ وتداول البرمجيات التي يكتبها سوانا. هذا الصراع التاريخي تمخض عن رأيين ومدرستين. وهو صراع أثّر على أجيال من المستخدمين وأنتج مدارس فكرية واستهلاكية متباينة. وكي نؤكد أننا لا نسرد مادة تاريخية هنا، نشير إلى أن صراع البرمجيات المفتوحة يلاحقنا إلى اليوم، حيث حل اسم «التطبيق – App» محل البرنامج، وحل الجهاز الذكي محل الحاسوب الشخصي، وها نحن نجد أنفسنا اليوم منقسمين بين معسكريّ «آبل» و«غوغل» على سبيل المثال.

<//////: المجموعتان المتصارعتان />>>>

أولى المجموعتين المتصارعتين - على صياغة تعريف ماهية البرمجيات وماهية دورها الاجتماعي - هي شركات البرمجة العملاقة التي توسعت في ثمانينيات القرن الماضي، مثل «مايكروسوفت» و«بيل سيستمز».

الاهتمام الرئيس لهذه المجموعة هو الكسب المادي. وبالتالي، تنظر هذه المجموعة للبرمجيات على أنها مُنتج تتملكه، وللمستخدم على أنه زبون يدفع مبلغاً مادياً لقاء «رخصة» تتيح له حصرياً، أو بالشراكة مع آخرين في مجموعة محدَّدة، حق استخدام هذا المنتج الذي تمتلكه. وقد ترتب على تصور هذه المجموعة أن مطوِّري هذه البرمجيات ليسوا إلا موظفين مدفوعي الأجر، لا يملكون حقوقاً في المنتج النهائي الذي طوروه. وبما أن هذه المجموعة ترى أن البرمجيات يجب أن تعامل كسلع، فهي - بطبيعة الحال - تُعير اهتماماً بالغاً لحقوق الملكية الفكرية لبرمجياتها.

كان لهذه المجموعة السبق في تطوير عديد من البرمجيات التي انتشرت بشكل كبير حتى أصبحت نماذج معياريّةً، قيس على مثالها عديداً من الأنظمة الحاسوبية التي لحقتها. ولعل أهم هذه الأنظمة المعيارية على الإطلاق هو نظام التشغيل يونيكس (UNIX) الذي نشرت شركة بيل سيستمز أول نسخه في عام 1973م، والذي انتشر بشكل كبير في أواخر السبعينيات، خصوصاً بين كليات علوم الحاسوب بأمريكا. تلى ذلك ببضع سنين نظاما



ريتشارد ستولمان

تشغيل إم إس- دوس (MS-DOS) في عام 1981م وويندوز في عام 1985م، اللذان استحوذا على غالبية سوق الأجهزة الحاسوبية الشخصية حينها.

كانت لمحاولات الشركات تقنين كيفية استخدام ونشر برمجياتها عبر قوانين الملكية الفكرية ولوائح تنظيم الاستخدام آثار عكسية

> ترى المجموعة الأولى أن مطوِّري هذه البرمجيات ليسوا إلا موظفين مدفوعي الأجر، لا يملكون حقوقاً في المنتج النهائي الذي طوروه.

على بعض مستخدمي هذه البرمجيات، خصوصاً في المحيط الأكاديمي في أمريكا، الذي يتبنى معايير الحرية المطلقة في الإبداع، والذي أدرك أن البرمجيات تمثل موجة حضارية ستتنقل بالبشرية إلى مرحلة تالية على نحو ما فعلت آلة البخار. هذا الأثر العكسي الرافض لسطوة شركات البرمجة أدى إلى نشأة المجموعة المجتمعية الثانية، التي كونت تصورها الخاص لدور البرمجيات في المجتمع.

أحد أهم هؤلاء الأفراد الساخطين على سلوك الشركات هو ريتشارد ستولمان الذي كان يعمل في بداية الثمانينيات في مختبر الذكاء الصناعي في معهد ماساتشوسيتس للتقنية، ولكنه قرر ترك عمله في المعهد عام 1984م ليتفرغ بشكل كامل لمشروع البرمجيات

الحرة غُنو (GNU)، ولتأسيس مؤسسة البرمجيات الحرة (Free Software Foundation) الذي تم عام 1985م. كان ستولمان يرى أن البرمجيات في الأساس هي ملكية جماعية، الجميع له الحق في الاستفادة منها، وتطويرها ونشرها، وهذا ما أراد تحقيقه من خلال غُنو ومؤسسة البرمجيات الحرة.

كانت الفكرة خلف مشروع غُنو إنشاء نظام تشغيل متوافق في المعايير مع نظام تشغيل يونيكس، ولكن على أن يكون مفتوح المصدر متاحاً للعموم. بهذا يكون غُنو مملوكاً من قبل المجتمع بأسره، ويتم تطويره وصيانته من قِبَل المستخدمين أنفسهم. وبعد نجاح مؤسسة البرمجيات الحرة في إتمام مشروع غُنُو، أصبحت المؤسسة مرجعية أساسية للمجموعة الاجتماعية الثانية، التي كما قلنا سابقاً، ترى في البرمجيات وقفاً عاماً للمجتمع يعمل أفراده على تطويره وتحسينه وصيانته.

>//////: التصوران المتنازعان /<<<<

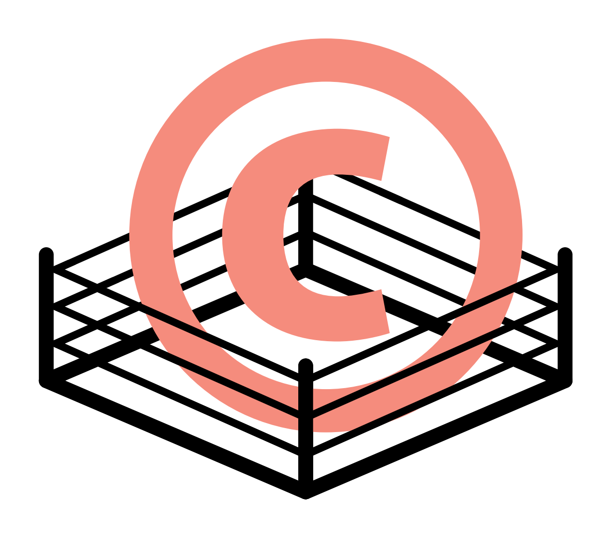
يُطلق على التصور الذي شكلته الشركات البرمجية للبرمجيات عادةً اسم تصور البرمجيات الاحتكارية (Proprietary Software). بينما يُسمى تصور المجموعات كمؤسسة البرمجيات الحرة تصور البرمجيات الحرة (Free Software).

لقد تمكنت مؤسسة البرمجيات الحرة من صياغة تعريف لتصورها للبرمجيات الحرة في أربع نقاط، سمَّتها الحريّات أو الحقوق الأربعة، وهي بدءاً من الحق رقم صفر:

0) الحق بتشغيل البرنامج لأية غاية تخص المستخدم
1) الحق بفهم كيفية عمل البرنامج داخلياً (يتطلب حق الوصول إلى الكود أو النص الأساسي للبرنامج)
2) الحق بإعادة نشر البرنامج
3) الحق بتعديل البرنامج

ترى المجموعة الثانية في البرمجيات وقفاً عاماً للمجتمع يعمل أفراده على تطويره وتحسينه وصيانته

والأمثلة على البرمجيات التي طُورت تحت هذا النموذج عديدة ومتنوعة. فمثلاً، نظام تشغيل غُنو تطوَّر وشكَّل حاضنة لنظام تشغيل لينوكس (Linux). وتنطبق الحريات الأربع على نظام تشغيل لينوكس بشكل كامل. فمثلاً، لا توجد أية قيود قانونية للمجالات التي يحق لمستخدم لينوكس أن يستعمله من أجلها، سواءً أكانت مجالات ربحية أو تجارية أو تعليمية أو شخصية. ويحق أيضاً لأي شخص الاطلاع على الكود الأساسي للينوكس - مجاناً عبر الإنترنت - الذي يُمثل المخطوطات لبناء نظام التشغيل. ويمكن



لأي شخص أيضاً أن يقوم بنسخ برنامج لينوكس ويعيد نشره دون الرجوع إلى مطوري البرنامج الأصليين. وأخيراً، يحق لأي شخص بأن يقوم بأية تعديلات على البرنامج - ويعيد نشر هذه التعديلات ربما - دون الحاجة للعودة لمطوري لينوكس. وبسبب هذه الحريات الأربع، توجد اليوم مئات التنويعات على نظام التشغيل لينوكس، كلٌّ بخواصه المميزة، ولكنها كلها ملتزمة بالحريات الأربع المذكورة.

ولم تكتفِ مؤسسة البرمجيات الحرة بالدعوة إلى تبنّي تصورها عن البرمجيات فحسب، بل قامت أيضاً بجهد قانوني جبار لصياغة مستندات قانونية تحافظ على دائرة تطوير البرمجيات الحرة. أحد هذه المستندات هو رخصة (GPL). التي تضع بين يدي المطوِّر القدرة على تقنين الحريات الأربع فيما يتعلَّق ببرنامج محدَّد، حيث تسمح للمستخدم استعمال البرنامج، والولوج لكوده المصدري، وتعديله، ونشره ولكن شرط أن يُنشر دون أي قيد قانوني إضافي يقيد الحريات الأربع، وأن يُعزى فضل تطوير البرنامج الأصلي لمن طوّره ابتداءً. بهذا يضمن المطورون أن الفضل سينسب إليهم أدبياً، وأن الشركات التجارية ستُحرم من استخدام برمجياتهم في منتجات لا تحترم الحريات الأربع.

وفي المقابل، تسعى شركات البرمجة التي تعتمد التوجه الاحتكاري إلى ترسيخ مبدأ أن البرامج التي يطورها موظفوها هي ملك للشركات أولاً وآخراً. ومن ثم تقوم الشركة ببيع رخصة لاستخدام منتجاتها تحت شروط وأحكام معيَّنة. وبسبب هذا، تؤكد شركات البرمجة بحَماسة على الالتزام بحقوق الملكية الفكرية. فحين يقوم أحدنا مثلاً بشراء منتج مثل Microsoft Office، فإنه من منظور قانوني لم يشترِ حقوق Microsoft Office كسلعة يحق له أن يفعل

بها ما يحق له قانونياً أن يَفعل بقطعة ملابس اشتراها من السوق؛ بل ما تم شراؤه هنا هو رخصة لاستخدام Microsoft Office تحت شروط وأحكام معينة، تقيِّد طبيعة استخدامك للمنتج، وتقيِّد الغايات التي يحق لك أن تستخدم المنتج من أجلها، بل وربما في إطار فترة زمنية محدَّدة تبطل بعدها صلاحية رخصتك لاستخدام المنتج.

الجانب الآخر للقيود التي تفرضها شركات البرمجة حول برمجياتها غير تلك التي تفرضها على المستخدمين، هو التقييد على المطوِّرين الآخرين. فالبرمجيات الاحتكارية لا تسمح لأحد بأن يستنسخ تصميمها لبناء منتجات أخرى، ولا لتعديل المنتج بذاته. وبالتالي، تبني هذه الشركات سوراً حول تكنولوجيتها وتحاسب قانونياً من يتجاوزه.

<//////: هل علينا نحن أن ندعم البرمجيات الحرة؟ />>>>

للإجابة عن هذا السؤال، لا بد لنا أن نسأل عن المقصود بـ«نحن». إنها عائدة على المجتمع ككل، وهكذا يصير السؤال الضمني: لماذا علينا كمجتمع أن ندعم البرمجيات الحرة؟ يسوق المؤيدون للبرمجيات المفتوحة عدة مبررات لدعم وجهة نظرهم:

أولاً: الإبداع والتعليم



فالبرمجيات الحرة تسمح لأفراد المجتمع بأن يأخذوا ما تم ابتكاره سابقاً من منتجات، وإنتاج اختراعات جديدة مبنية على ما سبق من اختراعات. لا أحد يبتكر من العدم. كل ابتكار هو إضافة أو إعادة إنتاج لما سبق، وكلما كَبُر حجم المساحة المتاحة لأفراد المجتمع لكي يستلهموا منها ابتكارهم التالي، ازداد تنوع وفرادة ما ينتجون.

وللبرمجيات الحرة أيضاً دورٌ مهم جداً في التعليم. فالبرمجيات الحرة تتيح مثالاً حياً لمشاريع كبيرة يقوم الناس باستخدامها وتطويرها. فمثلاً، قبل نظام تشغيل لينوكس، لم يكن لدى طلاب علوم الحاسوب الفرصة لرؤية التطبيق العملي لما يتعلمونه في موادهم الجامعية في منتج كامل متكامل. إن أي طالب جامعي في علوم الحاسوب يُدرك جيداً أن ما يتعلَّمه نظرياً في الكتب لا يُمكن ترجمته مباشرة لتطبيقات دون مجهود إضافي كبير، والمشاريع القائمة على البرمجيات الحرة تُمثل اللقاء الأول بين طالب علوم الحاسوب وبين مداخيل برنامج حاسوبي.

ثانياً: الأمان والخصوصية



إن عدم إتاحة الكود المصدري لأي برنامج كان، يعني أننا كمجتمع مضطرون لاستخدام هذا البرنامج كصندوق أسود، لا نعرف أي شيء عن كيفية عمله الداخلية وآليته. وبما أن استخدامنا لهذا البرنامج يعني أن من شبه المؤكد أن معلومات خصوصية ستمر عبر هذا البرنامج، فلا بد لنا أن نسأل أنفسنا: كيف نضمن أن البرنامج الذي نستخدمه آمن طالما أننا لا نعرف شيئاً عن آلية عمله الداخلية؟

لماذا علينا كمجتمع أن ندعم البرمجيات الحرة؟ يسوق المؤيدون للبرمجيات المفتوحة عدة مبررات لدعم وجهة نظرهم

إن أي برنامج مغلق المصدر (Closed Source) عرضة للاختراق الأمني من جهتين: المخرّبون والمتلصصون على الشبكة، والشركة نفسها التي طورت البرنامج. وبالتالي، يتوجب على أية جهة أو مؤسسة مجتمعية أن تسأل نفسها إن كانت تثق بالشركة المطورة للبرمجيات التي تستخدمها، أو إن كان المحتوى الذي تُستخدم هذه البرمجيات لأجله على مستوى من الأهمية يتوجب معه أن نعرف جميع حيثيات وآليات عمل البرمجيات التي يمر المحتوى من خلالها.

لهذه الأسباب، نجد اليوم أن أهم معايير الأمن والتشفير تعتمد على برمجيات وتقنيات مفتوحة المصدر. نجد أمثلة على ذلك نظام (OpenSSH) الذي يسمح بالاتصال بأجهزة الحاسوب عن بُعد بطريقة آمنة، والذي يشكِّل حوالي 80% من استخدام بروتوكول التشفير الأمني الشهير (SSH) على الإنترنت.

ثالثاً: الاقتصاد



السؤال هو ببساطة: ما الحاجة لبذل جهدنا في إعادة اختراع ما تم اختراعه؟ بدلاً من ذلك يمكننا أن نبذل جهدنا في تحسين ما تم اختراعه، أو في ابتكار شيء جديد. وفوق ذلك تسمح البرمجيات الحرة بتجميع الجهود التي قد تكون تعمل على مشاريع متفرقة، ولكن لهدف واحد في مشروع واحد يشملها جميعاً. لهذا، لا نجد غالباً في البرمجيات الحرة تكراراً غير مثمر للجهود. فمثلاً، في مجال تحرير المستندات، تتركز معظم جهود مجتمع المطوِّرين على مشروع (LibreOffice) الذي يشكِّل بديلاً جيداً للبرنامج المحتكر من قبل مايكروسوفت (Office).

<///////: نتائج الصراع />>>>

بعد مضي نحو 30 عاماً على تكوُّن هذين التصورين حول البرمجيات الحرة، لا نزال نرى أن الصراع لم يحسم تماماً لأحدهما دون الآخر. في بعض المجالات، نجد كلاً من البرمجيات الاحتكارية والبرمجيات الحرة يمتلك حصة وقاعدة من المستخدمين. فمثلاً، في أنظمة تشغيل الأجهزة المحمولة والذكية، يسود نظاما iOS وAndroid. الأول طورته شركة Apple والثاني طورته شركة Google وهو مبني بشكل كبير على نظام تشغيل لينوكس. وبالتالي فإن Android يخضع للحريات الأربع التي حددتها مؤسسة البرمجيات الحرة. على الجانب الآخر، فإن نظام iOS المملوك من شركة آبل (Apple) يصنف ضمن البرمجيات الاحتكارية. ونجد في هذا المثال أن الصراع، سواء على الحصة السوقية أو على قناعات الأفراد في المجتمع، بين البرمجيات الحرة وتلك الاحتكارية لا يزال بعيداً عن الحسم النهائي.

ولكن في مجالات أخرى، نجد أن المعركة تكاد تكون محسومة للبرمجيات الحرة. إذ نجد أن لينوكس يستحوذ على سوق أنظمة تشغيل الحاسبات الخادمة التي هي القلب المشغل للإنترنت. إضافة إلى أن معظم خوارزميات تأمين الاتصال على الشبكات

تسعى الشركات البرمجية التي تعتمد التوجه الاحتكاري إلى ترسيخ مبدأ أن البرامج التي يطورها موظفوها هي ملك للشركات أولاً وآخراً...

التي تضمن الحماية والخصوصية للمستخدم، هي في معظمها برمجيات مفتوحة المصدر. كما تحظى منتجات من قبيل متصفح الإنترنت Firefox ومنصات Wiki بشعبية وموثوقية عالية تكاد ترجِّح كفة البرمجيات المفتوحة، لولا أن حوادث كارثية تقع من آنٍ لآخر لأسباب هي في صميم آلية تطوير برمجيات المصادر المفتوحة، نذكر منها الاختراق الأمني الشهير الذي وقع في أبريل 2014م وعُرف باسم (Heartbleed)، ومن شأن الاسترسال في استحضار هذه الميِّزات ونقائضها أن يؤكد أمراً واحداً؛ أن الصراع بين التيارين لا يزال مفتوحاً كما كان منذ ثلاثة عقود.



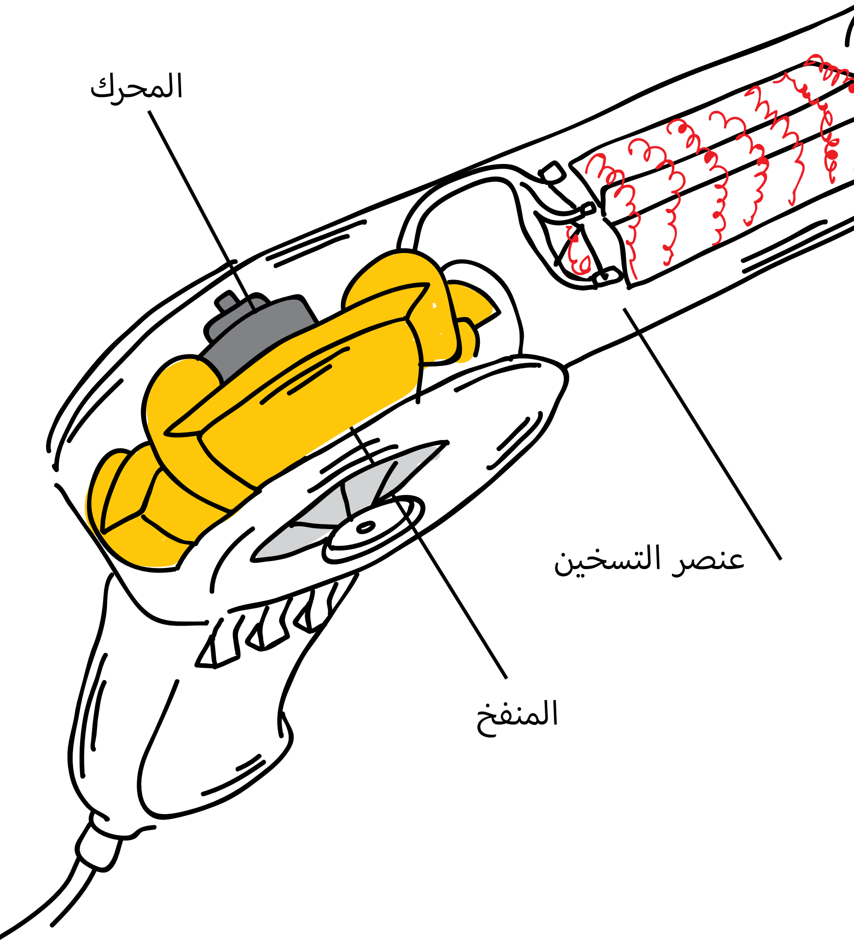


كيف يعمل...

مجفِّف الشعر

ظهر مجفِّف الشعر لأول مرة في العقد الثالث من القرن العشرين. وبالنظر إلى وظيفته التشغيلية، أصرّ كثيرون على تسميته بـ «مدفع الهواء الحار». لكن هذا المدفع يستخدم شعبياً على نطاق واسع لتجفيف الشعر المبتل، وذلك بتسريع تبخر الماء عبر رفع درجة حرارة خصلات الشعر، أو أي سطح آخر يُراد تجفيفه سريعاً.

وبالإضافة إلى مصدر للتيار الكهربائي، يتألَّف مجفف الشعر من ثلاثة أقسام رئيسة على الوجه التالي:



1. مروحة ذات محرك يشغّله التيار الكهربائي، وظيفتها دفع الهواء بسرعات عالية يمكن التحكم بها.

2. السخّان، وهذا يشغّله التيار الكهربائي كذلك. ويمكن للسخَّان أن يكون في صيغة لفات معدنية يمكن رفع حرارتها بسرعة، أو من مواد سيراميكة متقدِّمة. ومهمة هذا الجزء هو تلقي الهواء البارد من المروحة وتحويله إلى هواء ساخن. وفي بعض وحدات التسخين في مجففات الشعر المتقدِّمة يمكن التحكم بمستوى الحرارة اللازمة أو الكافية.

3. الفوهة التي تتلقى الهواء الساخن منها، ونلاحظ أنها تكون عادة أضيق من قطر الهيكل الرئيس للمجفف الذي يحتوي على السخّان، وذلك لزيادة زخم اندفاع الهواء الساخن إلى الخارج.



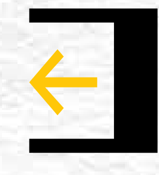
علوم

في قرن يمتد تقريباً بين أواخر القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين، تمكّن البشر من حفظ الصور باختراع الفوتوغرافيا، ومن حفظ الأصوات والأغنيات، باختراع الغراموفون وآلة التسجيل والأسطوانة، ومن تصوير الروايات التمثيلية والحوادث السياسية والثقافية العامة باختراع السينما، وأضافوا كل هذه الوسائط لخزن المحفوظات، إلى الكتب التي تطوّرت طباعتها في القرن العشرين، فتوسّعت أعمال طباعة المصحف الشريف وكتب التراث البشري، منذ إلياذة هوميروس، حتى آخر روايات أغاثا كريستي.

د. فكتور سحّاب

من يحفظ الصور والأصوات والأفلام؟

أفلام وكتب تُمحى وصور «سلفي» تتراكم!



لكن كل هذه المحفوظات ظلّت عرضة للتلف، بتمزق الصور أو بانكسار الأسطوانات وتلف أشرطة التسجيل وتآكل ورق الكتب.

ثم جاء العصر الرقمي، ليقول لكل هذه الوسائل الحديثة: أنا البديل! إذ أخذ الكمبيوتر ووسائل الخزن الرقمي المتنوعة على عاتقها المهمة في حفظ الصور والأصوات والأفلام، على النحو الذي لا يبلى... مبدئياً.

وبات أب العائلة الذي كان في الماضي يجتهد في التقاط صورة جامعة لعائلته وفي حفظها من التلف أو الضياع، يستطيع بكبسة زر، على هاتفه الخلوي، أن يلتقط ما شاء من صور، وأن يسجّل الأحاديث أو الأصوات كما يحلو له. وباتت الكتب مصوّرة على مختلف أنواع البرامج الخاصة بتكوين المكتبات الخاصة والعامة.

واخترع المطوّرون في دنيا الصناعة الرقمية، مختلف الأدوات التي تمكننا من نقل ما نريد حفظه من صور وتسجيلات إلى «مخازن»، راوحت بين ما يسمّى «يو إس بي»، ذا السّعة المحدودة، وبين القرص الرقمي المسمّى «إكستيرنال هارد ديسك»، وأخذت هذه الوسائل في الانتشار وأسعارها في الانخفاض، حتى إن من الأقراص الرقمية التي تتسع اليوم لاثنين تيرابايت، ما لا يتجاوز سعره المئة دولار أمريكي. وهي قادرة على حفظ نتاج عمر من الصور والتسجيلات وغيرها من المحفوظات.

وصارت هذه الأقراص وسيلة عملية للمكتبات الشخصية، لمن يريد الاحتفاظ بما يشاء.

غير أن هذه الأقراص، معرّضة هي الأخرى للتلف أو حدوث خلل، غير قابل للإصلاح، فتضيع كل المحفوظات فيه.

«كلاود» و«ناس»

وظهر ما يسمَّى اليوم «كلاود»، أي الغيمة، وهي موقع يستقبل ممن يشاء المحفوظات التي يرغب في خزنها، واستعادتها، أو استعادة استعمالها، متى شاء، حيثما كان مع حاسوبه الشخصي. وعلى الرغم من أن إدارة «كلاود»، تؤكد أن المحفوظات فيها محميّة، غير أن نسبة من أصحاب المحفوظات، يخشون على محفوظاتهم من أن تتسرّب إلى من لا يشاؤون إطلاعهم عليها، مثل الشؤون العائلية الخاصة، أو الأسرار التجارية أو الصناعية، أو ما إليها.

ما العمل إذاً؟
ثمة من يطرح اليوم في أسواق الوسائط الرقمية، ما يسمّى «ناس» (Network Attached Storage, NAS)، وهو جهاز لخزن المحفوظات، إلا أنه محدود المدى، فلا يستعمله، ولا يصل إلى مضمونه، إلا مجموعة من الناس، قد يكونون موظفين في شركة، أو مجموعة عائلية معينة. وهو يقيم شبكة اتصال مقفلة، بين أولئك المصرّح لهم دخوله، وسعته كبيرة جداً، حتى للشركات. وهو سهل الاستخدام، ويمكن الاتصال به عبر الإنترنت اللاسلكي، حتى قيل فيه إنه «كلاود خاص».

عصر الظلمات

لكن كل هذا يبدو أنه لا يكفي. فتكاثر وسائل خزن المحفوظات، ربما يؤدي إلى نتيجة معكوسة. إذ يطلق المؤرخون وخبراء المحفوظات على زمننا هذا عبارة: «عصر الظلمات الرقمي». وعبارة عصر الظلمات، تذكّرنا بفترة القرون الوسطى، التي حلّت في أعقاب انهيار الإمبراطورية الرومانية، وهو انهيار أدى إلى تراجع جذري في وسائل تدوين وتسجيل تاريخ الغرب نحواً من ألف سنة متوالية. لكن في عصر الظلمات الرقمي الذي يحذّروننا من أننا نعيش في أيامه الآن، لا تلوموا قبائل «الفيزيقوط» أو قبائل «الفاندال» الذين كانوا وراء انهيار الإمبراطورية الرومانية. الملوم في عصر الظلمات الرقمي هو الطبيعة الهشّة السريعة الزوال التي تميّز وسائل التدوين الرقمي في يومنا هذا.

فلنتذكر كل المحفوظات التي وضعناها على أقراص «فلوپّي» (floppy)، وهي محفوظات ضاعت الآن منّا إلى الأبد. ثم توالى فيما بعد ظهور البدائل المختلفة، فمن أقراص الزمام (zip discs) إلى أقراص «سي دي روم» المدمّجة (CD-ROMs)، إلى المخازن الرقمية الخارجية، حتى وصلنا إلى عصر نخزّن فيه محفوظاتنا في «الغيمة الإلكترونية».

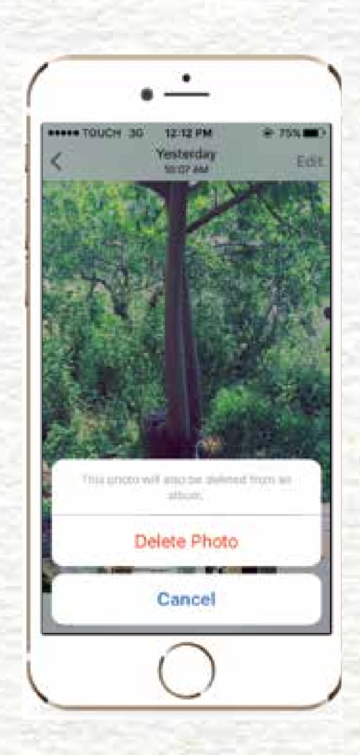
دع عنك كل الصور والنصوص والتسجيلات والوثائق التي ضيعتها البشرية بسبب انهيار الكمبيوترات.

إن كل انتقال من وسيلة حفظ، إلى وسيلة حفظ جديدة، شهد ضياع تريليونات لا تعدّ من الوثائق والصور والتسجيلات. ولا شك في أن المفارقة، هي أننا على الرغم من أننا ننتج من المحفوظات أكثر مما أنتجت أي حضارة سالفة بما لا يقاس، فإننا في الوقت نفسه ندمّر ما لا يُحصَى من الوثائق المهمّة، حتى إن الأجيال الآتية قد لا تجد ما تعرفه عنا وعن وجودنا على هذه الأرض يوماً.

لقد تأمل أخيراً نائب رئيس شركة «غوغل» فينت سيرف، في شأن كتاب دوريس كيرنز غودوين «فريق متنافسين: عبقرية أبراهام لنكولن السياسية»، وقال: «مثل هذا الكتاب قد لا يكون ممكناً كتابته في أشخاص يعيشون في يومنا هذا... فالمضمون الرقمي، مثل الرسائل الإلكترونية التي قد يحتاج إليها الكاتب، تبخّرت، لأن أحداً لم يحفظها، أو أنها موجودة في مكان ما، لكن لا يمكن قراءتها أو الاستفادة منها، لأنها محفوظة وفق برامج إلكترونية مضى عليها الزمن».

انظر إلى الصور التي حفظتها على هاتفك الخلوي. إن قلة منّا يدركون هذا، لكن البرمجة التلقائية (default settings) في الأجهزة الإلكترونية، مثل الهواتف الذكية، تقضي بحفظ الصورة أو النص أو التسجيل، لا محوها. خُذ صورة أو سجِّل فيديو، فيحفظها جهاز «أبل»، أو يرسلها للحفظ في أي مخزن من مخازن حسابك الشخصي. فإذا كنت مثل معظم الناس، فإنك تلتقط من الصور أكثر بكثير مما تمحو منها. ولكن حتى حين «تمحو» (delete) شيئاً من جهازك الإلكتروني، فإنه لا يُمحَى حقاً، بل إنه ينتقل فقط إلى ما يسمّى ملف «الصور المُمحاة» (Deleted Photos). ولكن من أجل أن تمحو حقاً

من أجل أن تمحو حقاً شيئاً ما من على جهازك الإلكتروني، فعليك أن تمحوه مرة أخرى من ملف «الصور الممحاة»، ومعظم الناس لا يكلّفون أنفسهم هذا العناء





إن الانتقال من برنامج إلى برنامج ومن جهاز إلى جهاز، أخذ يغتال تراثنا الموسيقي والأدبي والفني. والأمر ليس جديداً. فهواة الموسيقى الباحثون عن روائع ظهرت على أسطوانات 78 دورة في الدقيقة، لم يجدوها فيما بعد على أسطوانات 33 دورة في الدقيقة

شيئاً ما من جهازك الإلكتروني، فعليك أن تمحوه مرة أخرى من ملف «الصور الممحاة»، ومعظم الناس لا يكلّفون أنفسهم هذا العناء.

لذا فإن هذا العدد الهائل من الصور اليومية، كصور ولدك في حفلة المدرسة الثانوية، أو صور بطاقات سفرك، أو صور السلع التي ترغب في الحصول على مزيد منها، جميع هذه تراكم.

وما دمنا نحجم عن محو مثل هذه المحفوظات، غير الضرورية في معظم الأحيان، يَتوقّع بعض الخبراء، أن تداهمنا أزمة سعة رقمية، بضخامة ملحمية أسطورية.

الاحتفاظ بكل شيء، أكان ضرورياً أم لا، هو ظاهرة العصر الرقمي. كانت الصور الفوتوغرافية الورقية غالية الثمن، إذا أردنا تظهيرها وطباعتها. لذا التقطنا القليل منها، ثم إننا لم نُظهّر كل ما التقطناه من صور.

المفارقة الأكثر تأثيراً، هي أننا حتى ونحن نحفظ ثلاث نسخ من تريليونات، بل زيليونات الوثائق والصور، فإننا لا نعاود مشاهدتها ومطالعتها، في معظم الحالات مرة أخرى. وهكذا تمحو «الرقمنة» الأعمال الثقافية أو الوثائق الضرورية بالجملة.

من الأفلام التي عددها بين 80 ألفاً و90 ألفاً، والتي نُسِخَت على أقراص «دي في دي» في الولايات المتحدة الأمريكية، لم تنتقل إلى الوسائل الإلكترونية المتاحة اليوم، إلا نسبة ضئيلة. سبب هذا في معظم الحالات أن الشركات مثل «نتفلكس»، لا تستطيع أو لا تريد أن تشتري حقوق هذه الأفلام، التي لها أصحاب حقوق أدبية يريدون أن يجمّدوا ما يملكون، للحصول على أموال أكثر. ونتيجة لذلك، إذا أردت أن تشاهد أفلاماً كلاسيكية، فأمَلك الوحيد هو أن تشتري قرص «دي في دي» قديماً مستعملاً، بواسطة «إيباي» (على شرط أن تكون محتفظاً بآلة تشغيل هذه الأقراص). بالطبع، عند كل انتقال إلى جهاز رقمي ذي برنامج جديد، صار كثير من الأفلام المهمة، غير متاحة لهواة الأفلام. كثير من أعظم الأفلام لم تتحوّل أبداً من صيغة الفيديو «في إتش إس» إلى أقراص «دي في دي».

إن الانتقال من برنامج إلى برنامج ومن جهاز إلى جهاز، أخذ يغتال تراثنا الموسيقي والأدبي والفني. والأمر ليس جديداً. فهواة الموسيقى الباحثون عن روائع ظهرت على أسطوانات 78 دورة في الدقيقة، لم يجدوها فيما بعد على أسطوانات 33 دورة في الدقيقة. وعند الانتقال من أسطوانة الشمع، إلى أسطوانة «سي دي»، ضاعت أطنان من الأنغام. كم من الموسيقى الضائعة فقدنا، ونحن نحب سماعها. لكن مهلاً، يبدو أن ضياع التراث مع التطور الرقمي المستمر أشد تدميراً هذه المرة، مع انتقال التسجيلات من الوسائل المادية الملموسة، إلى النطاق الأثيري الافتراضي.

صار سهلاً نسيان عددٍ كبير من الكتب التي لم تتحوّل رقمياً، لا سيما وأن الشركات مثل أمازون، تبيعك حق قراءة 600 ألف كتاب لقاء مبلغ معيَّن. في هذه المجموعة، لا نجد أسماء كتّاب كبار. فقد صدر في العالم 129 مليون كتاب، حتى سنة 2010م.

اشترك إذاً بإحدى هذه الشركات على الشبكة الدولية «الإنترنت»، وستحصل على مدخل إلى أقل من 0,5% من كتب العالم. لكن لا عليك، فسيظل في إمكانك أن تنظر إلى صور أولاد مدرسة يلعبون.

هذا إلى أن تشتري هاتفاً جديداً.

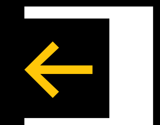





بساط الريح

ضمن حكايات «ألف ليلة وليلة»، ثمة واحدة تتحدَّث عن سجادة سحرية لها القدرة على الطيران بمن عليها من مكان إلى مكان، في استحضار لحلم البشرية القديم بالطيران. وبعدما ظهرت الطائرة قبل مئة عام، لم تتوقف الأبحاث لإنتاج بساط الريح!

حسن الخاطر



فيزيائياً، تتباين المواد والعناصر الكيميائية في موصليتها - أو مقاومتها - للتيار الكهربائي. المقاومة الكهربائية لها علاقة بدرجة الحرارة، فتنخفض بانخفاضها وتزداد بازديادها. فعندما نقوم برفع درجة حرارة موصِّل فإن مقاومته تزداد، والسبب الذي يجعل المادة تقل مقاومتها بانخفاض درجة الحرارة يعود إلى قلة الحركة الاهتزازية للذرات، التي تسمح بدورها بتدفق الإلكترونات بحرية أكثر. وعليه، فإن عدد الاصطدامات يقل بين الإلكترونات والذرات. أما ارتفاع درجة الحرارة فناتج عن زيادة حركة الذرات ما يشكِّل صعوبة في تدفق الإلكترونات.

والمقاومة الصفرية تعني لنا كثيراً، لأن المقاومة مسؤولة عن ضياع الطاقة الكهربائية دون فائدة. فأسلاك الكهرباء النحاسية تفقد طاقة أثناء نقل الكهرباء، لكن في حالة المواد المعروفة بـ «الموصلات الفائقة» فإن الضائع سيكون شبه معدوم، ما يعني توفيراً هائلاً في الموارد والنفقات. إن للموصلات الفائقة القدرة على الاحتفاظ بالتيار الكهربائي، ويمكن له أن يستمر في مروره عبر حلقة مصنوعة من مادة فائقة الموصلية مع عدم وجود مصدر للطاقة! ذلك أنه لا يوجد ما يعيق حركة الإلكترونات ويبدد طاقتها، لكن هذه الفكرة تعترضها موانع منها ضرورة تبريد المادة فائقة التوصيل بشدة، وهذه العملية باهظة التكلفة.

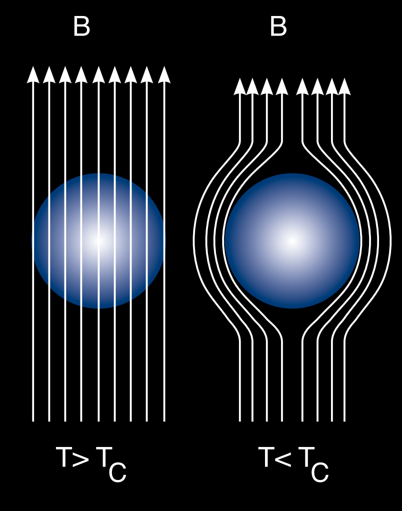
ما هي «ظاهرة مايسنر»؟

في عام 1933م، اكتشف الفيزيائيان الألمانيان مايسنر وأوشنفلد، أثناء بحوثهما في الموصلات الفائقة حول عنصري القصدير والرصاص، أنها تطرد الحقل المغناطيسي. أي إن هناك قوة تدافع بين المغناطيس والموصل الفائق. وعرفت هذه الظاهرة باسم «ظاهرة مايسنر». فإذا قمنا بوضع مغناطيس فوق موصل فائق، فسوف يطفو المغناطيس فوق الموصل الفائق ويبقى معلقاً في الهواء، فالمادة فائقة التوصيل بسبب ما يصاحبها من تيارات تأثيرية على سطحها نتيجة انعدام المقاومة تنتج حقلاً مغناطيسياً يلغي تماماً الحقل المغناطيسي الأصلي الذي يحاول النفاذ إلى المادة فائقة التوصيل. وتمت الاستفادة من هذه الخاصية في تصميم القطارات السريعة الطائرة المعلّقة في الهواء. فتصور أنك في قطار الطفو المغناطيسي الياباني مغادراً طوكيو بسرعة تفوق 500 كم في الساعة! أي ما يعادل 0.4 من سرعة الصوت! وهذه السرعة الهائلة هي نتيجة انعدام الاحتكاك إذ إنه من المعروف فيزيائياً أن قوة الاحتكاك تعيق الحركة ذلك أنها تعمل في الاتجاه المعاكس لها.

يواصل العلماء بحوثهم في مجال المواد فائقة التوصيل، ومن الأهداف الرئيسة البحث عن موصلات فائقة في درجات حرارة أعلى. ذلك أن الحصول على الهيليوم السائل اللازم للتبريد مكلف جداً كما سلف. ومنذ عام 1986م، تحققت قفزة كبيرة في مجال الموصلات الفائقة التي تعمل في درجة حرارة عالية، ويعود الفضل في ذلك إلى الفيزيائيين موللر وبيدنورز، حيث اكتشفا مركباً سيراميكياً يتكون من «لانثانوم-باريوم- أكسيد النحاس» ودرجة حرارته الحرجة 35 كالفن، وقد حاز هذان العالِمان جائزة نوبل في عام 1987م نظير اكتشافهما. وفي العام نفسه تم اكتشاف مركب سيراميكي آخر يتكوَّن من «إتريوم-باريوم- أكسيد النحاس» الذي بلغت درجة حرارته الحرجة 93 كالفن، أي أعلى من درجة غليان النيتروجين، مما فتح للعلماء أملاً كبيراً في مواصلة طريقهم. أي إننا لا نحتاج للهيليوم المسال للتبريد. فهذه المواد الفائقة تعمل في النيتروجين السائل، الذي يغلي عند درجة 77 كالفن أي 196 درجة مئوية تحت الصفر، ويسهل الحصول عليه مقارنة بالهيليوم. وباكتشاف هذا المركب دخلنا عصر الموصلات الفائقة عالية الحرارة.

وحتى هذه اللحظة ما زال العلماء يحاولون اكتشاف مركّبات جديدة تعمل في درجة حرارة مرتفعة من خلال التجربة. ذلك أنه لا توجد نظرية واضحة تفسر





عمل الموصلات الفائقة في درجة الحرارة المرتفعة، ولا توجد نظرية مقبولة قبولًا عاماً حتى الآن. والآلية الأساسية الفيزيائية لهذه الظاهرة غير مفهومة بشكل كامل، وقد تم الوصول إلى موصلات فائقة مرتفعة الحرارة مقارنة بالموصلات التي سبقتها، منها على سبيل المثال مادة تتكوَّن من زئبق وثاليوم وباريوم وكالسيوم وأكسيد النحاس، ودرجة حرارته الحرجة تبلغ 138 كالفن أي 135 درجة مئوية تحت الصفر، وكان ذلك في عام 1994م. وعلى الرغم من هذه الدرجة المرتفعة نسبياً إلا أنها لا تزال بعيدة كل البُعد عن الدرجة المأمولة، إضافة إلى مواد درجات حرارتها الحرجة مرتفعة نسبياً إذا وضعت تحت تأثير الضغط.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك تحدياً كبيراً وصعباً جدّاً يواجه العلماء وهو الحصول على موصلات فائقة في درجة حرارة الغرفة (25 درجة مئوية) ومن دون الحاجة إلى تبريدها إطلاقاً. والبحث ما زال مستمراً في هذا المضمار.

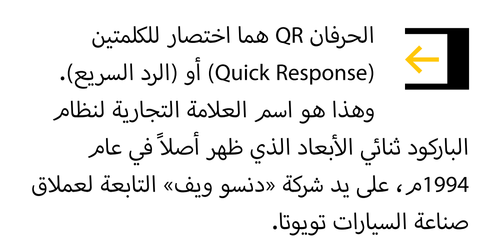
فإذا استطعنا الوصول إلى هذه الخلطة السحرية، ستولد عندنا تطبيقات تكنولوجية لا حدود لها. إذ سوف نستبدلها بالأسلاك النحاسية وننقل الطاقة الكهربائية بالمجان، وليس هذا فحسب، فسنعبّد بها الطرقات بدلًا من الأسفلت لتصير عندنا شوارع ذاتية الدفع تسبح فوقها مركباتنا بسرعات عظيمة. وإذا حدث ذلك بالفعل، فسنقود أخيراً السيارات الطائرة التي ظهرت في أفلام الخيال العلمي، وسيتفوق كل منا على علاء الدين وبساطه السحري.



منتج

كود الرد السريع

د. أشرف فقيه

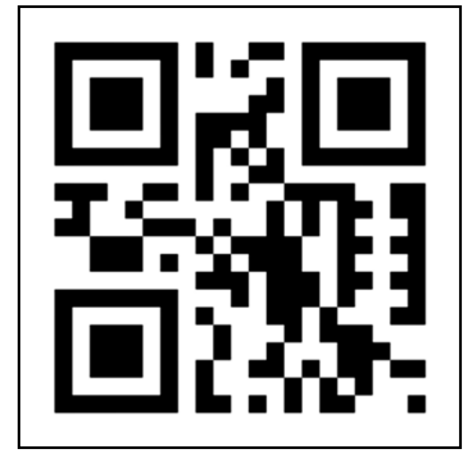


الحرفان QR هما اختصار للكلمتين (Quick Response) أو (الرد السريع). وهذا هو اسم العلامة التجارية لنظام الباركود ثنائي الأبعاد الذي ظهر أصلاً في عام 1994م، على يد شركة «دنسو ويف» التابعة لعملاق صناعة السيارات تويوتا.

هذا الكود المليء بالنقاط البيضاء والسوداء أُريد له أن يقدِّم حلاً داخلياً لتتبع قطع غيار السيارات أثناء مرحلة التصنيع. لكنه انتشر اليوم كمنتج تعريفي لأي شيء وكل شيء. وبالتضافر مع انتشار الهواتف الذكية المزوَّدة بالكاميرات، صرنا اليوم نستعمل رمز الـ «QR»، لنحدِّد مواقع منازلنا على الخرائط التفاعلية، ونوفر المعلومات والتواريخ الخاصة بالبضائع والمواقع السياحية، ونتبادل عناوين الإنترنت والبريد الإلكتروني، بل ونرسل رسائل تهنئة قصيرة. وها نحن نجد هذا الكود على أغلفة الكتب ولوحات مواقع البناء وبطاقات التهنئة. فصار أحدنا يستعيض عن بطاقة عمله برمز الرد السريع هذا الذي يتضمَّن كل بياناته الضرورية. كما أن لهذا المنتج دوراً مهماً في تعقّب ومتابعة الشحنات من أمتعة وبضائع عبر خطوط التوصيل والإمداد.

لكن الانتشار الكبير لهذا الرمز يراه البعض دون المأمول. بدليل أن أعيننا قد تدرَّبت على تجاهل هذه المربعات وقلَّما اعتمدنا عليها حقاً. فما المطلوب بالضبط من هذا المنتج التعريفي؟

كثيراً ما تتم مقارنة كود الرد السريع بالكود المخطط المعروف باسم Bar Code الموجود على المنتجات التجارية خاصة وأن الاثنين يتطلبان قارئاً إلكترونياً (Scanner) قادراً على فك شفرة الكود المبهم بالنسبة للعين المجردة. ويقتصر وجه الشبه في كون الاثنين يمكن أن يُستخدما لتعريف المنتجات والأشياء. لكن الاختلافات كثيرة. فمثلاً: قارئ



الباركود يلزم أن يكون متصلاً بقاعدة بيانات تمده بالمعلومات الخاصة بالمنتج مثل السعر أو تاريخ الصلاحية. وهذا لا ينطبق على رمز الرد السريع الذي يقوم قارئه (الهاتف الذكي غالباً) بتحليله واستخراج المعلومات المخزّنة به ذاتياً، عبر معالجه الخاص من دون الحاجة إلى الاتصال بأي قاعدة بيانات. ويمكن لرمز الرد السريع الواحد أن يُخزِّن آلاف الأحرف من المعلومات وبلغات عدة تشمل العربية في حين لا يحمل البار كود أكثر من بضع عشرات من الحروف.

كيف يتم «تخزين» الأحرف في نقاط بيضاء وسوداء؟

ما يقوم به هذا الكود هو عملية تشفير للمعلومات في صيغ أصفار وآحاد ومن ثم تحويل هذه الشفرة إلى نمط مخصوص من النقاط السوداء. وحين تسلِّط كاميرا هاتفك الجوال على أحد هذه الرموز فإن برنامجاً خاصاً يقوم بقراءة نمط النقاط وإعادة ترجمتها إلى الأرقام والحروف التي صمم بها في البدء. وبطبيعة الحال فهذا توصيف فيه اختزال كبير. وقد تم اعتماد عديد من تقنيات تصحيح الخطأ الرياضية لضمان قراءة دقيقة من قبل أي كاميرا لأي رمز للرد السريع مهما كان حجمه. كما تخدم المربعات الثلاثة المميزة في الزوايا الثلاث لرموز الـ QR بمنزلة «نقاط ارتكاز» للقارئ/الكاميرا لضمان قراءة دقيقة للرمز. وبالنتيجة، يمكننا اليوم تمثيل أي صيغة من البيانات تقريباً وتبادلها بسهولة من خلال شفرة هذا الرمز.

لكن السهولة التي يمكن إنتاج وتداول هذا المنتج من خلالها قد تقلل من فاعليته بشكل كبير. فبالرغم من أن هذا الرمز قد شهد قفزة في استخدامه بين عامي 2010 و 2011م بلغت زيادتها نسب 4000 بالمئة في الولايات المتحدة.، إلا أن الناس ما لبثوا أن وجدوا أنفسهم غارقين في بحر من هذا الكود.

ففجأة صارت كل صفحة إعلانات في كل مجلة، وكل مقالة، مزينة بالكود الخاص بها. كما صارت كل التقارير الصحفية في الجرائد تُزيَّن بكود خاص به. وحين تقرأ هذا الكود بهاتفك الجوال فإنه لن يزيد من معلوماتك ولا يحسِّن حياتك بالضرورة، بل إنه في الغالب سيأخذك إلى النسخة الإلكترونية للمادة نفسها التي قرأتها للتو ورقياً، وأحياناً سيأخذك إلى موقع كاتب المقال أو إلى صفحة هيئة التحرير أو إلى موقع تجاري في دعاية فجة قد لا تكون مهتماً بها. ناهيك عن أن السهولة الكبيرة في إنتاج كود الرد السريع وترويجه، بحيث يمكن لأي كان عمل كوده الخاص وإرساله إليك عبر عديد من التطبيقات المجانية، أتاحت نوعاً جديداً من الإرهاب الإلكتروني بات معروفاً باسم (Attagging). وهنا يرسل لك أحدهم كوداً لتقرأه بنية حسنة فيأخذك إلى موقع ضار إما بمحتواه، أو بقدرته على اختراق بيانات هاتفك الجوال.

كل هذه العيوب قلَّلت من الحماسة الكبرى لكود الرد السريع، لكنها لم تنفِ بطبيعة الحال أهميته الكبرى كمنتج فعال في التعريف بالأشياء وربطها معاً، وهي سمة يتوقع لها أن تتطوَّر وتنمو مع زيادة اعتمادنا على محتوى الفضاء السايبيري وزيادة تعلقنا بهواتفنا الذكية.

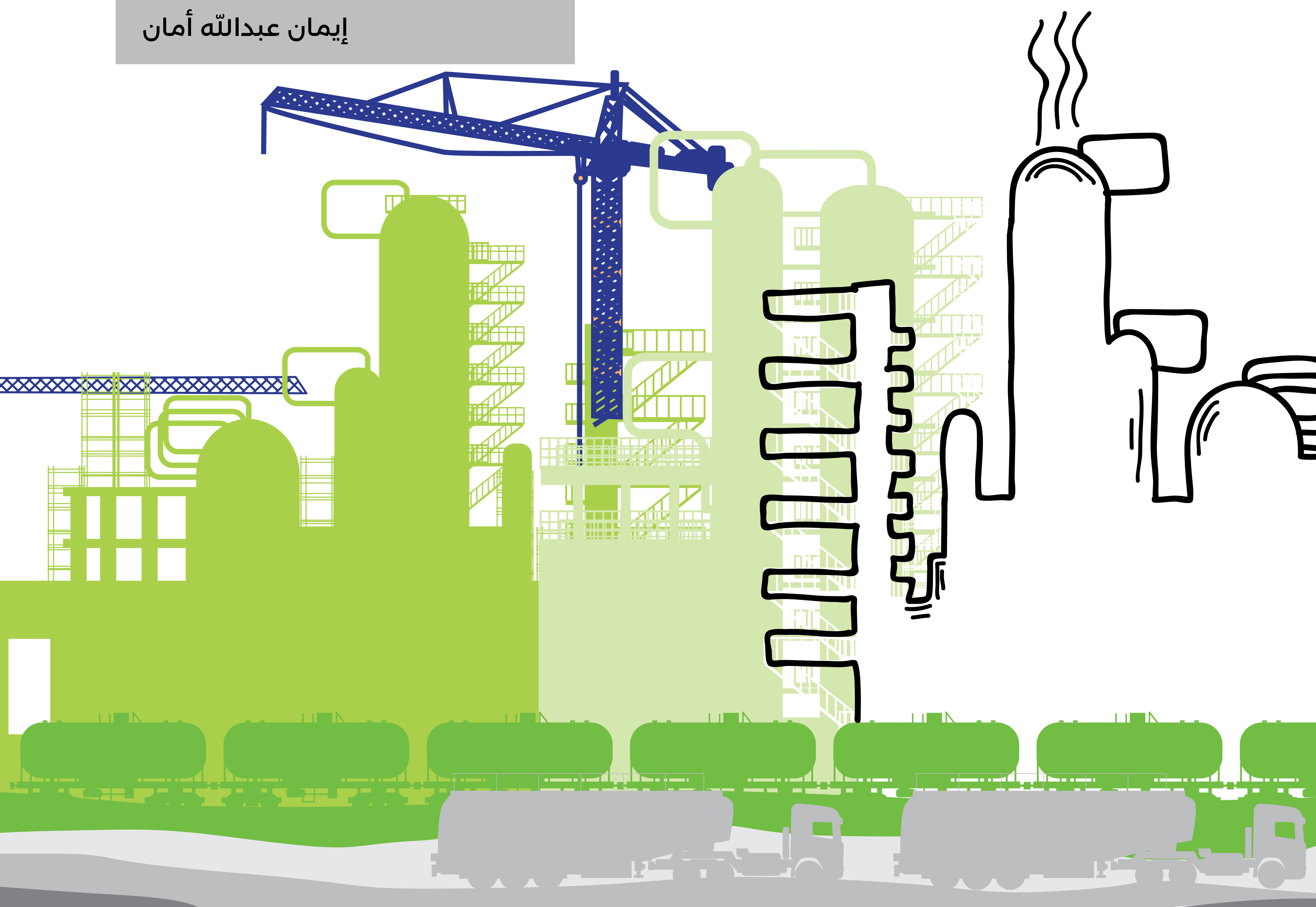
الهدف السابع في خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

ما المقصود بضمان الوصول إلى الطاقة؟

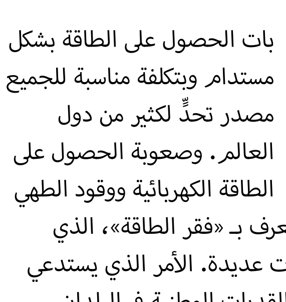
في بداية العام الجاري 2016م، بدأ رسمياً تنفيذ الأهداف الإنمائية التي وضعتها الأمم المتحدة في «خطة التنمية المستدامة 2030م»، واعتمدها قادة العالم في سبتمبر 2015م في مدينة نيويورك خلال قمة أممية اعتبرت تاريخية. وعلى الرغم من أن هذه الأهداف غير ملزمة قانوناً للدول، فقد تعهدت الحكومات بالعمل على إعداد برامج وطنية تتناسب وحاجاتها الاجتماعية والتنموية والبيئية.

ويتعلَّق الهدف السابع من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، بـ «ضمان الحصول على الطاقة» الحديثة بأسعار معقولة وبشكل موثوق ومستدام للجميع، لما لذلك من تأثير على تغير المناخ، وتشجيع العمل على تحسين كفاءة الطاقة، واستخدام مصادر الطاقة المتجددة. فما الذي يعنيه ذلك؟

إيمان عبدالله أمان







بات الحصول على الطاقة بشكل مستدام وبتكلفة مناسبة للجميع مصدر تحدٍّ لكثير من دول العالم. وصعوبة الحصول على الطاقة الكهربائية ووقود الطهي والتدفئة، صارت تعرف بـ «فقر الطاقة»، الذي تعاني منه مجتمعات عديدة. الأمر الذي يستدعي بذل الجهود لبناء القدرات الوطنية في البلدان المعنية بهذه القضية، وعقد الشراكات العالمية ودعم التقنيات الحديثة لإيصال الطاقة، للمساهمة في التخفيف من الفقر، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة وفق رؤية الأمم المتحدة.

إنه أمر أساسي لتوفير المياه النظيفة والصرف الصحي والرعاية الصحية، بالإضافة إلى الحاجات اليومية العديدة مثل توفير الإضاءة والتدفئة والطهي والنقل وخدمات الاتصالات الحديثة...



ستحتاج مرافق الطهي النظيف 4-5 بلايين دولار

ففي البلدان النامية والفقيرة، يُعد الحصول على خدمات الطاقة بأسعار جيدة وبطريقة موثوقة ومستدامة، أمراً أساسياً للحدّ من الفقر وزيادة الإنتاجية، وتعزيز القدرة التنافسية والنمو الاقتصادي. كما أنه أمر أساسي لتوفير المياه النظيفة والصرف الصحي والرعاية الصحية، بالإضافة إلى الاحتياجات اليومية العديدة مثل توفير الإضاءة والتدفئة والطهي والنقل وخدمات الاتصالات الحديثة.

مقاصد الهدف رقم 7

يتضمن الهدف رقم 7 مقاصد عديدة، أهمها:

- ضمان حصول الجميع على خدمات الطاقة الحديثة بتكلفة معقولة بحلول عام 2030م.
- العمل على زيادة حصة الطاقة المتجدِّدة في مزيج الطاقة العالمي بحلول عام 2030م.
- دعم الجهود لمضاعفة المعدل العالمي لاستمرار تحسين الاستهلاك ورفع كفاءة الطاقة ضعفين بحلول عام 2030م.
- تعزيز المساهمة والتعاون الدولي المسهّل للوصول إلى أبحاث وتكنولوجيا الطاقة النظيفة، ويشمل ذلك الطاقة المتجددة وكفاءة استخدام واستهلاك الطاقة وتقنيات الوقود الأحفوري المتقدمة والأنظف، وأيضاً تشجيع الاستثمار في البنى التحتية للطاقة والطاقة النظيفة.
- نشر ثقافة الاستهلاك الواعي المساعد على الإقلال من الهدر والتلوث. وتعزيز جهود الوصول للطاقة الحديثة والميسرة والمستدامة.
- التوسع في البُنى التحتية وتطوير خدمات التكنولوجيا، وذلك من أجل تقديم خدمات الطاقة الحديثة والمستدامة للجميع على مستوى البلدان النامية والأقل نمواً، وذلك بما يتماشى مع برامج الدعم الخاصة بكل منها على حدة بحلول عام 2030م.

ماذا يعني هذا المفهوم تحديداً؟

لا يوجد حتى الآن تعريف عالمي متفق عليه لمصطلح «الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة»، ولعل أهم النقاط الرئيسة في تعريف هذا المصطلح، هي:

- حصول كل أسرة على المستوى الأدنى من حاجتها للطاقة الكهربائية.
- استخدام الأسر لمواقد طهي وأدوات تدفئة آمنة وأقل ضرراً على الصحة والبيئة.
- الحصول على الطاقة الحديثة والممكنة لأوجه النشاط الاقتصادي الإنتاجي، مثال على ذلك الطاقة الميكانيكية لأغراض الزراعة والصناعات المتنوعة.
- الحصول أيضاً على الطاقة الحديثة لتقديم الخدمات العامة مثل الكهرباء للمرافق الصحة ودور التعليم وإنارة الطرقات.

ويعتبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن الوصول إلى خدمات الطاقة المستدامة يعدّ وسيلة لدعم برامج التنمية البشرية والمجتمعية وكذلك البرامج الاقتصادية، وتعزيز التنمية المستدامة. ويشجّع البرنامج على الاستثمار في الطاقة المتجددة للوصول إلى المناطق النائية الفقيرة للوصول لخدمات الطاقة.

ويعرِّف «بنك التنمية الآسيوي» (ABD) فقر الطاقة بأنه غياب الاختيار للحصول على خدمات الطاقة الكافية بأسعار معقولة وموثوقة وذات جودة عالية وآمنة وسليمة بيئياً لدعم الاقتصاد والتنمية البشرية.

ويرى «بنك الأمم االمتحدة للتنمية» أن مؤشر الفقر لا يقتصر فقط على الدخل المنخفض أو المنعدم، وإنما يشمل عدداً من الجوانب من بينها مقياسان يتعلقان بالطاقة. أحدهما يختص بالكهرباء الذي يُعد عدم الحصول عليها مؤشراً على الفقر. والمؤشر الآخر يتعلق بوقود الطبخ وما إذا كان قائماً على استخدام وسائل بدائية في مواقد الطعام كالحطب والفحم وروث الحيوانات كالأبقار والماشية.

الحاجة المُلحّة إلى الاستثمارات

يعتبر البنك الدولي أن نقص الاستثمارات هو التحدي الرئيس للحصول على كهرباء موثوقة ومستدامة. فهناك حاجة لضخ استثمارات هائلة تُقدَّر بحوالي 48 مليار دولار سنوياً، لتوفير سبل الحصول على الطاقة للجميع بحلول عام 2030م. وستحتاج مرافق الطهي النظيف وحدها إلى 4 أو 5 مليارات دولار من إجمالي هذه الاستثمارات.

ولتحقيق هدف الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة وبسعر ممكن، لا بد من توفر حزمة من السياسات والأدوات التي تمكّن الحكومات من دعم برامج الاستثمارات في التوسع في خدمات الطاقة المقدَّمة للناس في الدول النامية وخصوصاً

حقائق حول الحق في الوصول إلى خدمات الطاقة

• لم يكن محور الطاقة موجوداً في أهداف الأمم المتحدة الإنمائية في الألفية السابقة!
• كان صندوق أوبك للتنمية «أوفيد» أول من عنون لضرورة الوصول لخدمات الطاقة، باعتباره الهدف رقم 9 الناقص من الأهداف الإنمائية في الألفية السابقة!
• في عام 2007م أعلن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، يرحمه الله، عن مبادرة «الطاقة من أجل الفقراء»، التي اعتمدها صندوق «أوفيد» كبرنامج رائد لديه.
• يتفق الهدف رقم 7 مع مبادرة الأمم المتحدة التي أطلقها الأمين العام للأمم المتحدة السيد بان كي مون تحت عنوان «الطاقة المستدامة للجميع 2030م» في دعم هدف الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة.
• بحسب وكالة الطاقة الدولية، يوجد 1,2 مليار نسمة حول العالم لا يحصلون على الكهرباء بطرق آمنة وحديثة.
• واحد من كل خمسة أشخاص حول العالم يفتقر إلى الحصول على خدمات الطاقة الحديثة.
• أكثر من 95% من أولئك الذين يفتقرون للوصول لخدمات الطاقة الحديثة هم في قارة إفريقيا خصوصاً جنوبي الصحراء الكبرى، وفي أرياف الدول الآسيوية.
• في بلدان جنوبي الصحراء الكبرى وحدها، هناك 600 مليون إفريقي لا يحصلون على الكهرباء!
• هناك 31 مليون شخص يفتقرون إلى خدمات الطاقة الكهربائية في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي!
• ما زال نحو 2,7 مليار نسمة (ما يعادل 41% من سكان الأرض) وأغلبهم من النساء، يعتمدون في الحصول على الطاقة على مصادر بدائية مثل الخشب والفحم الحجري والنباتي ومخلفات الحيوانات، لأغراض المعيشة اليومية كالطبخ والتدفئة.
• هناك حوالي 4,3 مليون حالة وفاة مبكرة سنوياً في العالم، تعزى إلى تلوّث الهواء في المنازل نتيجة للاستخدام التقليدي للوقود المولّد من الكتلة الحيوية كالحطب ونفايات الحيوانات في أماكن سيئة التهوية.
• تتسبب الطرق البدائية في استخدام الطاقة إلى انتشار أمراض جهاز التنفس، وأيضاً وفاة مليوني شخص كل عام، و85% من هؤلاء هم من النساء والأطفال!
• سيسهم تقديم الحلول النظيفة للطهي إلى الحدّ من إزالة الغابات!
• هناك دراسات تشير إلى أن الإحراق الناتج عن استخدام مصادر بدائية للوقود المستخدم لأغراض الطهي والتدفئة مسؤول عن حوالي 10 إلى 15% من انبعاثات الغازات الدفيئة عالمياً!
• تفارق الحياة يومياً 800 امرأة بسبب المضاعفات الصحية للحمل والولادة، والحقيقة أنه يمكن تفادي هذه الحوادث الأليمة لو توفرت الطاقة الكهربائية المستدامة لتقديم الخدمات الطبية اللازمة.
• هناك ترابط أساسي بين الهدف رقم 7 (الوصول إلى الطاقة) وباقي الأهداف الإنمائية المستدامة، باعتبار الوصول إلى خدمات الطاقة بشكل آمن ومستدام يعتبر ركيزة لمواجهة تحديات عالمية مثل القضاء على الفقر ومشكلة تغير المناخ.
• الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة وبأسعار ممكنة يُعد ركيزة أساسية لتحقيق كافة الأهداف الستة عشر الباقية في خطة التنمية المستدامة، مثل: الصحة والقضاء على الفقر والتغير المناخي والتعليم والبنية التحتية والصناعة....إلخ.

في القرى والأماكن التي لا تتوفر فيها الشبكات الكهربائية المركزية.

ويمكن لحكومات الدول اعتماد سياسات مرنة في إدارة البرامج ومراقبة تنفيذها، مثل برامج الدعم للأسر الفقيرة، وما يشمل ذلك من آليات وحوافز متنوعة، وضمانات مالية، وبرامج التمويل الميسرة للبدء بمشاريع توفير الطاقة الكهربائية النظيفة، خصوصاً التركيز على تحسين مواقد الطهي للأسر الفقيرة. إضافة إلى ذلك، يتجلَّى بوضوح وجوب تقديم الدعم للمستثمرين والاستفادة من مصادر الطاقة المتجددة وبشكل خاص في القرى والأماكن النائية.

ولجذب الاستثمار إلى قطاع الطاقة الحديثة لا بد من توافر الأنظمة والبُنى التحتية الجيدة والقوانين التي تحمي البيئة الاستثمارية. كما أنه لا بدّ من العمل على بناء القدرات والموارد البشرية والمؤسساتية القوية، لتنفيذ السياسات والأدوات الاستثمارية والنظم المتعلِّقة بتمكين الوصول إلى مصادر الطاقة الحديثة.

الطاقة المتجدِّدة تلعب دوراً مساعداً

ويمكن أن تسهم الطاقة المتجددة بكافة أشكالها، مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها، في تحسين ودعم الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة بأسعار معقولة. حيث ستساعد الطاقة المتجدِّدة على نشر الشبكات الكهربائية الصغيرة في الأرياف والقرى النائية الفقيرة التي يتعذر ربطها بالشبكات الكهربائية المركزية. إضافة إلى ما ستسهم به الطاقة المتجددة في حل المشكلات البيئية والتلوث في أساليب الطهي والتدفئة التقليدية.

ومن الأمثلة على البرامج العالمية فيما يختص بالطاقة المتجددة وتحسين الوصول إلى الطاقة «برنامج إفريقيا للطاقة المتجددة والوصول للطاقة»: الذي يهدف إلى تسريع نشر برامج الطاقة المتجددة على المستوى الإفريقي وتخفيف الفقر وتحقيق التنمية المستدامة. ويركز هذا البرنامج على الوصول إلى خدمات الطاقة الحديثة الموثوقة وبأسعار مناسبة وتحسين الإضاءة ومواقد الطهي في المنازل. كذلك يؤكد هذا النوع من البرامج على اعتماد ما يُعرف بالنمو الأخضر. ويشمل تشجيع برامج التنمية منخفضة الكربون والتكيّف مع تغير المناخ وإمداد الطاقة المستدامة.

ويفترض التوسع في برامج أنظمة الكهرباء تسريع الاعتماد على الحلول التكنولوجية خارج الشبكة، في الأماكن الريفية والنائية. ومثال على ذلك إنشاء برنامج غاز البترول المسال (LPG) في إندونيسيا، كبديل للكيروسين لتلبية الاحتياجات المنزلية للأسر الفقيرة. كما أن الهند وعدداً من الدول الإفريقية بدأت تعتمد على أنظمة الطاقة الشمسية المنزلية كبديل لاستخدام الكيروسين أو الوقود البدائي.

إن مثل هذه الأهداف الكبيرة تصاحبها دائماً تحديات، خاصة عندما تحتاج إلى ضخ استثمارات كبيرة. ولكن الالتفاف العالمي لتحقيق الهدف رقم 7 من أهداف خطة التنمية المسستدامة، يبعث على شيء من التفاؤل، أو على الأقل، فإنه يؤكد صحة النظرة إلى طبيعة الحل، ويشكل فرصة ممتازة لتكاتف الجهود الدولية سعياً إلى إيصال الجميع إلى مصادر الطاقة الحديثة التي ستسهم في تحسين حياة الناس حول العالم.



الساعة البيولوجية تعالج اضطرابات النوم

لتجنب الاضطرابات الجسمانية الناجمة عن السفر من منطقة إلى أخرى ذات توقيت يختلف بشكل ملحوظ، أو حتى تلك الناجمة عن قيادة السيارة لفترة طويلة، يجب علينا التحكم بساعتنا البيولوجية. ولهذه الغاية، قام فريق من الباحثين من معهد «ناغويا» للبيولوجيا والجزيئات الحيوية في سنغافورة، بالعمل على توليف جزيئات تؤثر على واحدة من البروتينات الأربعة التي تعمل عليها الساعة البيولوجية.

فمن المعروف أن كل الكائنات الحيوية من نبات وحيوان وفطريات، تمتلك ساعة بيولوجية يومية مبرمجة على أساس وحدة زمنية هي 24 ساعة. وتتحكم هذه الساعة بدورات اليقظة والنوم وعمليات التمثيل الغذائي أو الأيض.

وعندما تتعطل هذه الدورة كما يحدث مع ملاحي الطائرات وركابها مثلاً خلال الرحلات الجوية الطويلة، تظهر نوبات القيلولة بديلاً عنها. ولكن الضرر الناتج عن هذا التعطل على المدى الطويل يطال القلب والأوعية الدموية والغدد الصماء وجهاز المناعة، فيرتفع ضغط الدم وتزداد السمنة واضطرابات الصحة العقلية.

إن ساعتنا البيولوجية تعمل بواسطة أربع منظِّمات بروتيين رئيسة، تعمل بدورها في وقت واحد على تشكيل دورة من التنشيط والإطالة والتوقف، مدّتها يوم كامل. ويعمل الفريق على توليف جزيء يشبه أحد البروتينات الأربعة الذي يؤثر على جانب محدَّد من هذه الدورة، لكنه يختلف عنه في عمله. وهكذا تقوم عملية الخداع هذه على تغيير مجرى توقيت دورة الساعة كما نريد.



ويقول تاكاشي يوشيمورا، أحد كتَّاب المقالة عن هذا الموضوع، إننا نتمنى أن نستخدم الكيمياء الوهمية لتصميم جزيئات حيوية بإمكانها السيطرة على السكتات الدماغية والتحكم بالساعة البيولوجية، للاستفادة منها في تطبيقات طبية مثل معالجة مشكلات الأرق والنوم وغيرها الكثير.

http://healthmedicinet.com/jet-lag-newly-synthesized-molecules-turn-back-biological-clock/

لاصق جديد يتصلَّب فوراً بواسطة التيار الكهربائي



معظم المواد اللاصقة السريعة المتوفرة حالياً تتصلَّب إما بالضوء أو الحرارة أو ببعض المحفزات الكيميائية. وكل لاصق مخصص لمواد أو بيئة معينة ولا يصلح لغيرها. فاللواصق التي نطبق عليها الضوء لتجف مثلاً، هي ملائمة فقط لتلك التي تتسم بالشفافية إلى حد ما، في حين لا يمكن استخدام الحرارة إلا مع المواد التي تتسامح معها.

وتُستخدم هذه المواد اللاصقة السريعة في مروحة واسعة من صناعات الأجهزة الطبية والسيارات والسلع الاستهلاكية لأنها تتمتع بميزات تفاضلية بالمقارنة مع الأخرى. فالمسامير بأنواعها والسحابات والبراغي المعدنية مثلاً تضعف المواد المطبقة عليها. والغريب أن يغيب الابتكار في هذا الحقل لعقود بالرغم من الحاجة الملحَّة إليه.

لكن فريقاً من الباحثين في جامعة نانيانغ للتكنولوجيا في سنغافورة توصل لاكتشاف لاصق جديد سيغير قواعد اللعبة في مجالات صناعية متعددة مثل زراعة الأعضاء في الطب وصناعة السيارات وغيرها.

فاللاصق الجديد هو نوع من هلام أو «جل» سائل يتصلَّب ليصبح نوعاً من رباط البوليمر عند تمرير تيار كهربائي خلاله بقوة أقل من اثنين فولت. والتصلب هو المرحلة من الوقت المطلوب ليصل الغراء إلى كامل قوته بعد مرحلة جفافه. وهذا الغراء الجديد يتوقف فوراً عن التصلب حالما نقطع عنه التيار.

وهكذا يمكن للمستخدمين ضبط قوة الرباط ومرونته بواسطة قوة التيار ومدته.

وأهمية هذا الرابط الجديد أنه يمكّن المستخدم من أن يغلّف المواد ويضعها ويركزها حيثما يشاء، لتصبح لديه مفاصل قوية، ذات مرونة كبيرة ومقامة إلى حد كبير لقوة القص.

والأجهزة البيولوجية هي من الاستخدامات المحتملة لهذه اللواصق الجديدة، حيث إن تطبيق الضوء والحرارة ينطوي على مشكلات كثيرة بالنسبة إلى الإلكترونيات البيولوجية وإلكترونيات البوليمر المخصصة والمصممة لربط الأنسجة الحية. وهكذا يمكن ضبطها للتعامل مع ترددات بذبذبات محددة، أو تتناسب مع ثبات ومرونة الأنسجة المطبقة عليها.

http://phys.org/news/201605--instantly-hardens-electric-current.html

تخزين الطاقة في رقاقة متناهية الصغر



طوّر علماء من «مركز البحوث التقنية في فنلندا» طريقة فعَّالة لتخزين الطاقة في مكثف كهربائي فائق، صغير جداً، يمكن أن يتكامل مباشرة داخل رقاقة السيليكون المتناهية الصغر. وتعتمد هذه التقنية على مواد نانوية هجينة (أي خليط من أجزاء متباينة متناهية الصغر) طُوّرت حديثاً في المركز نفسه. وهذه التكنولوجيا مهمة جداً لأنها تفتح آفاقاً جديدة للأجهزة النقالة المتكاملة وتمهِّد الطريق إلى نوع جديد من الأجهزة ذاتية العمل، التي تحتاج إلى صفر من الطاقة الخارجية التي يحتاجها المستقبل لما يعرف بإنترنت الأشياء.

والمكثفات الكهربائية الفائقة هذه تشبه البطاريات الكهروكيميائية. مع ذلك، وعلى النقيض مثلاً من بطاريات إيونات الليثيوم في الهواتف النقالة، التي تستخدم التفاعلات الكيميائية لتخزين الطاقة على شكل تيار كهربائي، فإن المكثفات الجديدة تخزن طاقة كهربائية ساكنة مرتبطة بالسطح بين الأقطاب الكهربائية السائلة والصلبة.

فالطاقة وكثافة القوة لهذه المكثفات تعتمد على مساحة وموصلية الأقطاب الكهربائية الصلبة. وقد طوّر الفريق الفنلندي أقطاباً من مادة نانوية هجينة، تتألَّف من سيليكون قابل للاختراق، ومغلَّفة بطبقة سماكتها متناهية الصغر من نيتراد التيتانيوم. ويؤدي هذا النهج إلى سطح موصل للكهرباء بشكل كبير وقياسي في حجم صغير نسبياً.

ووصف أداء هذا المكثف الكهربائي الجديد بأنه ممتاز. فللمرة الأولى ينافس مكثف يعتمد السيليكون مع أجهزة رائدة تعتمد على الكربون والغرافين.

وهذه المكثفات الفائقة الصغيرة بإمكانها التكامل حالياً مع الأجهزة العاملة لتخزين الطاقة المتولدة من الحرارة والضوء والاهتزاز لتزويدها عند الحاجة. وهذا أمر مهم جداً لشبكات الاستشعار ذاتية العمل وللألبسة الإلكترونية والأجهزة النقالة الضرورية لشبكات (إنترنت الأشياء).

وقد دفع الفريق الفنلندي الباحث التكامل بين هذه المكثفات الجديدة إلى أقصى حدٍّ بدمجها داخل رقاقة السيليكون. وتبيّن أن هذا التداخل أنتج طاقة 2 وات على رقاقة سيليكون مساحتها سنتيمتر مربع واحد. وهو في الوقت نفسه يترك سطح الرقاقة متاحاً لعمل الدوائر الكهربائية الدقيقة المتكاملة مع أجهزة الاستشعار.

https://www.sciencedaily.com/releases/2016160608103953/06/.htm



الاسم المعياري

بيكريل


أنطوان هنري بيكريل

على الرغم من أن اكتشاف النشاط الإشعاعي لبعض العناصر مثل الراديوم واليورانيوم ينسب دائماً إلى الزوجين بيير وماري كوري. إلا أن شخصاً ثالثاً شاركهما جائزة نوبل في الفيزياء التي مُنحت لهما عام 1903م، وهو الفرنسي أنطوان هنري بيكريل الذي كان دوره في اكتشاف النشاط الإشعاعي الذري كظاهرة فيزيائية مهماً لدرجة أن اسمه قد اعتُمد للوحدة العالمية المعيارية لقياس النشاط الإشعاعي منذ العام 1975م. ويعرَّف البيكريل الواحد بأنه كمية الإشعاع الصادرة من مادة مشعة تتحلل فيها نواة واحدة في الثانية الواحدة.

والنشاط الإشعاعي هو خاصية لأنوية الذرات تصل بها إلى حالات أكثر استقراراً، وقد تحولها إلى عناصر أخرى. وبعض العناصر تشع إلكترونات وغيرها تشع موجات كهرومغناطيسية ذات طاقة عالية. فعن الاضمحلال الإشعاعي لعنصر الراديوم مثلاً ينتج غاز الرادون.

عُرف النشاط الإشعاعي قبل بيكريل. لكن ساد اعتقاد بأن بعض العناصر تصدر طاقة، يمكن ملاحظاتها على شكل وهج، فقط إذا ما عرِّضت للشمس. وكان التفسير آنذاك أن العناصر تمتص طاقة أشعة الشمس ثم تصدرها خارجاً لاحقاً. لكن ملاحظات بيكريل غيرت هذه النظرة. وكانت هذه الملاحظات نتيجة لتجارب مدفوعة باكتشافات الألماني رونتجن حول الظاهرة الفلوورية Fluorescence والمتعلِّقة بإصدار العناصر للإشعاع الضوئي إذا توافق الطول الموجي للضوء الساقط عليها مع مستويات الطاقة الخاصة بذرات تلك الطاقة. وقادت التجارب رونتجن إلى اكتشاف نوع جديد من الأشعة سمَّاه (شعاع X). ومع بدايات عام 1896م، وصلت أنباء اكتشاف رونتجن إلى الأكاديمية الفرنسية في باريس.

وهناك، تلقفها بيكريل الذي أجرى اختبارات على جميع المواد التي تتمتع بالخاصية الفلوورية، مكرراً تجارب رونتجن في قياس الإشعاع، بأن غلّف تلك المواد بورق أسود وقرَّب منها لوحاً فوتوغرافياً وراقب ما إذا كان أي منها سيسوِّد اللوح كدليل على وجود نشاط فلووري. ولأن بيكريل كان مقتنعاً بأن المصدر الأساسي للإشعاع كان ضوء الشمس، فقد دُهش حين ظهر له أنه حتى في الأيام الغائمة وفي الظلام، فإن بعضاً من أملاح اليورانيوم تترك علامات إشعاع واضحة على اللوح الفوتوغرافي. ما يعني أن هذا العنصر وسواه يمتلك خاصية إشعاعية ذاتية. وهكذا تعرَّف العالم على ظاهرة النشاط الإشعاعي للمواد.

لاحقاً، تحمس الزوجان كوري لموضوع إشعاع اليورانيوم، خاصة وأن ماري أرادت أن تكون أول امرأة أوروبية تحصل على الدكتوراة في الفيزياء آنذاك. فقادتها أبحاثها إلى اكتشاف عنصر مشع آخر هو الثوريوم، ثم اكتشفت البولونيوم وسرعان ما تم اكتشاف الراديوم عام 1898م، وبات واضحاً لديها أن ثمة «إشعاعاً راديوياً» لدى هذه العناصر النشطة.

توفي بيير كوري في حادث سير. أما ماري كوري وهنري بيكريل فتوفيا بمضاعفات السرطان الذي أصابهما بسبب التعرض المباشر للمواد المشعة خلال تجاربهما في زمن لم يكن خطر هذه المواد معروفاً بعد. واليوم، تدين البشرية بكثير من ابتكارات الرعاية الطبية وتوليد الطاقة، فضلاً عن مخاوف أسلحة الدمار الشامل، لدراسات أولئك الروّاد.

ماذا لو؟

ماذا لو كان جزيء الماء مستقيماً؟

عمير طيبة



كلنا نعرف أن جزيء الماء مكوّن من ذرة أكسجين وذرتي هيدروجين. وترتبط هذه الذرات ببعضها عن طريق رابطتين تساهميتين. وتتكوّن الروابط التساهمية عادة بين اللافلزات، حيث تتشارك الجزيئات إلكتروناتها. ولأن ذرة الأكسجين فيها عدد أكبر من البروتونات الموجبة من ذرتي الهيدروجين، تكون الإلكترونات السالبة أقرب نسبياً لذرة الأكسجين. ويقدِّر الكيميائيون أن الذرات الثلاث تكوّن زاوية قدرها 104.5 درجة. ويشكِّل هذا الانحناء، بالإضافة إلى موقع الإلكترونات، ثنائية قطبية دائمة حول جزيء الماء. ونتيجة ذلك، تكون ذرة الأكسجين سالبة أكثر من ذرتي الهيدروجين في جزيء الماء لقرب الإلكترونات منها.

لكن ماذا لو افترضنا هنا أن الماء يكوّن جزيئاً مستقيماً مثل جزيء شهير آخر ألا وهو جزيء ثاني أكسيد الكربون؟. النتيجة المباشرة هي أن الثنائية القطبية ستختفي. وسيصبح جزيء الماء متعادلاً كهربياً. ونتيجة هذا التعادل هي أن الماء سيفقد كثيراً من خصائصه. إذ بسبب الثنائية القطبية في الماء، يُحدث الماء ثنائيات قطبية مؤقتة في جزيئات المواد التي تختلط به ما يؤدي إلى ذوبان هذه المواد في الماء. وهذا ما يجعل منه مذيباً قوياً. فلو كان جزيء الماء مستقيماً لما استطاع تذويب الجزيئات الأخرى. ولأن الماء وسط مهم لمعظم العمليات الحيوية، ستصبح الحياة مستحيلة من غير انحناءة جزيء الماء. فعلى سبيل المثال لن يستطيع الدم حمل وتوزيع المواد الغذائية والمركَّبات الكيميائية المذابة به حول الجسم.

وكنتيجة أخرى لانحناء الجزيء، نجد أن الثنائيات القطبية تساعد على تجاذب جزيئات الماء بعضها بعضاً فيما يسمى بالروابط الهيدروجينية. وينتج عن الرابطة الهيدروجينية أن جزيئات الماء تقاوم الانتشار مما يعني أن الماء يكون سائلاً في مدىً أوسع من درجات الحرارة. فلو فقد الماء روابطه الهيدروجينية ستزيد سرعة تبخره. أي إن درجة غليانه ستكون حول 20 درجة مئوية أو أقل، وستجف بحارنا تماماً مع بدايات فصل الربيع! كما أن فقدان التجاذب الهيدروجيني يؤدي إلى فقدان خاصية التوتر السطحي. وهي الخاصية التي تجعل بعض الحشرات قادرة على المشي فوق الماء.

وكما هو معروف، فالجليد أقل كثافة من الماء، لأن الروابط الهيدروجينية تساعد الماء في تكوين تركيبات بلورية عند التجمد. ومن خصائص البلورات أنها تخلق مساحات بين الجزيئات وبالتالي يتمدد الماء عند تبريده، فتقل كثافته ويطفو الجليد على الماء.

فلو افترضنا أن جزيء الماء صار مستقيماً، فستستحيل الحياة على عدة صُعد. وعلى الرغم من وجود بعض مركبات ذات جزيئات شبيهة بالماء (مثل كبريتيد الهيدروجين: ذرة كبريت وذرتا هيدروجين) إلا أنها لا تتمتع بالخصائص المذكورة للماء. فكبريتيد الهيدروجين لا يتمتع بثنائية قطبية كبيرة مثل الماء وبالتالي لا يستطيع تكوين الروابط الهيدروجينية. هذا ما يجعل علماء الفضاء يبحثون عن الماء تحديداً كمؤشر حتمي لوجود حياة على الكواكب الأخرى. وهذا ما يجعلهم متشوقين لمعرفة ما إذا الحياة موجودة تحت أطنان الجليد على تايتان؛ أكبر أقمار زحل.

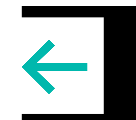
الحج

مشهدية إيمانية فريدة

وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا
مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ
رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

هذه هي الآيات من سورة الحج التي تدعو المسلمين لإقامة فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلاً. وبذلك أصبحت مدينة مكّة المكرّمة نقطة التقاء المسلمين من جميع أنحاء العالم، يحجون إليها سنوياً لإقامة ركن الإسلام الخامس. وهناك، وهم يقومون بمناسك الحج، يرسم حجاج بيت الله الحرام مشاهد لا مثيل لها، يتجسد فيها الإيمان في أبهى صوره. فتتجمع حشود المؤمنين حول البيت العتيق وتطوف في حركة دائرية واحدة، في مشهد كوني يجسّد وحدة الرب والكون والإنسانية بما يبدو معه السير في الاتجاه المعاكس خلافاً لحركة الكون.





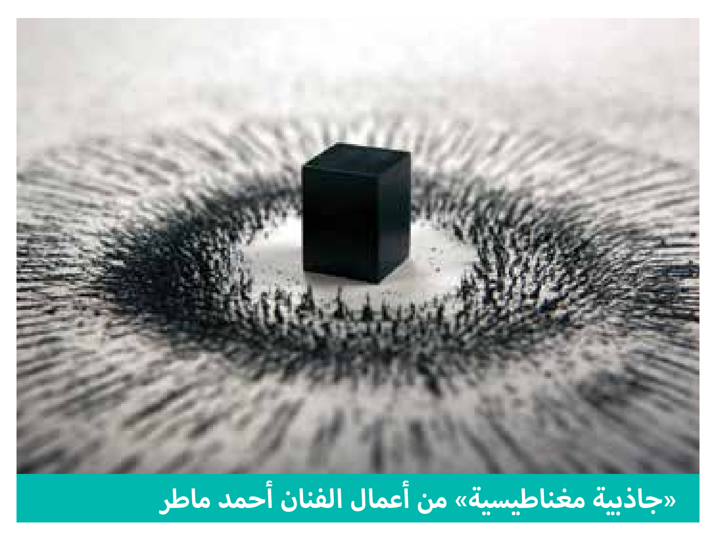
يذكرنا المشهد العظيم لملايين المسلمين في نقطة واحدة في وقت واحد وهم يطوفون بالكعبة الشريفة، بأنه لا يوجد دين آخر في العالم له قوة الجذب إلى المكان الواحد مثل الدين الإسلامي. وفي كل مرة يتوجه أي مسلم بصلاته نحو القبلة الشريفة يتم استدعاء هذا المنحى المكاني. وفي تصوير جميل لمشهد الطواف حول الكعبة، أنجز الفنان السعودي أحمد ماطر آل زياد عملاً فنياً هو أقرب إلى المشروع الفيزيائي بعنوان «جاذبية مغناطيسية»، وضع فيه مكعباً مغناطيسياً أسود كبيراً يمثل الكعبة الشريفة وحوله قطع من برادة الحديد ترمز إلى الجسم الموحد للحجاج، حيث لا فرق بين غني وفقير أو شاب وكهل، كلهم منجذبون إلى الكعبة كمركز وحيد للعالم. وقد تم عرض هذا العمل في معرض بعنوان «الحج: رحلة إلى قلب الإسلام» الذي أقيم في المتحف البريطاني عام 2012م، وكان الأول من نوعه في العالم.

مشاعر تهزّ الأفئدة

ليست رحلة الحج مجرد رحلة جغرافية فحسب، وإنما هي رحلة زمنية روحية يسعى فيها كل مؤمن إلى السير على خُطا الرسول - صلّى الله عليه وسلم -، والسعي إلى الرحمة والغفران.

يعبّر المسلمون عن قربهم من الله خاصة عندما يقفون على جبل عرفات، حيث نراهم يذرفون الدموع، وهم يقفون تحت الشمس الحارقة وسط الملايين من المؤمنين، عارفين أنه مهما كثرت الحشود من حولهم، فإنهم سيتركون هذه الأرض وحدهم للوقوف بين أيدي الله عز وجل. وهناك وثائق كثيرة لأشخاص سجلوا مشاعرهم في تلك اللحظات التي عاشوها في الحج، ومن أبرزهم الملاكم العالمي محمد علي كلاي، الذي أدّى فريضة الحج في 1989م، ومن ثم كتب يقول: «لقد كان هناك كثير من اللحظات الجميلة في حياتي. لكن المشاعر التي اختبرتها وأنا أقف على جبل عرفات في يوم الحج كانت الأقوى والأكثر فرادة على الإطلاق».

والليدي إيفلين كوبولد، السيدة البريطانية التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية والتي اعتنقت الإسلام وأصبحت أول بريطانية تقوم برحلة الحج في 1933م، كتبت رسالة مؤثرة إلى حفيدها عبَّرت فيها عن شعورها وهي تقضي مناسك الحج بقولها: «يبدو أنني لطالما كنت مسلمة».

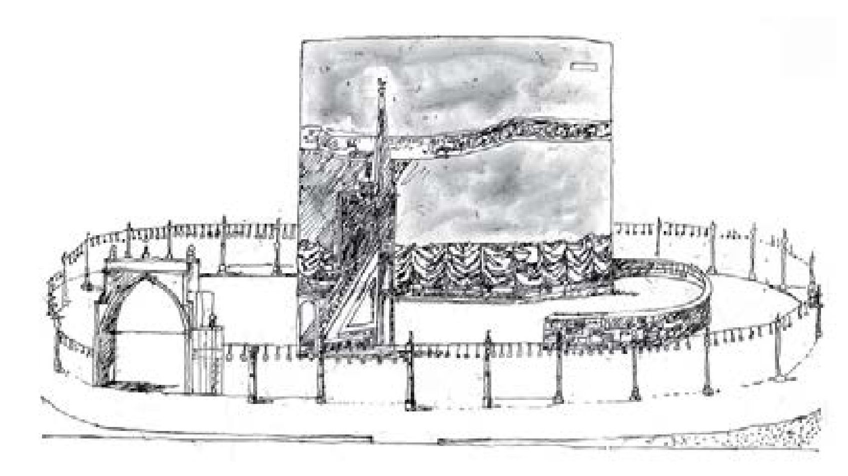


«جاذبية مغناطيسية» من أعمال الفنان أحمد ماطر

إن ارتفاع عدد الحجاج من بضعة آلاف في بداية القرن العشرين، إلى نحو ثلاثة ملايين حاج هذا العام، هو شاهد على قدرة هذا الحدث الرائع على التكيّف مع العصر

ونجد المشاعر نفسها حتى في صفوف المشككين من المستشرقين الأجانب. ففي عام 1853م، تنكّر الرحالة ريتشارد فرانسيس بيرتون بزي طبيب أفغاني، وقام بالحج إلى مكّة المكرّمة بنية الاستكشاف ليس إلا. ولكن لم يسعه إلا أن يعبّر عن إحساس غريب تملكه وهو يقف في جوار الكعبة الشريفة حيث قال: «كان الأمر كما لو كانت الأساطير الشعرية العربية تتحدث عن الحقيقة، وكأنما أجنحة الملائكة هي التي كانت تلوح في الأفق، وليس نسيم الصباح العليل هو الذي كان يلوح بكسوة الكعبة».





»لقد كان هناك كثير من اللحظات الجميلة في حياتي. لكن المشاعر التي اختبرتها وأنا أقف على جبل عرفات في يوم الحج كانت الأكثر قوة وفرادة على الإطلاق«
محمد علي كلاي

تغير الزمان وتغيرت الدروب

إن ارتفاع عدد الحجاج من بضعة آلاف في بداية القرن العشرين، إلى نحو ثلاثة ملايين حاج هذا العام، هو شاهد على قدرة هذا الحدث الرائع على التكيّف مع العصر. فمناسك الحج لم تتغيَّر من السعي بين الصفا والمروة وطواف الإفاضة والإحرام والوقوف بعرفة. ولكن الطرق إليه تغيّرت وتطورت عبر الزمن. فبعد وفاة الرسول - صلّى الله عليه وسلم -، تمّ إنشاء أربعة طرق رئيسة إلى مكّة المكرّمة. ومن أول هذه الطرق وأهمها، درب زبيدة من الكوفة في العراق إلى مكّة المكرّمة الذي أُنشئ في مطلع القرن التاسع الميلادي بطول 1448 كلم، حيث كان الحجاج من العراق وإيران وآسيا الوسطى يتجمعون قبل القيام بالرحلة إلى مكة المكرمة. وقد عُرف بهذا الاسم نسبة إلى زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد التي قامت هي شخصياً بالحج خمس مرات، وكانت قد أولت اهتماماً خاصاً بهذا الطريق، فأمرت بإنشاء الاستراحات وحفر الآبار وإدخال الإصلاحات ووضع الأعلام وتنظيف الطريق ورصفه وترميم البرك والآبار القديمة حوله. وقد أطلق اسمها، ليس فقط على الطريق نفسه، ولكن أيضاً على نظام الري المعروف باسم ربيع زبيدة في سهل عرفات خارج المدينة.

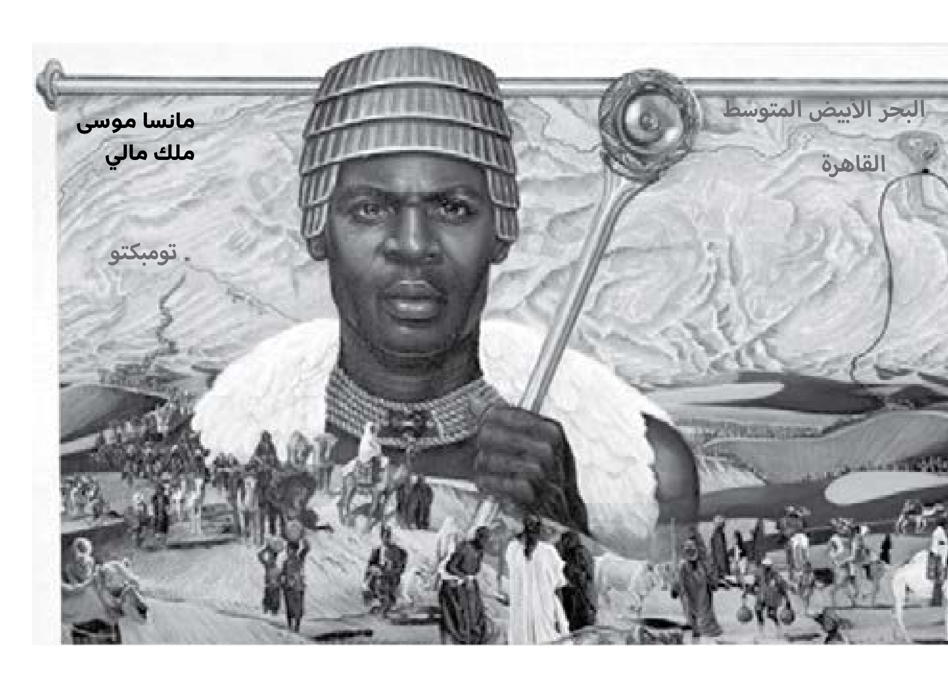
ومن ثم كانت هناك طرق الحج المصري والشامي واليمني.. ومنذ القرن الحادي عشر كان الحجاج يفدون من جنوب شرق آسيا وغرب إفريقيا وأوروبا الجنوبية، وكان بعضهم يسافر عبر الخطوط البحرية إلى البحر الأحمر على متن المراكب الشراعية والبواخر من سنغافورة ومومباي. وفي عام 1908م بعد تشييد السكة الحديدية بين الأناضول والمدينة المنورة مروراً بسوريا والأردن والعراق بطول 1400 كلم، سافر الملايين من الحجاج براً من إسطنبول والأناضول والشام.

مخاطر السفر قديماً

ولكن السفر عبر هذه الطرقات كان محفوفاً بالمخاطر المختلفة مثل السيول والأمطار وشح المياه بالإضافة إلى المخاطر الجغرافية الطبيعية. حيث أظهر رسم بياني للطريق البحري الطويل جرى رسمه حوالي عام 1835م، وتم نشره باللغات الغوجاراتية والهندية والإنجليزية، كم كانت الرحلة محفوفة بالمخاطر، وكيف كانت السفن تغيِّر اتجاهها بعناية حول النتوءات المرجانية في البحر الأحمر. كما كانت معظم هذه الطرق في حالة أمنية سيئة، فضلاً عن دفع إتاوات لأمراء القبائل ومشايخها للمرور عبر ديارهم.

ويروي عبدالله بن سعيد الزهراني، الباحث المتخصص في تاريخ وآداب الحرم، لمحات تاريخية لأمن الحجيج قديماً وحديثاً، فيقول إن قوافل الحجاج كانت تتحرك على شكل مجموعات يحرسها عدد كبير من الجنود. وكان يصحبها عدد من العسكر والجنود لحمايتها من قطَّاع الطرق خلال المسير إلى الحج. وقد يكون مانسا موسى ملك مالي، أشهر من سافر للحج في القرون الوسطى عندما سافر عبر الصحراء من مدينة تمبكتو إلى القاهرة ثم إلى مكة المكرمة عام 1324م، متحدياً المخاطر بمواكبة 60,000 من أتباعه وحاملاً معه 300 رطل من الذهب، وزعها على طول الطريق.

وفي لوحة شهيرة رُسمت في العراق عام 1237م، ظهر موكب صاحب من الحجاج على الجمال في العصور الوسطى قادماً من تومبكتو والقوقاز ومتجهاً إلى مكة المكرمة، وهو





يتحدى قطّاع الطرق وحرّ الصحراء تتقدمه فرقة تقرع الطبول وتنفخ الأبواق.

اختلاف الحال بعد توحيد المملكة

بقيت هذه المخاطر تحدّق بالحجاج على مختلف دروبهم، إلى أن تم تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز، يرحمه الله. وفي هذا، يقول الباحث عبدالرحمن التويجري، المهتم بالآثار والتاريخ، إنه في عهد الملك عبدالعزيز، طيب الله ثراه، «وضعت الأسس القوية التي قامت عليها الدولة المعتمدة على كتاب الله وسنة رسوله - صلّى الله عليه وسلم -، فشاع الأمن وتيسَّرت وتطورت حركة المواصلات البرية والبحرية والجوية. واهتم من جاء بعده من الملوك اهتماماً بالغاً بالحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام، وأصبح الحجاج يفدون إلى المملكة العربية السعودية من كل حدب وصوب، عبر كافة المنافذ لأداء مناسك الحج والعمرة آمنين مطمئنين».

ويذكر محمد طارق الإفريقي، مؤلف كتاب «الدولة السعودية في الجزيرة العربية»، أنّ الملك عبدالعزيز كان حاكماً صالحاً في الجزيرة العربية يستند على الشريعة الغرَّاء، تمكّن من نشر العدل والأمن في الجزيرة بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب، حيث يجوب الحجاج طول البلاد وعرضها ليلاً ونهاراً مع أموالهم وأولادهم بكل طمأنينة لا يمسهم سوء، بعد أن كانوا يُقتلون ويُسلبون وهم تحت حراسة الجيوش والجنود. وأنه قد رأى بعينه أثناء تفتيشاته العسكرية، بصفته أول رئيس أركان حرب لجيش الملك عبدالعزيز، قوافل تترك حمولتها في الصحاري دون أية حراسة وتعود إليها بعد أيام عديدة فتجدها كما تركتها.

وإضافة إلى تغير الدروب إلى الحج، تغيرت البُنى التحتية المحيطة بالرحلة بشكل كبير، فمن أجل مواكبة ازدياد أعداد الحجاج، توالت المشاريع التطويرية على أيدي الملوك الذين خلفوا الملك عبدالعزيز، بدءاً بالملك سعود، حيث كانت أول توسعة للحرم الشريف في عهده، مروراً بأكبر توسعة للحرمين الشريفين في عهد الملك فهد، وما صاحبها من تطوير شبكات الطرق والأنفاق في المشاعر المقدسة ومكة المكرمة، ثم في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز حيث شهدت المشاعر المقدسة بعض أكبر مشاريع التطوير، ومن أبرزها جسر الجمرات العملاق وقطار المشاعر والتوسعة الضخمة في الحرم الشريف. وتستمر مشاريع توسعة الحرمين الشريفين الضخمة حتى يومنا هذا بقيادة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله.

ليست رحلة الحج مجرد رحلة جغرافية فحسب وإنما هي رحلة زمنية روحية يسعى فيها كل مؤمن للسير على خُطا الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسعي للرحمة والغفران

فقد تغيَّر الزمان وتغيَّرت الدروب والبُنى التحتية المحيطة به، ولكن الحج، الركن الخامس للإسلام، فهو يقدِّم مشهدية عالمية فريدة، ترمز إلى قوة الإيمان وفرادة المكان في رحلة تغيّر حياة ملايين المسلمين سنوياً.

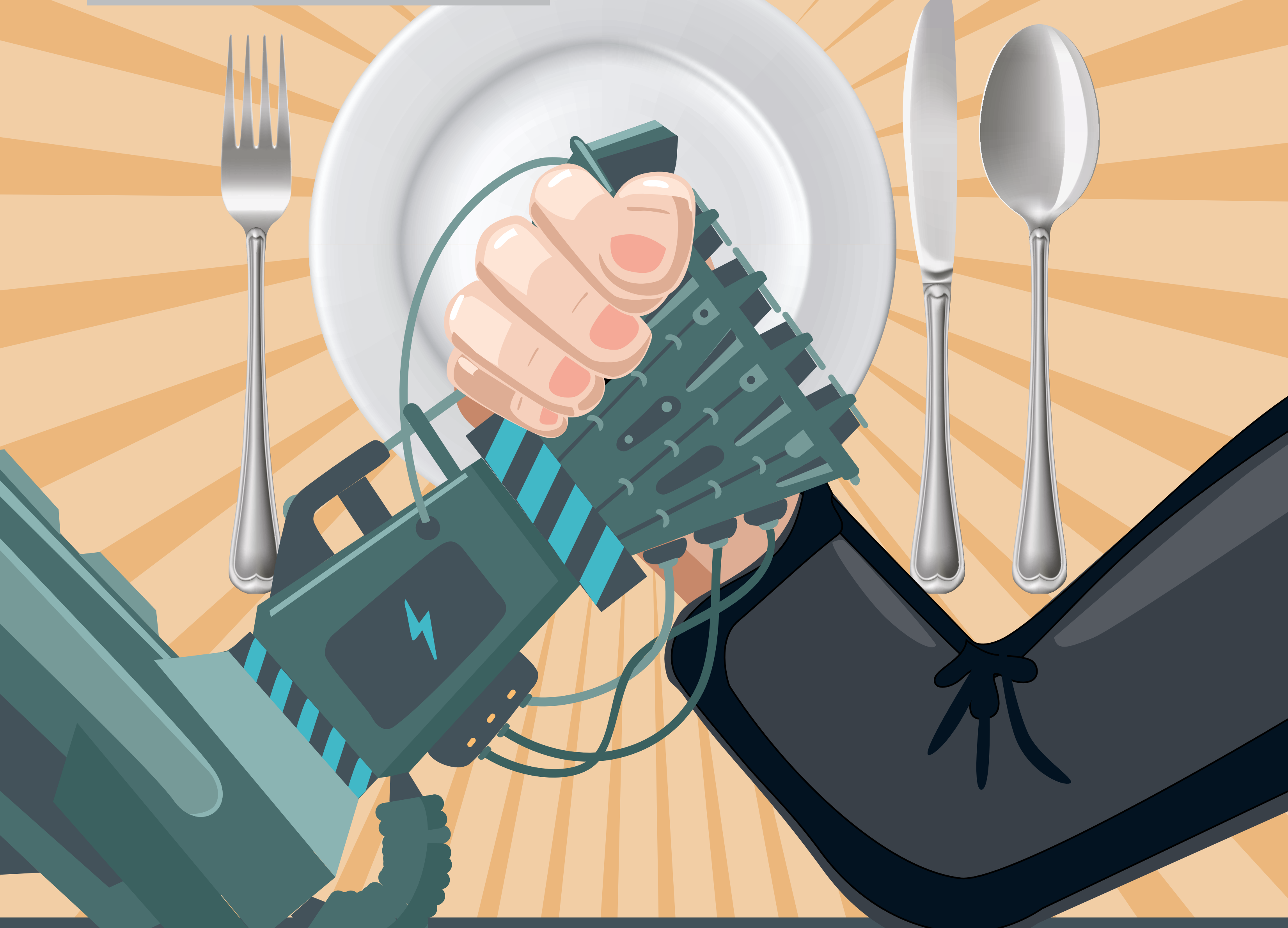


مطاعم المستقبل

خدمة بلمسة غير شخصية

هل ستنقرض وظيفة النادل قريباً؟ إذا ما قمنا بزيارة لبعض المطاعم التي بدأت تفتح أبوابها في أنحاء متعدّدة من العالم فقد نعتقد ذلك فعلاً. ومن المطاعم الجديدة التي تعزّز ذلك مطعم «إيستا» في سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية ومطعم «باغرز» في ألمانيا وسلسلة المقاهي والمطاعم المعروفة «فيتوبنا» في جمهورية تشيكيا ومطعم «فوا مين» في اليابان وغيرها.. وكل هذه المطاعم خالية من النوادل أو ممن يتسلَّم الطلبات أو المحاسبين أو أي عنصر بشري آخر، باستثناء طاقم الطباخين الذي يعمل بعيداً عن أنظار الزبائن.

مهى قمر الدين



في مطعم «إيستا» يوجد خط سريع وشاشة كبيرة بلائحة المأكولات والمشروبات التي يقدِّمها المطعم مرفقة بلائحة الأسعار. وكل ما على الزبون القيام به، اختيار طلبه من خلال النقر على كمبيوتر لوحي موجود تحت الشاشة، ومن ثم الدفع بواسطة بطاقة ائتمان. وعندها يظهر الاسم المأخوذ من بطاقة الائتمان على شاشة أخرى، مرفق برقم يشير إلى النافذة التي ستصل إليها الوجبة المطلوبة. وتقع مجموعة النوافذ خلف شاشة شفافة من الكريستال السائل، وعندما تصبح الوجبة جاهزة، يتغيَّر لون الشاشة أمام النافذة ليصبح أسود داكناً. وعند النقر على الشاشة مرتين تفتح الشاشة بحيث يمكن للزبون أخذ وجبته إلى الطاولة التي يختارها.

وفي مطعم «باغرز» في نورنبرغ الألمانية، تم وصل كل طاولة من طاولات المطعم بالمطبخ بواسطة أسلاك معدنية. أما المطبخ فقد أنشىء تحت السقف مباشرة بحيث تنزلق الوجبة الجاهزة على تلك الأسلاك إلى الطاولة مباشرة. وإنما ليس قبل أن يختار الزبون طلبه باستخدام شاشة الكمبيوتر اللوحي الموجود على كل طاولة. ولأن كل الطاولات في المطعم موصولة بشبكة من أجهزة الكمبيوتر، يتم تسجيل طلبات الزبائن في المطبخ. ومن ثم يبدأ نظام الكمبيوتر باحتساب مواعيد تسليم الوجبات المحتملة ويُبقي الزبائن على علم بذلك.

مطاعم آلية منذ السبعينيات

فمهما اختلف تصميم هذه المطاعم، فإنها تؤشر إلى دخول المكننة إلى حقل المطاعم، وبقوة. وفكرة هذه المطاعم الممكننة ليست جديدة بالكامل. ففي أوائل السبعينيات من القرن الماضي كانت هناك بعض المطاعم المعروفة بالمطاعم الآلية (Automats) وقد ظهرت في الولايات المتحدة وأوروبا وعُرفت في اليابان بـ «الشوكنكي». وكانت هذه المطاعم الآلية بمنزلة تطوير لمبدأ آلات البيع الآلي (Vending machines). والمطاعم الآلية تضم جداراً من النوافذ الصغيرة تحتوي على الوجبات الطازجة وغير الطازجة مجهَّزة من قِبل طاقم بشري غير مرئي، بحيث يمكن لرواد هذه المطاعم إسقاط قطع النقود المحدَّدة في الفتحات الموجودة إلى جانب كل نافذة، ليظهر أمامهم طبق الهامبرغر أو قطعة الحلوى أو سلطة التونه المطلوبة.

التفاؤل والحذر

مهما كان ظهور المطاعم الممكننة الحديثة مبنياً على فكرة جديدة أو مجرد تطور لفكرة كانت موجودة سابقاً، إلا أنها مقدمة لمستقبل المطاعم التي استدعت ردَّات فعل من المتشائمين منها والمتفائلين بها. فبالنسبة للمتفائلين، تبدو المكننة طريقة لجعل أي مطعم أكثر فاعلية وأقل تكلفة. وبالنسبة للمتشائمين، فهي أحدث مثال عن كيفية سرقة وظائف البشر من قبل التكنولوجيا الحديثة.

يقول مايكل ماك صاحب فكرة مطعم «باغرز» الألماني، إن استخدام هذا النظام الآلي في المطعم سمح له بتوفير الآلاف من اليوروات في تكلفة الموظفين. وبأنه يفكِّر في المستقبل باستبدال طاقم الطباخين بمجموعة من الروبوتات القادرة على تحضير الوجبات بطريقة موحَّدة وأسهل مما هي عليه في الوقت الحاضر.

ويعتقد ديفيد فريدبرغ صاحب مطعم «إيستا» أن المكننة زادت الفاعلية والإنتاجية في مطعمه بالإضافة إلى تخفيض الأسعار بالنسبة للزبائن.

ومن ناحية أخرى، فإن هذه المطاعم تضع تحت المجهر أحد أهم المعتقدات حول طبيعة العمل في عصر الآلة الثاني التي تقول إنه، مع كل التقدم التكنولوجي، سيبقى هناك عديد من



هناك من يعتقد بأن النوادل يمكن أن يكونوا مصدر إزعاج عند قراءتهم للوائح الطعام الطويلة والاهتمام الزائد بالزبائن ومقاطعة الحديث الذي يدور على الطاولات للتأكد من راحتهم..

مطعم «إيستا» في سان فرانسيسكو

مطعم «باغرز» في ألمانيا

الوظائف في حقل الخدمات، لأننا بحاجة إلى التفاعل البشري. من المؤكد أن هناك صحة في الجزء الأول من المقولة وهناك كثير من الشكوك حول الجزء الثاني منها.

فنحن مخلوقات اجتماعية، ومهما كان الشخص يحب العزلة فإنه بمجرد خروجه من المنزل لتناول الطعام في أي مطعم، فهو يسعى إلى نوع من التفاعل البشري. على الرغم من أن هناك من يعتقد بأن النوادل يمكن أن يكونوا مصدر إزعاج عند قراءتهم للوائح الطعام الطويلة والاهتمام الزائد بالزبائن ومقاطعة الحديث الذي يدور على الطاولات للتأكد من راحتهم.

المكننة تدخل إلى قطاع الخدمات

بعد أن كان قطاع الخدمات يعتمد بالدرجة الأولى على الأيدي العاملة البشرية، بدأت التحديات التكنولوجية التي كانت تحبط مشاريع مكننتها تسقط وبسرعة. حتى إن أندرو ماكفي، أحد مؤسسي مبادرة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا للاقتصاد الرقمي، وأحد مؤلفي كتاب «عصر الآلة الثاني»، يعبّر عن قلقه من خلال طرحه السؤال التالي: «ما هي نسبة تعاملاتنا البشرية التي ستبقى إنسانية مع تقدُّم التكنولوجيا؟».

فقد أخذت المكننة تحوّل جميع الصناعات، وحلَّت الماكينات مكان اليد العاملة الماهرة في المصانع



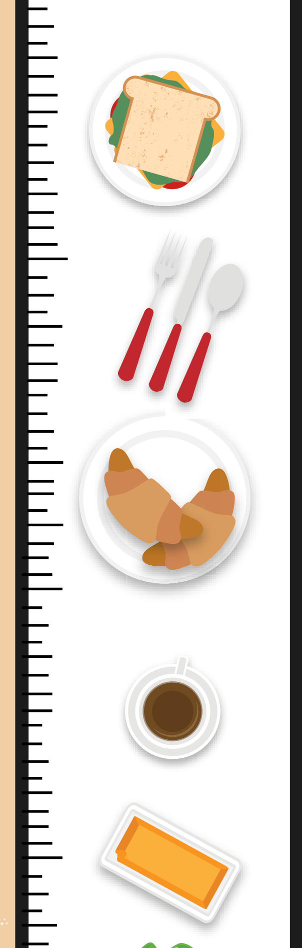
والوظائف المكتبية في المصارف وحتى في مكاتب المحاماة. ومع استحداث السيارات التي تُقاد ذاتياً قد يحصل الأمر نفسه مع سائقي سيارات الأجرة وسيارات الشحن. كما أنه من المتوقع أن يدخل الرجل الآلي والآلات الذكية إلى القطاع الصحي. أما ما حصل الآن فهو أن المكننة غزت قطاعات جديدة تتطلَّب يداً عاملة غير ماهرة.

لقد اختبر الصينيون تجربة وضع الطلبات في المطاعم من خلال الكمبيوتر اللوحي لمدة سنوات من أجل تخفيض تكاليف العمالة والأسعار. ففي اليابان، يخلو فندق «النانا» الذي تم افتتاحه في يوليو الماضي من العنصر البشري بالكامل، إذ حلّ الرجل الآلي محل الموظفين في كل جميع المهمات من تنظيف الغرف إلى إدارة إجراءات الوصول والمغادرة. وليس بعيداً عن سان فرانسيسكو بدأ فندق في سينفالو يعرف باسم «ألوف كوبرتينو» اختبار رجل آلي ليساعد زملاءه البشر على المهمات اليومية مثل تغيير الشراشف والمناشف وتوصيل الحاجيات إلى النزلاء. أما الآن، وقد دخلت المكننة إلى قطاع المطاعم بهذه الصورة الطاغية، فإنها أصبحت تهدِّد وظائف الطبقات الفقيرة وراحت تطرح تساؤلات حقيقية بالنسبة للمستقبل الاقتصادي لهذه الطبقات.

وبغض النظر عما إذا كانت هذه المطاعم الجديدة مؤذية للدورة الاقتصادية أم لا، فهي، من خلال تقديمها الطعام بلمسة غير شخصية بالكامل، تعزِّز ثقافة العصر الجديدة التي ترتكز على العزلة الاجتماعية وقد يكون الأمر كما قال ألبرت أينشتاين أنه أصبح من الواضح، وبشكل مخيف، أن التكنولوجيا أخذت تتجاوز إنسانيتنا.



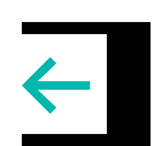






الماراثون من أعرق أنواع الرياضة، ظهر في اليونان القديمة، وأعادت إحياءه اليونان الحديثة، وراج خلال العقود الأخيرة خارج إطار الألعاب الأولمبية في مدن عديدة صارت تنظِّمه لغايات مختلفة. وفي الماراثونات الحديثة، تحالفت المصالح الشخصية الاجتماعية والتجارية على الترويج لهذا النشاط، وهذا التحالف هو وحده ما يفسِّر إقبال الآلاف على المشاركة في كل ماراثون، رغم محاذير الركض لعشرات الكيلومترات على الصحة والقدرة على التحمُّل.

لماذا نركض الماراثونات؟



انطلقت فكرة الماراثون من اليونان القديمة عام 490 قبل الميلاد، عندما ركض الجندي فيديبيدس مسافة 40 كيلومتراً من أرض المعركة في بلدة ماراثون في اليونان إلى أثينا حاملاً نبأ انتصار الإغريق على الفرس. وتقول الأسطورة إنّ فيديبيدس سلّم الرسالة العظيمة «نيكي» (أي النصر) قبل أن ينهار ويموت، وبالتالي أسس لسابقة مثيرة لنتائج سباق الماراثون.

عند افتتاح الألعاب الأولمبية الرسمية الحديثة عام 1896م في اليونان، أُعيد إحياء أسطورة فيديبيدس بسباق الـ 40 كلم انطلاقاً من جسر بلدة ماراثون إلى الملعب الأولمبي في أثينا. وفي تلك الدورة، وحتى بلوغ الماراثون، الذي كان الحدث النهائي التقليدي في الألعاب الأولمبية، لم يكن الإغريق قد فازوا بأية ميدالية، لذلك كان الماراثون فرصتهم الأخيرة لتحقيق المجد لأمتهم. فتجمّع خمسة وعشرون عدَّاءً على جسر بلدة ماراثون، ومن ثم أُطلقت طلقة البداية. «وكانت الإثارة التي عمَّت الحشود المنتظرة عند خط النهاية في المنشأة الحديثة، التي شُيِّدت على طراز استاد الأولمبياد في أثينا القديمة، تفوق الوصف» كما كتب المؤرخ اليوناني كورسنتاني. عبَرَ سبيريدون لويس، وهو عامل بريد يوناني من قرية ماروسي، كان قد شارك في عدة سباقات عسكرية طويلة، خط النهاية متقدماً بفارق سبع دقائق كاملة عمن تَلِيَه. وكان وقته 2 ساعة، و58 دقيقة، و50 ثانية لمسافة 40 كيلومتراً. عندها حققت الدولة المضيفة الفوز المنشود، وعندها وُلِد سباق الماراثون الحديث.

تحدّي الذات

على مدى سنوات، كان الماراثون يُعدُّ نشاطاً غريباً وخطراً بالفعل. وقد تكون قصة فيديبيدس الذي مات من الإجهاد تحذيراً مثلما هي احتفاء بالقدرة الإنسانية على التحمُّل. ولذلك اقتصرت المشاركة فيه على الرياضيين المحترفين. ومنذ عقود قليلة ماضية فقط أصبح الماراثون حدثاً رياضياً شعبياً في معظم مدن العالم. وهناك عدة أسباب وراء رواج هذه الرياضة بهذا الشكل المتزايد. فبالإضافة إلى الاستفادة من الفوائد الصحية للركض، وكون معظم سباقات الماراثون مفتوحة للجميع، تقريباً، دون وضع شروط صعبة على المشاركة فيها، فقد يكون أول عامل جذب لها هو السعي وراء الإثارة والتحدي.

فضمن وتيرة الحياة السريعة التي نعيشها، تتشتت أفكارنا حوالي 12 مرة في الدقيقة. كما أننا نقضي وقتاً طويلاً في مكاتبنا المكيّفة ونبقى مسمّرين أمام مختلف أنواع الشاشات الإلكترونية. ويمكننا الوصول إلى وسائل ترفيه لا حدود لها كما أنّ بمقدورنا التسوق والحصول على الوجبات الغذائية دون أن نترك منازلنا. فالحياة سهلة وسريعة ومملة في آنٍ واحدٍ. وبينما تسيطر على الألعاب الرياضية الجماعية، مثل كرة القدم وكرة السلة وكرة الطائرة وغيرها، لغة القتال، حيث هناك حديث عن فائزين وخاسرين، واستراتيجيات وإصابات وحملات، والنتيجة هي كل شيء، يكون التحدي في رياضة الماراثون هو تحدي الذات. هناك قلة قليلة من المشاركين الذين يسعون لتحقيق الفوز وحتى بلوغ الهدف النهائي. هنا، في الركض في الماراثون، تكون الغاية أهدأ وأكثر روحانية. ويتحدث الروائي الياباني الشهير هاروكي موراكامي، الذي يهوى المشاركة في الماراثونات، في كتابه «عمّ أتحدّث حينما أتكلم عن الركض» عن التركيز على الأهداف الداخلية بدلاً من على المنافسة مع الآخر. فيقول عن ممارسة الركض إنه ليس من المهم ما «إذا كانت مفيدة أم لا، أم إذا كانت رائجة أم لا. ولكن، في التحليل النهائي للأمور، فإن الهدف الأهم هو ما لا يمكنك أن تراه ولكن ما تشعر به في قلبك».

التدفق والروح

هناك مصطلح يستخدمه المتخصصون في علم النفس الرياضي لوصف حالة الرياضي وهو يمارس الرياضة بكل سهولة وكأنه فاقد للوعي، وهو «التدفق». هذا التدفق هو الذي يهب السعادة المجردة التي يتحدّث عنها الدرَّاج الفرنسي جان بوبيه عندما يصف الشعور الذي يشعر به وهو في ذروة السباق. إذ يقول إنّه «الإحساس الدقيق، والحميم والسريع الزوال الذي حين تدركه، يتملكك ويجتاحك ومن ثم يتركك مرة أخرى. تشعر به

وحدك. هو مزيج من السرعة والسهولة والقوة والنعومة». وهذا ما يسميه موتاي، العدّاء الكيني الذي يُعد ملك الماراثونات، بـ «الروح». يقول موتاي إنّ قساوة النظام التدريبي الذي كان يتبعه - 125 ميلاً شرسة في الأسبوع - كانت من أجل تحقيق هذا الهدف، ويضيف «كلما أصبح التدريب أقسى حصلت على مزيدٍ من الروح».

إلى ذلك، فإن جاذبية المشاركة في الماراثونات، والركض بشكل خاص، هي بمنزلة تعبيرٍ عن ميزة بشرية تجعل البشر ما هم عليه. ويتحدث كتاب كريستوفر ماكدوغال بعنوان «مولود ليركض»، عن قبيلة «تاراهومارا» في المكسيك، ونظام حياة أفرادها الذي يغلب عليه الركض لمسافات طويلة. في هذا الكتاب، يشرح ماكدوغال التقدم الأخير في علم التطور البشري من خلال نظرية «الرجل الذي يركض». ما يوحي بأن «تحمل مشقة الصيد» - أي ملاحقة الفريسة على بعد أميال كثيرة - كان حجر الزاوية في تطور البشرية.

ويقول أنصار نظرية «الرجل الذي يركض» إن ثمة خصائص فيزيائية معيَّنة في البشر تبيّن بأنّنا ولدنا لنركض. فعلى سبيل المثال، وعلى عكس الثدييات غير القادرة على الركض، ولكن مثل الخيول والكلاب، يمكن للبشر أن يبقوا رؤوسهم ثابتة بسبب الرباط القفوي في قاعدة الجمجمة. كما أنّ لديهم عضلات قوية للتحكم بأرجلهم ولموازنة صدورهم الثقيلة، وأقدامهم وكواحلهم مكوّنة من مجموعة كبيرة من العضلات والأربطة والأوتار. ولديهم غدد عرقية تفرز الماء والأملاح، لذلك فإنّ أجسامهم قادرة على أن تبرّد ذاتها بسرعة. والأهم من ذلك كله، يمتلك البشر ما يصفه عالم الأحياء الألماني بيرند هاينريش بـ «قوة البصيرة» في كتابه «لماذا نركض؟»، فيقول إن «مفتاح القدرة على التحمُّل، كما يعرف كل عدّائي المسافات الطويلة، ليست مجرد مسألة غدد عرقية... بل إنّها الرؤية. فالتحمل هو أن يكون أمامك هدفٌ واضحٌ والقدرة على ترجمته بالقدرات العقلية، أي الأخذ في الاعتبار أبعد مما تراه العين».

الماراثون كسلعة تجارية

هذا من الناحية الفردية، أما من الناحية الاجتماعية فهناك جانب مهم يتعلَّق بالماراثونات ورواجها خلال السنوات الأخيرة. وهي أنّها في كثير من الأحيان صارت تنظَّم كحملات للتبرع لأهداف خيرية. وعندها لا يسبب رسم المشاركة أي قلق بالنسبة للمشاركين الذين يعرفون بأن أي فائض من المال سيذهب لمحاربة السرطان أو بناء مدرسة أو مساعدة الأيتام أو لهدف إنساني آخر.

وكل هذه العوامل جعلت من الماراثون سلعة عالية الطلب. وهذا ما دفع عديداً من الجهات المنظِّمة إلى أن تكون على استعداد لتحمُّل تكلفة تنظيمها، كما دفعت بالشركات الكبرى إلى السعي لرعايتها، لكونها هدفاً دعائياً ناجحاً لها، أو كمجرد استثمار تجاري رابح.

وما يجعل الاستثمار في الماراثونات أكثر جاذبية هو كون الماراثون سلعة تجارية غير مرنة، أي إنّ الطلب عليها لا يتأثر كثيراً بارتفاع رسوم التسجيل فيها. فعادة ما تكون رسوم التسجيل في الماراثون في متناول الجميع، وإنّما في بعض الأحيان قد تصل إلى أرقام مرتفعة. فهناك على سبيل المثال بعض الماراثونات النخبوية مثل ماراثون مدينة نيويورك الذي يفرض رسم دخول بقيمة 11 دولاراً لمجرّد المشاركة في سحب يعطي للرابحين الفرصة للاشتراك في الماراثون برسم يبلغ 255 دولاراً. ولكن أين تذهب كل هذه الأموال؟

تبدأ تكلفة الماراثونات قبل شهور من السباق. ففي البداية تبدأ الجهة المنظِّمة بدرس مؤهلات المكان الذي سيقام فيه السباق، ومن ثم تسعى للحصول على التراخيص من البلدية المعنية لاستخدام المساحات العامة من الطرق ومواقف السيارات وغيرها. وهناك تكاليف الإعلان للسباق إن كان في التلفزيون أو الصحف أو مواقع الإنترنت. ويوم الماراثون هناك تكلفة العاملين على الأرض من موزعي المياه والمراقبين والأجهزة الطبية في حال حدوث أي طارئ وما إلى هنالك. ولكن مهما بلغت التكاليف، فمع أعداد المشاركين الكبيرة تبقى الماراثونات مشروعاً مربحاً إن عاد ريعها إلى هدف إنساني سامٍ، أو إلى تحقيق ربح تجاري تسعى الشركات المنظمة إلى كسبه.

ومع تلاقي المصلحة الفردية مع المصلحة المجتمعية والمصالح التجارية تحوَّلت الماراثونات إلى ظاهرة من ظواهر المجتمع المعاصر، لتصبح أكثر تنوعاً وأكثر إثارة وأكثر ابتكاراً، وليس آخرها الماراثون الذي أصبح يُجرى مؤخراً على رمال الصحراء الحارقة في سلطنة عُمان لمسافة تبلغ 165 كلم.





تعليق على التعليق

لا شك في أن التعليقات التفاعلية القصيرة على شبكة الإنترنت، إن كانت تعليقات على محتوى أشرطة الفيديو أو المقالات أو المدونات أو غيرها، هي نافذة مهمة تطلّ على كيفية التفاعل البشري والمشاركة في العصر الرقمي. وفي الوقت الذي قد تكون بعض التعليقات بغيضة أو مسيئة أو مضلِّلة، إلا أنها قد تقدِّم معلومات قيِّمة للشركات والأفراد على حدٍّ سواء، كما تُمكّن المشجعين والمعلّقين من التواصل على نطاق لم يسبق له مثيل من قبل. وقد يكون لهذا التواصل تأثير أبعد من شبكة الويب. ولكن ما الذي يمكن أن نتعلَّمه منها؟ وكيف يمكن التمييز بين المحتوى والتعليق؟ وما الذي يمكن أن تكشفه لنا عن الطبييعة البشرية لا سيما إذا تمكن المشاركون من إخفاء هويتهم الفعلية؟ كيف تحوَّلت هذه التعليقات إلى قيمة تجارية بحد ذاتها؟

التعليقات منذ القدم

إلى جانب التعليقات البشرية المعتادة في التجمعات الاجتماعية العادية إن كانت في المقاهي أو المجالس أو غيرها، ظهرت هناك التعليقات المكتوبة منذ العهود القديمة ويعود بعضها إلى تلك التعليقات التي وُجدت على المخطوطات السومرية الأولى في بابل القديمة، لكنها لم تتطور إلى شكلها الرسمي المكتوب إلا من خلال التعليقات التي كانت ترسل إلى الصحف. إذ بدأ التشجيع عليها عندما راح المحرِّرون يتحدثون عن وجوب انهيار الحواجز وإزالة العلاقات الهرمية بين الكتّاب وقرائهم. ولكن تلك التعليقات كانت محدودة، غير متوافرة للقراءة من قبل الجميع، وذلك حتى ظهور الإنترنت عندما أصبحت التعليقات والمراجعات أسهل من حيث نشرها وقراءتها والتفاعل معها. وتمثل هذه التعليقات تفاعلاً على محتوى معيَّن من خلال دوافع مختلفة، وبذلك قد تكون غنية بالمعلومات أو مضللة أو مسلية أو مملة أو حاقدة أو حتى خارجة عن الموضوع تماماً.

التعليقات وعالمها السفلي

قد يقول البعض إنَّ هذه التعليقات هي أحد أكثر التطورات البغيضة على الإنترنت، وإنها تنتمي إلى عالم الإنترنت السفلي إذ إنها غالباً ما تكون في أسفل المقال أو الفيديو أو المدونة، وبالتالي يجب تجاهلها وعدم قراءتها. وهناك من يقول إن قراءة هذه التعليقات لها تأثير سلبي على التركيز على المضمون وعلى احترام الذات، والنظرة إلى العلاقة مع الآخرين.

فمنذ سنتين تقريباً قامت مجلة «Science Popular» بوقف العمل بالتعليقات على موقعها الإلكتروني، إذ ادَّعى المحررون أنّ التعليقات على الإنترنت، لا سيما المجهولة المصدر، تقوّض نزاهة العلم وتؤدي إلى ثقافة السخرية والعدوان التي تعيق الخطاب العلمي الموضوعي. ودعماً لهذا الرأي تقول سوزان لابار، التي تعمل في مجال التحرير في المجلة نفسها، نقلاً عن دراسة حديثة من جامعة ويسكونسن - ماديسون، إن «عدداً قليلاً من التعليقات السلبية يملك ما يكفي من القوة لحرف انتباه القارىء عن المضمون الفعلي».

ولكنَّ هناك رأياً آخر يقول إن الدعوة إلى عدم قراءة التعليقات وتجاهلها، مشروع غير قابل للتطبيق، لأن الإنترنت بحد ذاتها هي شبكة ضخمة ومتشعبة من التعليقات، كما أن وسائل الإعلام الاجتماعية، بالإجمال، وتويتر على وجه الخصوص، هي تراكم مستمر من التعليقات والهوامش وأي تغريدة على الإنترنت هي، في الأساس موضوعة لإثارة مزيد من التعليقات عن طريق الرد أو إعادة استخدامها من جديد أو حتى الاستشهاد بها.

ومما لا شك فيه أن العنصر الأخطر في هذه التعليقات هو في إمكانية القيام بها دون الكشف عن هوية المعلِّق الحقيقية. ووفقاً لاستطلاع قام به مركز «PEW» للأبحاث، فإن ربع التعليقات على الإنترنت هي تعليقات مجهولة المصدر، وبالتالي هناك انفصام بين هوية المعلِّق الحقيقية وبين ما يقوله.

وقد وصف الطبيب النفسي جون سولر هذه الظاهرة بما سمَّاه بنظرية «تأثير إزالة الكبت على الإنترنت»، التي تقول إنه في اللحظة التي تتحرَّر هوية الشخص من القيود المفروضة عليه يتغير سلوكه المعتاد بشكل كبير. كما يمكن الإشارة هنا إلى القول المأثور «على الإنترنت لا أحد يعرف بأنك كلب» الذي اشتهر على إثر رسم كرتوني للفنان الكاريكاتوري بيتر ستاينر في مجلة النيو يوركر الأمريكية. ويُظهِر الرسم كلبين، أحدهما يجلس على كرسي أمام شاشة الكمبيوتر وهو يقول هذه العبارة لكلب آخر جالس على الأرض في جواره. ومنذ 2011م أصبح هذا الرسم أشهر الرسوم الكاريكاتورية التي رسمتها المجلة، وأصبح هذا القول يتردد على لسان كل من يريد أن يعبِّر عن إمكان إخفاء هويته على الإنترنت.

عندما قام آرثر سانتانا، أستاذ الاتصالات في جامعة هيوستن، بتحليل 900 تعليق، اختارها، بطريقة عشوائية، من تعليقات على مقالات حول الهجرة، نصفها من صحف كانت تسمح بالتعليقات المجهولة ونصفها من صحف لا تسمح بذلك، وجد أن 53% من المعلِّقين المجهولين كانوا غير مهذبين بالتعابير التي استخدموها في تعليقاتهم، في مقابل 29% فقط من المعلِّقين الذين عرَّفوا عن هوياتهم.

وبالتالي استنتج سانتانا بأن إخفاء الهوية يشجع على الخروج عن اللياقة والتهذيب.

من ناحية أخرى، تبيَّن أن إخفاء الهوية يشجِّع على المشاركة، حيث يشعر المشاركون بأنهم يعززون المشاركة المجتمعية الأوسع دون التركيز على هوياتهم المحدَّدة. كما أن إخفاء الهوية يمكن أن يعزِّز التفكير الإبداعي، وذلك حسب دراسة أجراها عالِما النفس إينا بلو وإيفنر كاسبي على تعليم الطلاب في بيئتين مختلفتين، واحدة تتميز بالتعليم المباشر وواحدة من خلال التعليم عن بُعد بالرسائل الإلكترونية والمحاضرات على الإنترنت وغيرها، مع حجب هويات الطلاب. وقد وجدا أنه على الرغم من أن التفاعل المباشر مع الطلاب يمكن أن يوفر قدراً أكبر من الارتياح، إلا أنَّ المشاركة المجهولة أظهرت أنها تعزِّز روح المبادرة والأفكار المبدعة.

قيمة تجارية بحد ذاتها

وفي قراءة للتعليقات المستخدمة في عالم التسويق على الإنترنت كانت الملاحظة بأنها تحتوي على كمية كبيرة من التلاعب والاستغلال والمصالح التجارية. وهنا تتحول التعليقات إلى وسائل دعائية غير مشروعة في بعض الأحيان. فهناك بعض المطاعم التي تعطي الكوبونات مقابل المراجعات الإيجابية على الإنترنت. وفي بعض الأحيان، أيضاً، يطلب الكتّاب من الأهل والأصدقاء كتابة مراجعات لكتبهم وأحياناً يقومون بذلك هم أنفسهم. كما يقوم بعض الأشخاص بتحرير السِيَر الذاتية على ويكيبيديا ويشتري بعض المشاهير الأتباع والمشجعين. هذا بالإضافة إلى أن هناك رغبة، تقترب إلى الهوس، لتقييم وتصنيف كل شيء على الإنترنت، وهذا هو جزء من دينامية «مراجعة الطلب» في العصر الرقمي.

وقد أصبح لتعليقات المستخدمين على الإنترنت قيمة تجارية مهمة، ففي 2013م قامت شركة أمازون التي تبيع الكتب بشراء موقع «Goodreads»، وهو موقع لمراجعة ومناقشة الكتب، بقيمة 150 مليون دولار أمريكي، وقام موقع «TripAdvisor»، أهم موقع للسفر في العالم، بشراء موقع السفر الآخر «Expedia» بقيمة 200 مليون دولار أمريكي واشترت غوغل دليل تصنيف المطاعم «Zagat» بـ 150 مليون دولار أمريكي.

فقد أصبحت التعليقات سمة من سمات العصر الحديث، إذا ما كانت تنتمي إلى عالم سفلي هامشي أم لا. وكما قال عالِما النفس ماركو إيزز وبراون ساوثويل فإن «تقنيات التواصل الحديثة لا تغيِّر القواعد النظرية للتفاعل البشري، لأن هذا التفاعل سيبقى يُحكم بنفس الميول الإنسانية الأساسية». قد تتغير الوسيلة ولكن الناس لا يتغيرون. إلا أن السؤال يبقى هل يكون للمتصيدين والمتلاعبين التأثير الأقوى على الإنترنت؟

قد نكون بحاجة إلى قوانين وتطبيقات تكنولوجية حديثة يمكنها أن تحمي عالم التعليقات من كل المتلاعبين به.

Instagram

Qafilah 6min

> يشتري بعض المشاهير الأتباع والمشجعين. هذا بالإضافة إلى أن هناك رغبة، تقترب إلى الهوس، لتقييم وتصنيف كل شيء على الإنترنت.



تخصص جديد

إدارة الطاقة البحرية

تم تصميم تخصص إدارة الطاقة البحرية للمهتمين بقطاعي الطاقة والبيئة، وللأشخاص الذين يعملون في هذين القطاعين وتنقصهم بعض المهارات أو المعارف التقنية مثل المهندسين البحريين وضباط السطح، وكذلك الأشخاص الذين يأتون من خلفيات أخرى، مثل مشغِّلي السفن والإداريين والفنيين.

يساعد هذا التخصص على تمكين هؤلاء من الانتقال إلى العمل على النطاق الدولي. إذ يقدِّم لهم فهماً شاملاً لمختلف جوانب إدارة الطاقة البحرية، من السفن إلى المرافق البرمائية. وقد أدخلت «الجامعة البحرية العالمية» في السويد هذا التخصص استجابة لبرنامج 2030 للتنمية المستدامة، الذي يستند إلى الأهداف الإنمائية للألفية التابعة للأمم المتحدة. ويتعلّق الهدف الرابع عشر بالاستعمال المستدام للمحيطات والبحار والموارد البحرية من أجل التنمية المستدامة. ويتأهل الخريجون بالمهارات والخبرات اللازمة لتطوير صناعة النقل البحري على أساس الاستدامة وتوفير الطاقة. كما يوفر هذا التخصص المعرفة المتقدِّمة والمهارات الأساسية اللازمة لصانعي القرار في الحكومات والصناعة البحرية وغيرها من الجهات المعنية، لتمكينهم من تنفيذ برنامج الأمم المتحدة للتنمية المستدامة وأهدافه الإنمائية.

وتضم المقررات الأساسية في هذا التخصص: تنظيم النقل البحري العالمي المعاصر، والقضايا الإدارية في قطاع النقل البحري، وكيفية الإدارة الفعالة للسلامة والأمن والمخاطر، وإدارة الموارد مثل الموارد البشرية والعمليات التنظيمية والملاحة البحرية، والحفاظ على القدرة التنافسية في السوق من خلال الأدوات المالية الاستراتيجية. بالإضافة إلى التكنولوجيا البحرية البيئية.

لمزيد من المعلومات انظر الرابط التالي:
http://www.educations.com/study-abroad/world-maritime-university/msc-in-maritime-affairs-maritime-energy-management-466663

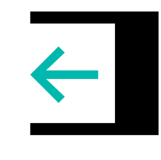
أضخم عمل فني في العالم

سوق الخضار واللحوم في روتردام

لم تكن مدينة روتردام الهولندية يوماً وجهة محبَّبة للسياح. فقد اعتاد سكانها على الحياة بعيداً عن كاميرات السياحة العالمية، وفنادقها تعتمد بالأساس على السياحة الداخلية.
والمدينة التي دُمِّرت بالكامل خلال الحرب العالمية الثانية، تعج بمبانٍ هندسية حديثة، صُممت خصيصاً لتستوعب حمولة المدينة المكتظة بالبشر والأجناس، وهي تشبه في ذلك مدناً كثيرة أخرى. لكن روتردام كان ينقصها نوع من الجاذبية الجمالية التي تمنحها هوية مختلفة. وكانت توصف بأنها مدينة الإسمنت والحديد الصلب، وهي الصلابة نفسها التي على وجوه سكانها. لكن هذا كله تغيَّر بالكامل مع ظهور مبنى السوق الجديد في وسط المدينة. فبعد افتتاح هذا المبنى مباشرة، صنَّفتها صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية في المرتبة العاشرة ضمن قائمة ضمّت 52 وجهة سياحية، وكذلك فعل الدليل السياحي الشهير «راف غايد»، الذي وصف المدينة بأنها «مدينة الهندسة العجيبة».

لمياء المقدم





بدأت فكرة بناء السوق مع تشدُّد القوانين والإجراءات الأوروبية الخاصة التي حظرت عرض اللحوم والأسماك والفواكه والخضار في أسواق مفتوحة.

ويُعد سوق روتردام أول سوق شعبي بسقف مغطى، إلا أن المصممين حرصوا على أن يبدو كما لو أنه في الهواء الطلق، كعادة الأسواق المفتوحة، فرفعوا من السقف إلى درجة لا تشعر بوجوده. إضافة إلى أن الأشكال ثلاثية الأبعاد التي تزيِّن السقف تمنح الناظر إليها إحساساً بأنه يستلقي في الهواء الطلق ويتطلع إلى سماء مزينة بالخضار والفواكه والأبقار والعشب والشمس.

انطلق بناء السوق في 19 نوفمبر 2009م، واستمر حتى 1 اكتوبر 2014م، تاريخ افتتاحه لأول مرة من قِبل الملكة ماكسيما، زوجة الملك فيلم ألكسندر ملك هولندا.

متحف في سوق الخضار؟

أثناء القيام بالحفريات في منطقة روتا، وهي الجزء الذي أقيمت عليه مدينة روتردام القديمة في عام 1270م، عُثر على آثار تعود إلى القرون الوسطى، تتمثل في أوانٍ فخارية، وأسلحة تستعمل في الصيد البري، وحلي وغيرها. بعد أن انتهى بناء السوق، تم تخصيص قاعة به لعرض هذه التحف، إلى جانب الصور التي تصوِّر تطور المشروع من مرحلة حفر الأساس إلى تحوُّله إلى أشهر مبنى في روتردام.

أكبر عمل فني في العالم

11 ألف متر مربع من الألوان الناطقة بالحياة، يضمها هذا المبنى الذي يُعد أكبر عمل فني عالمي، وهو من تصميم الفنان الهولندي آرنو كونن. وقد أطلقت عليه أسماء كثيرة، لكن أشهرها: قصر الفضاء، في إشارة إلى حجمه الضخم.

في حوار له مع صحيفة عالمية قال مصمم المشروع: «العمل بعظمته لا يقل جمالاً وإتقاناً عن الصروح العمرانية الكبرى في عصر النهضة. تستطيع أن تقول إنه قصيدة للكون».

صُمِّم هذا المبنى على شكل قنطرة، في قلبها المجوف يوجد السوق والمقاهي والمطاعم والاستراحات، ومتاجر البهارات والأغذية واللحوم والأسماك، وغيرها مما تجده في الأسواق الشعبية. وخارجه عبارة عن شقق مخصصة للسكن، تمتلك كلها نوافذ تطل على السوق من الأعلى. وجاء تصميمه في إطار تجديد وسط المدينة التي تهدَّمت بالكامل خلال الحرب العالمية الثانية.

مصطبات الباعة، يتوسطها المقهى وفي الأعلى نوافذ الشقق السكنية

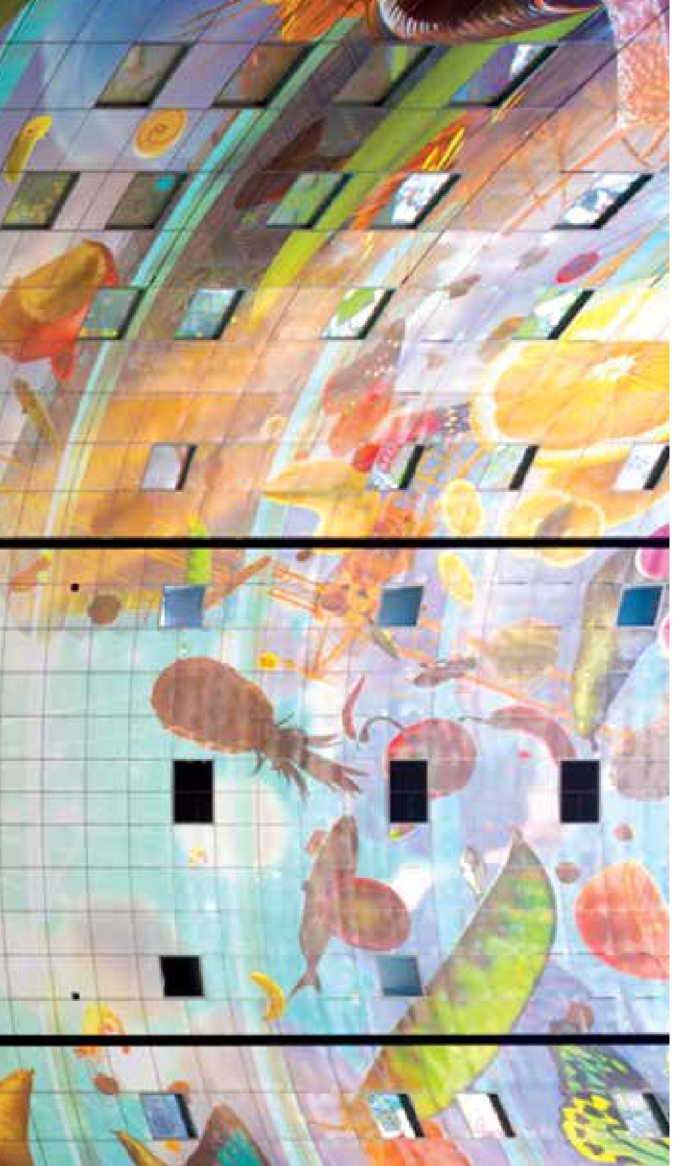
يُعد سوق روتردام أول سوق شعبي بسقف مغطى، إلا أن المصممين حرصوا على أن يبدو كما لو أنه في الهواء الطلق، كعادة الأسواق المفتوحة فرفعوا من السقف إلى درجة لا تشعر بوجوده



بهارات من مراكش



أضخم عمل فني من نوعه
في أوروبا







سوق ومقصد سياحي في الوقت نفسه



الخضار والفاكهة ومزيد من الألوان

ويتحدَّث بعض المراقبين عن «سيكولوجية» خاصة تتميز بها مدينة روتردام، وهي البناء تحت الجسور وفي الأنفاق، كما لو أنها تخشى أن تتعرَّض إلى حرب جديدة. وربما هذا السوق أيضاً لا يختلف عن باقي مباني روتردام في إيجاد النفق العظيم الذي يميِّز المدينة، إلا أنه نفق زاهٍ، وملوَّن، ومملوء بالحياة.

كان التحدي الأكبر بالنسبة لبلدية روتردام يتمثَّل في إيجاد سوق ومبنى سكني ومواقف سيارات ضخم في المنطقة نفسها. هذا ما تمكَّن المصمم الهولندي من تحقيقه بالفعل. لكن التحدي الأصعب كان ألا يتحوَّل السوق إلى رواق تسوق للأثرياء فقط، على غرار «هارودز» في لندن أو «باينكورف» في هولندا. ولم يكن الأمر سهلاً.

فوجود سوق شعبي تحت سقف مبنى يُعد تحفة فنية مكلفة ومجازفة حقيقية، اعتقد البعض أنها ستنتهي إما بفقدان المبنى لقيمته الفنية أو بفقدان السوق لطابعه الشعبي البسيط.

لكن بلدية روتردام نجحت في كسب التحدي، عبر الإصرار على عكس التنوع الموجود في المدينة داخل السوق. فتجد بائع البهارات المغربية إلى جانب بائع لحم البقر الهولندي وبائع الخضر والأسماك السورينامي يحاذيه مطعم مغربي، وفي جوار المطعم بائع الورد الهولندي وبائع الخبز التركي.. في تنوع واختلاف مبهر، لا يقل جمالاً وتفرداً عن الاختلاف الذي تتميَّز به مدينة روتردام التي تضم أكبر جالية مغربية على الإطلاق، وعمدتها أحمد أبو طالب هو أول عمدة



مدخل السوق

المباني السكنية المطلة من فوق على السوق

هولندي من أصل مغربي، كما تضمُّ أيضاً جالية كبيرة من الأتراك والسورينام والإندونيسيين، وغيرهم.

وعندما سُئل مصمم المبنى: متى تستطيع أن تقول إن المبنى نجح في تحقيق التوازن المطلوب منه؟ قال: «عندما نسمع داخله صراخ الباعة، ونرى على أرضه وروداً متناثرة، ونشم داخله رائحة الشواء، تماماً كما يحدث في الأسواق المفتوحة، لا نريده أن يتحوَّل إلى سوق للنخبة، لذلك راعينا الذوق الفني للعامة، بحيث نقرّبهم من الفن، ونقرّب الفن منهم، فالأشكال المرسومة على السقف رغم فنيتها الشديدة إلا أنها تعكس حقلاً معرفياً وبصرياً مألوفاً وقريباً من عامة الناس، وهو الخضار والغلال والأبقار، والشمس والأسماك».

هوية المبنى

للمباني هويات كما للبشر. هذا ما يقوله مبنى روتردام ويؤكده مصمّموه. فالمبنى الذي لا يعكس هوية محدَّدة وواضحة يصبح مبنى هجيناً ودخيلاً على المكان الذي يوجد فيه وعلى مرتاديه.

لهذا السبب تحديداً، ولأن مدينة روتردام تُعد ثاني أكبر مدينة هولندية من حيث التعداد السكاني، وتنوع الأجناس واللغات، فقد حرص المبنى على أن يتكلم لغة يفهمها الجميع، ويعكس صورة قريبة من الكل، ويزيِّن جدرانه بألوان الطيف التي تميِّز المدينة. وإذا كانت شوارع المدينة تفرق بين الذاهب والقادم، وبين الغني والفقير وبين أبنائها الأصليين والدخيلين عليها، فإن سوق روتردام يجمع ويوحّد، هو نقطة تصب فيها المدينة كل اختلافاتها، فتُمحى الفوارق، وتتقارب الأجسام، وتتماس الأرواح.

كثيرون يأتون إلى السوق للجلوس في أحد مقاهيه الشعبية، أو لتناول وجبة غداء خفيفة في فسحة العمل القصيرة، ويأتيه آخرون للتبضع، أو التنزه، أو التمتع بالنظر إلى سقف المبنى، والتقاط الصور، وهناك طبعاً من يأتيه لأنه يقيم فيه، أو بالأحرى في الشقق المبنية فوقه، التي تمكِّن من يسكنها من أن يطل على السوق، ورواده من نافذة زجاجة، ويتابع تحت قدميه مشهداً يومياً حياً يضج بالحياة والحركة.



مزرعة في الملجأ الحربي

استنبات الخضار على عمق 100 متر تحت سطح الأرض تحت الضوء





ريتشارد بالارد وستيفان دريغ المستثمران في المشروع



تفحُّص عينة من الغلال

قد يكون آخر مكانٍ يمكن التفكير فية لإنشاء مزرعة خضار وفاكهة، ملجأ يقع على عمق 100 قدم تحت سطح الأرض. أُنشيء هذا الملجأ في مدينة لندن أيام الحرب العالمية الثانية، وكان قادراً على استيعاب أكثر من 12000 شخص كانوا يتجمعون فيه للحماية من الغارات على المدينة في عام 1944م. وبعد هجره لمدة 70 عاماً، قرر رجلا الأعمال ريتشارد بالارد وستيفان درينغ الاستثمار فيه. فعملا على إقامة أول مزرعة جوفية في العالم. أما عامل الجذب الأول إلى هذا الملجأ، فهو التكلفة الزهيدة لإيجار مثل هذا المكان المهجور، بالإضافة إلى البيئة الخالية من المبيدات الحشرية التي توفرها بيئة الملجأ الجوفية ومقاومة الظروف المناخية الصعبة في مدينة لندن.

صممت هذه المزرعة بشكل حلقات مغلقة تسمح ببقاء جميع العناصر الغذائية محفوظة فيها. كما أنها لا تعاني من الجريان السطحي الزراعي الذي تتأثر به الزراعة في السهول المفتوحة. وتستخدم نظام ريّ يستهلك 70% أقل من كمية المياه المستخدمة في الزراعة التقليدية. ويتم تشغيل هذا النظام بشكل آلي بواسطة جهاز كمبيوتر يتحكَّم أيضاً بالإضاءة ودرجات الحرارة وتدفق الهواء ونسبة المغذيات. ومن المميزات الأخرى لهذه المزرعة قصر المسافة التي تقطعها منتجاتها لتصل إلى المستهلك لقربها من الأماكن السكنية في مدينة لندن وبذلك تبقى طازجة أكثر من غيرها.

أما المحاصيل الأولى في هذه المزرعة فتشمل براعم البازلاء، والقرنبيط، والثوم وبذور الخردل، وكذلك بعض الزهور الصالحة للأكل. ويجري العمل على تطويرها لكي تستطيع زراعة محاصيل أخرى، بما في ذلك الفطر وأصناف الطماطم المختلفة وأنواع أخرى من الخضار.

وهذا المشروع هو واحد من الطرق المبتكرة التي استطاعت فيها المدن الكبرى توسيع المساحات الزراعية فيها وإدخال الزراعة إلى البيئة الحضرية.



أربعة أمثلة

الرواية السيرية..

سخونة الواقع وصقيع السرد

ثمة علاقة ما بين الرواية والسيرة الذاتية، ظلت مثار جدل بين كثير من الكتَّاب.. قد تتكئ الرواية على السيرة الذاتية، أو تتخفَّى تحت تسمية الرواية.
وإذا كان الخيال الأدبي البعيد عن الواقع، قد أضفى على بعض الأعمال الروائية صقيعاً كئيباً، فإن الحياة بصدقها وواقعيتها وتناقضاتها وحرارتها وأحداثها المتصاعدة قد منحت كثيراً من الروايات السيرية لهيباً ووميضاً واشتعالاً ظل متقداً حتى عصرنا هذا، وأنتجت لنا كثيراً من الأعمال الخالدة التي استلهمت الحياة واتكأت على السرد الذاتي الواقعي.

فايز المسفر



روسو.. الإنسان في أصدق صوره

«إنني مُقْدم على مشروع لم يسبقه مثيل، ولن يكون له نظير، إذ إنني أبغي أن أعرض على أقراني إنساناً في أصدق صور طبيعته.. وهذا الإنسان هو: أنا! أنا وحدي!...». بهذا الوضوح التام، الصادم - حينها -، استهلّ الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو أول سطر في كراسات اعترافاته، التي قدّمت نمطاً مبكراً جداً من السِيَر الذاتية، التي ينحاز فيها الكاتب إلى واقعه - مباشرةً - يكون فيها هو الحاكي والمحكي عنه. ينقل سخونة أحداثه تماماً كما هي، دون أن يُخضع ذلك إلى صقيع الخيال والسرد الأدبي الذي قد يكون قاصراً، وربما باهتاً - أحياناً - في نقل تجربة إنسانية إذا ما قورن بسرد أحداث حقيقية واقعية، يكون الخيال فيها ضمنياً، لا كلياً.

نقل روسو في اعترافاته كثيراً من جوانب حياته الشخصية بكل صراحة، كان مؤمناً منذ وقت مبكر بأن الكتابة عن الذات تستلزم قدراً من الجرأة والصراحة والشفافية، وتتطلب نقل التجربة الحياتية بكل تداخلاتها وإخفاقاتها وإنجازاتها، وتستعير من زخم الحياة تلك السخونة الكامنة في مسرح أحداثها.

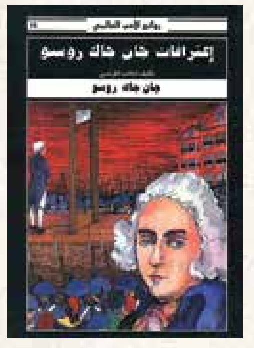
الجرأة في الحكاية عن الذات، عن الواقع، وكشف أدق الأسرار الحميمة في حياة الكاتب، بما يصاحب ذلك من سيناريو واقعي ساخن وحقيقي، يعجز عن صياغته أعظم الخيالات الأدبية، كل ذلك المزيج الساطع وهب اعترافات روسو الخلود والجاذبية.

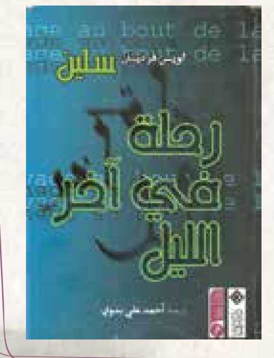
لقد ذكر روسو في تلك المذكرات قصة حبه الكبيرة لمدام دي فاران التي ظل يلهج بذكرها في تلك المذكرات، بل ولآخر لحظة في حياته. كتب تلك الاعترافات على مدى خمس سنين من 1765 حتى 1770م. وهذه الاعترافات بدورها كان لها دور كبير في تعليم أجيال من الكتَّاب الفرنسيين كيفية الكتابة الأدبية الشفافة، خصوصاً، الكتابة الرومانسية. ويدخل في عداد هؤلاء لامارتين وفيكتور هوغو وأسماء كثيرة.

فمن بين الكتب المهمة التي ألّفها روسو في مجالات عدة وشكَّلت منعطفات تاريخية كبيرة، تتميز اعترافاته هذه بكونه ينساب فيها كالماء المتدفق. تجده عاشقاً حيناً، وطفلاً يعاني الفقد واليتم والمرض حيناً آخر، وفيلسوفاً أديباً موسيقياً كذلك. إنه يجمع كل هذا المزيج بين دفتي كتاب خالد، ولا يمكن لقارىء أن يفهم مؤلفات وكتب وأفكار روسو ما لم يمر على اعترافاته الساخنة تلك. إن الكاتب حين ينزع إلى هذا النوع من الكتابة فإنه يقدِّم للقارئ نمطاً مختلفاً عن حياته، إنه يشارك القارئ كل تفاصيلها، مكوناً بذلك علاقة صادقة تتيح لكليهما الثقة بالآخر، وذلك ما يفسر الرواج الكبير لمثل هذه النوع من الكتابة.











«وكنت مكروباً، معذباً، حطمتني العواصف من كل نوع، وأضنتني التنقلات والاضطهادات خلال سنوات عديدة، وأصبحت أشعر شعوراً طاغياً بالحاجة إلى الراحة التي اتخذ أعدائي - الغلاظ القلوب - ملهاةً من حرماني منها...».

وكما بدأ روسو بهذا الوضوح التام، يختتم اعترافاته الشخصية كذلك، تاركاً خلفه نافذةً مفتوحة أطل من خلالها كثيراً للتعرف على سيرة هذا الكاتب الفيلسوف الكبير.

سيلين.. سوداوية الواقع وبياض الحرف

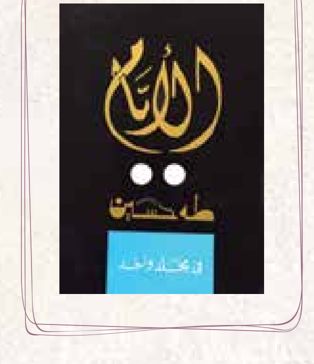
دخل سيلين الشهرة الأدبية من بابها الواسع بعد نشره روايته الأولى «رحلة في أقاصي الليل» سنة 1932م، حيث ينتقد الكاتب بنمطه الأدبي الفريد، رعب الحرب، قسوة الرأسمالية، وإلى حدٍّ ما الاستعمار، من خلال الشخصية الرئيسة للرواية فرديناند باردامو (المستوحاة من التجارب الشخصية لسيلين).

ينحاز الكاتب الروائي والطبيب الفرنسي لويس فرديناند سيلين في روايته «رحلة في أقاصي الليل» إلى الحقيقة والواقع كثيراً، الواقع بشقيه: النفسي والمحيط، مشكِّلاً ثورةً أسلوبية جمالية، موازيةً للثورة التي أحدثتها مؤلفاته العديدة.

تبدو حروفه هنا قناديل محتشدة، برغم السواد الذي كان يلفّ واقعه وحياته.

يصف بؤسه في أحد منعطفات حياته، حاملاً مخطوط روايته «سيرته» إلى إحدى دور النشر من أجل أن يعتاش من مكافأتها، لا من أجل أن يصير أديباً مشهوراً. لكن مخطوطة الرواية ضاعت، فضاع أمل سيلين في أخذ ما طمح إليه كي ينتشل نفسه من عجزها، ويبعدها عن حالات القهر الاجتماعي التي واجهته. وبمحض الصدفة النادرة، تهيأ لـ «سيلين» فرصة سانحة لنشر هذه الرواية التي أحدثت - لاحقاً - عاصفةً مدوية في فرنسا، ما لبث أن انتقلت إلى لغات أوروبية عديدة.. لم تكن لتلقى كل هذا الرواج لولا أنها جسّدت جوانب شخصية في حياة الكاتب، ورسمت واقعه بوضوح متناهٍ، مستحضرةً تفاصيل دقيقة لا تخطر على بال الخيال الأدبي مطلقاً.

إن الحياة الحافلة، والتجارب المريرة التي مرَّ بها سيلين ألقت بظلالها على روايته «رحلة في أقاصي الليل»، فاتساع التجربة وامتدادها ما بين الخدمة في الجيش، والعمل في مهنة الطب، والكتابة، والسجن، والاضطهاد.. كل ذلك السواد، أنتج لنا «الليل» الذي غاص في أعماقه سيلين، بكل مهارة واقتدار، ليأخذنا في رحلة إلى أقصاه، كانت أنفاسه أنفاسنا، وعزلته عزلتنا، وشقاؤه شقاءنا، وتلك الحرارة التي كانت محتشدة ما بين السطور، هي حرارة الأيام في أصدق صورها.



«الأيام».. نافذة أولى

«ومن ذلك الوقت حرّم على نفسه ألواناً من الطعام لم تبح له إلى أن جاوز الخامسة والعشرين، حرّم



غازي بن عبدالرحمن القصيبي

حياة في الإدارة

على نفسه الحساء والأرز وكل الألوان التي تؤكل بالملاعق، لأنه كان يعرف أنه لا يحسن اصطناع الملعقة، وكان يكره أن يضحك عليه إخوته، أو تبكي أمه، أو يعلمه أبوه في هدوء حزين».

لم تكن هذه الرواية تجربةً عابرة، ولا حدثاً عادياً. ربما لم يكن عميد الأدب العربي طه حسين - حينها - يفكر أن «الأيام» التي عاشها وكتبها، ستصبح باكورة الرواية السيرية في الأدب العربي. فقد انحاز فقط إلى الجمال، وترك للموهبة الفذّة إكمال المهمة.

لم تكن تجربة ذلك الفتى الضئيل الضرير، وهو يغادر الريف نحو المدينة طلباً للعلم، هارباً من ضيق القرية إلى اتساع المدينة، تجربة تدوّن بفتور وتقليدية.. أن تكون كفيفاً بين كل تلك الأضواء، غريباً وسط كل تلك الحشود، بعيداً بين تقارب الأشياء، أن تعيش كل هذه «الأيام» دون أن تكون لك القدرة على حكايتها، واسترجاع كل تفاصيلها الدقيقة، أنْ تعجز ذاكرتك عن الرجوع إلى تلك الأيام، فأنت تفوّت فرصةً سانحةً للجمال، وذلك ما لم يحدث مع طه حسين، حيث أهدى للأدب العربي تجربةً ظلت في موقع الريادة حتى يومنا هذا.

وإنْ كانت لخصوصية تجربة طه حسين باعتباره ينقل تجربة الفتى «الضرير» الذي كان يبصر بقلبه، أثرٌ في هذا العمل الخالد، فإنه عاش إضافة إلى ذلك مرحلةً مهمة في تاريخنا العربي، وحياةً حافلةً بالتجارب الموجعة حيناً والمشرقة حيناً آخر. لقد عاش أياماً كفيلة بأن تُروى وتُحكى، استطاع بموهبته الفذة، وبقلمه الجريء أن يقدِّم للأدب العربي والعالمي تجربةً جديرةً بالبقاء والديمومة.

حياة في الإدارة.. سيرة مغايرة

حينما نتحدث عن الروايات السيرية، لا يمكن تجاوز «حياة في الإدارة»، هذا الكتاب الذي قفز به الدكتور غازي القصيبي من التناول الأكاديمي الجاف لمفهوم الإدارة، إلى أفق السرد الإبداعي الرحب.

لقد تناول الوزير الأديب سيرته الإدارية بقلم الشاعر والروائي، أهّله إلى ذلك الحس الفني الإبداعي ممزوجاً بالخبرة الإدارية العريضة، ليخرج بهذا المزيج الرائع «حياة في الإدارة»، كسيرة أدبية إدارية لا تخلو من الفائدة العلمية والمتعة الأدبية كذلك.

«إذا كان ثمة سر فهو أنني كنت دوماً أعرف مواطن ضعفي بقدر ما أعرف مواطن قوتي».. يلامس «القصيبي» في هذا السرد الماتع لجانب عملي في حياة الإنسان، جانباً إنسانياً مهماً، لا يتسنى للمؤلفات العلمية التطرق إليه، إنه يكتب «نفسه» إدارياً قبل كل شيء.. يدير كتابة «نفسه» هذه المرة، يتحدث عن أسراره الشخصية الكامنة خلف كل قراراته الإدارية، وهذا ما أضاف إلى هذه السيرة الروائية الزخم الحياتي الإنساني المكثّف..

يعدّ «حياة في الإدارة» وثيقة تاريخية مهمة لحقبة إدارية أكثر أهمية في المملكة، كما أنه مرجع إداري في مجاله. إضافة إلى ذلك فهو يُعد عملاً أدبياً بامتياز. لقد كان الحديث عن الإدارة من بوابة الأدب، السرد تحديداً، هو الطريق الممهد الذي جعل من هذه السيرة الأدبية الإدارية عملاً يلامس كوامن النفس، وينفذ إلى الأرواح بانسيابية مدهشة.

«أستطيع أن أقول إن حصيلة السنوات الخمس الأولى في حياتي كانت وحدة مشوبة بالحزن، وطفولة تنمو تحت عين أبٍ حازم صارم وفي كنف جدة رؤوم حنون، هل تركت هذه الطفولة في عقلي الباطن ميراثاً وسم بسماته حياتي الإدارية؟»..

هكذا اختار «القصيبي» الحديث عن حياته الإدارية، ومن هذه النافذة تحديداً، نافذة السرد الذاتي، أو الرواية السيرية، أطل ليضمن لكتابه مكاناً مرموقاً في التراث الأدبي العربي.

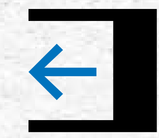


في ذكرى مرور أربعة قرون على وفاة الشاعر والمسرحي الإنجليزي الكبير وليم شكسبير، انطلقت في شتى البقاع، وبالأخص في موطنه، مهرجانات تحتفل بالذكرى الأربعمائة لوفاة واحد من أعظم الكتَّاب المسرحيين على الإطلاق.
وتشمل تلك المهرجانات عروضاً ومسرحيات وأسواقاً وجولات وندوات وغيرها، تهدف جميعها إلى احتفاءٍ يليق بالإرث الأدبي الخالد الذي تركه شكسبير من أعمال شعرية ومسرحية كلاسيكية تربّع بسببها على عرش الأدب.
من ناحية أخرى، أكثر إثارة ربما، أعادت هذه المناسبة إلى الواجهة من جديد أسئلة حول حقيقة شكسبير، يصل بعضها في شكوكه إلى اعتباره شخصية مُختلَقة ولا وجود لها على أرض الواقع. وقد طُرح هذا السؤال من قِبل مجموعة من الباحثين، واتُخذت في سبيل الإجابة عنه خطوات تراوحت بين الجدية العلمية ومحض الافتراض. إضافة إلى أنه، ومنذ وقت مبكّر، ارتفعت شكوكٌ حول عدد من النصوص التي نُسبت إلى شكسبير، وبعض تلك النصوص لا يزال الخلاف حول مؤلفها قائماً حتى اليوم.

علي المجنوني

في ذكرى مرور أربعمائة عام على وفاته

الغموض حول شكسبير لم يتبدَّد تماماً



تتعزّز الشكوك المتعلِّقة بأصالة شكسبير بشبه انعدام الوثائق التي تسجل حياته الخاصة. فظهرت نظريات تنفي وجود شكسبير بالشكل الذي يعرفه العالم اليوم. وبالطبع، تقدِّم هذه النظريات فرضية بديلة تقول إن ما نُسب إلى شكسبير من نتاج أدبي، إنما كتبه كتّاب آخرون أرادوا أن يستخدموا شخصية شكسبير قناعاً لأفكارهم، يقيهم مواجهة السلطة آنذاك. بمعنى آخر، لم يكن اسم وليم شكسبير في رأي تلك النظريات سوى اسم مستعار. بل إن سبع سنوات من حياته ظلت مجهولة الأثر تماماً، وأسهمت في ظهور فرضيات مختلفة عن مكانه، ودعمت فرضيات أخرى متعلقة بمن رُشحوا ليكونوا مؤلفي مسرحيات شكسبير، وهم كُثر.

هل هو كريستوفر مارلو؟

ولعل أهم الأسماء التي طُرحت باعتبارها أسماء المؤلفين الحقيقيين لمسرحيات شكسبير هو الكاتب الإنجليزي الشهير كريستوفر مارلو. فقد قابل شكسبير كريستوفر مارلو الذي تشبه قصةُ حياته قصةَ حياة شكسبير، في ما عدا أن الأول تلقَّى تعليماً ممتازاً وحصل على منحتين للدراسة إحداها من أكاديمية الملك النحوية الشهيرة التي ارتبط اسمها باسم شكسبير في ما بعد، والأخرى من جامعة كمبردج.

وذاع صيت مارلو في المسرح بعد أن كتب مسرحيات عظيمة. لكن الجزء الذي يثير التساؤل بالنسبة لعلاقته بشكسبير يكمن في النشاط السياسي الذي مارسه مارلو معارضاً، وأدّى به إلى مواجهة عقوبة الإعدام، ثم قُتل في شجار قبل إعدامه ببضعة أيام. وتقول النظرية إن مارلو زوَّر حادثة موته ولاذ بالهرب سراً. ولم ينشر شكسبير أول أعماله إلا بعد اختفاء مارلو. وتستند هذه النظرية أيضاً إلى تشابه كبير بين أعمال كل من شكسبير ومارلو، سواء في الموضوعات أو في الأسلوب، كما أن كليهما استخدم الشعر الحر، واستعمل الرموز نفسها.

واستشهد مروِّجو تلك النظرية بجملٍ تصل أحياناً إلى حدِّ التطابق وجدت في مسرحية مارلو «يهودي مالطا» ومسرحية شكسبير «روميو وجولييت».

افتقاره إلى التعليم الأكاديمي!

وكما أشرنا سابقاً، لم يحفظ التاريخ أية وثائق ومن أي نوع، سواء أكانت أوراقاً رسمية أم إشارات من أولئك الذين عاصروا شكسبير، تدل على أن أكبر أديب إنجليزي تلقَّى تعليماً معتبراً، لكونه لم يلتحق بجامعة على الإطلاق. وهذا ما جعله محل انتقاد بعض الأدباء من أمثال مواطنه الشاعر والمسرحي بن جونسون. ولكن، في الوقت نفسه، أصبح السؤال مُلِحاً حول كيفية تفسير براعة شكسبير الأدبية في وقت تنعدم فيه احتمالية انخراطه في التعليم. وعلى سبيل المثال، كيف يمكن تفسير معرفة شكسبير الضليعة باللاتينية التي استُدلّ عليها من خلال مقولات من الأدب اللاتيني وضعها الكاتب على أفواه شخصياته المتعددة؟. كما أن من تبنَّى النظرة التشكيكية في مسرحيات شكسبير لم يجد توافقاً منطقياً بين سيرة الكاتب الذاتية وبين روح كتاباته وأجوائها الأرستقراطية. على كل حال، لم يتوصل الباحثون إلى إجابات شافية في هذا الشأن، وهذا ما جعل أسئلة «أصالة» شكسبير قائمة حتى يومنا هذا.

الاستنجاد بالتطبيقات الحاسوبية

استمراراً في تقصي الفرضيات المشككة في وجود شكسبير أو في كونه فعلاً مؤلف كل الأعمال المنسوبة إليه، استُعين بالتطبيقات التي تقدِّمها تقنية الحاسوب لحل لغز شكسبير في أكثر من مرة مؤخراً.

فالإمكانات التي باتت متوفرة بفضل استخدام الكمبيوتر في التحليل الأدبي هائلة، وأسفرت عن نتائج مذهلة من خلال قدرتها على القيام بمهام تستعصي، أو تكاد، على الاستطاعة البشرية، مثل إحصاء الكلمات والتعابير، وتتبّع تكرارها في العمل الأدبي الواحد أو في مجموع الأعمال الأدبية، من أجل استنباط أنساق مفرداتية وأسلوبية يمكن أن تنبئ عن كاتب النص الحقيقي. وهكذا عُقدت مقارنات حاسوبية بين شكسبير وغيره من الكتَّاب المسرحيين الذين يشتبه في أنهم مؤلفو مسرحياته الحقيقيون.

إذ بدءاً من العام 1987م، شرع باحثون في مقارنة أسلوب شكسبير بسبعة وثلاثين كاتباً آخرين قُدِّموا باعتبارهم هم من كتب في الأصل أعمالاً منسوبة إلى شكسبير. هذه المقارنة مستمرة إلى الآن، وكان من نتائجها أن الأعمال الأدبية التي خضعت للمقارنة تكشف عن أسلوب متسق لكاتب واحد وليس لكتَّاب متعددين. كما أظهرت النتائج أيضاً أن الأسلوب المفحوص في تلك الأعمال يبيّن أن كاتبها يختلف في أسلوبه عن كل أولئك المرشحين ليكونوا الكتَّاب الأصليين.

وإضافة إلى ما تقدّم، يبدو الكمبيوتر أكثر إنصافاً لشكسبير من المؤرخين، إذ ظهرت أبحاث ودراسات عدة أجريت بمساعدة برامج الكمبيوتر، وتشير إلى نسبة احتمالية عالية بأن يكون شكسبير مؤلف أعمال لم تُنسب سابقاً إليه، ولو على سبيل المشاركة في تأليفها.

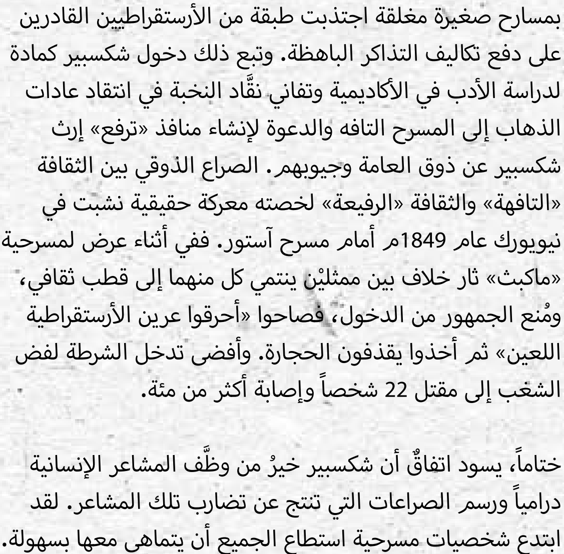


من أديب شعبي إلى أديب النخبة

من سمات أدب شكسبير أنه يحتل مكانة مرموقة بين متذوقي الأدب الرفيع. وما فتئ الباحثون في الجامعات وسائر المؤسسات الأكاديمية ينهلون من معين أدبه ويتحصلون على أرقى الشهادات من خلال دراسته. ولكن هل كان شكسبير دوماً هكذا، أي ثقافةً عليا؟ الجواب هو بالنفي. إذ كان شكسبير جزءاً من الثقافة الشعبية، وكان ارتياد عروض مسرحياته أو ترديد قصائده ملمحاً من ملامح الحياة الشعبية في بريطانيا وأمريكا. ولهذا، فهو مثال مهم على أن الفروق الموضوعة بين ما يسمى الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية ما هي إلا فروق وهمية صنعها المجتمع، مدفوعاً في الغالب بقيم برجوازية، بعد أن قرر حصر بعض الأذواق الفنية في طبقة معينة. والنتيجة أن يُنظر أحياناً إلى إرث شكسبير على أنه من الثقافة العليا التي لا يحظى العموم بفرصة الوصول إليها وتذوقها. لكن الواقع أن ذيوعه لدى جمهور العموم كان أكبر بكثير من الآن، وليس أدلّ على ذلك من حفظ عوامّ منتصف القرن التاسع عشر قصائدَه ومسرحياتِه عن ظهر قلب، وامتلاء مسرح «غلوب» الواقع على ضفاف نهر التايمز بالجماهير الغفيرة ، وهو المسرح نفسه الذي أسهم شكسبير نفسه في تشييده عام 1599م مع باقي أعضاء المجموعة المسرحية التي كان ينتمي لها. فما الذي حصل حتى أصبح شكسبير متعة يحوزها النخبة دون غيرهم ؟



كريستوفر مارلو



بعد صعود تشارلز الثاني إلى عرش الحكم ، استُبدل مسرح غلوب بمسارح صغيرة مغلقة اجتذبت طبقة من الأرستقراطيين القادرين على دفع تكاليف التذاكر الباهظة. وتبع ذلك دخول شكسبير كمادة لدراسة الأدب في الأكاديمية وتفاني نقَّاد النخبة في انتقاد عادات الذهاب إلى المسرح التافه والدعوة لإنشاء منافذ «ترفع» إرث شكسبير عن ذوق العامة وجيوبهم. الصراع الذوقي بين الثقافة «التافهة» والثقافة «الرفيعة» لخصته معركة حقيقية نشبت في نيويورك عام 1849م أمام مسرح آستور. ففي أثناء عرض لمسرحية «ماكبث» ثار خلاف بين ممثليْن ينتمي كل منهما إلى قطب ثقافي، ومُنع الجمهور من الدخول، فصاحوا «أحرقوا عرين الأرستقراطية اللعين» ثم أخذوا يقذفون الحجارة. وأفضى تدخل الشرطة لفض الشغب إلى مقتل 22 شخصاً وإصابة أكثر من مئة.

ختاماً، يسود اتفاقٌ أن شكسبير خيرُ من وظَّف المشاعر الإنسانية درامياً ورسم الصراعات التي تنتج عن تضارب تلك المشاعر. لقد ابتدع شخصيات مسرحية استطاع الجميع أن يتماهى معها بسهولة. وهذا ما يفسِّر امتداد أثره عبر اللغات والثقافات والأزمنة. ولطالما ألهمت أعماله، بعد أن تُرجمت إلى كافة لغات العالم الحية، خيال الأدباء والفنانين والمخرجين والممثلين وغيرهم ، ولا تزال أعماله تُقتبس إلى اليوم في أشكال جديدة من الإنتاج الأدبي والفني. ولكن قدَر شكسبير هو أن يبقى شخصية مثيرة للجدل، حتى بعد أربعة قرون على تاريخ وفاته.



لويس ثيوبالد

جون فلتشر



بن جونسون



أعلن متحف «تايت» في لندن مؤخراً عن بدء التحضير لإقامة معرض استعادي شامل في ربيع العام المقبل لأعمال الرسام البريطاني دايفد هوكني الذي يُعد واحداً من ألمع الرسامين البريطانيين المعاصرين. ومن مفاخر المعرض المرتقب، حسبما جاء في نشرة المتحف، اللوحات المميزة التي رسمها هوكني في مدينة لوس أنجلس الأمريكية، والتي تمحورت في معظمها حول المسابح المنزلية وأسلوبه الفريد في معالجة مشهد الماء المتحرك فيها، وكانت وراء شهرته العالمية.

مهدي عبده



«صورة وايلر في المسبح»، 1966م

أحواض السباحة وحركة الماء

أهم ما رآه دايفد هوكني في لوس أنجلس


«صورة فنان» (مسبح وشخصان)، 1972م


«مسبح في هوليود»، 1964م



في منتصف الستينيات من القرن الماضي، وصل الفنان البريطاني دايفد هوكني لأول مرة إلى مدينة لوس أنجلس الأمريكية آتياً من لندن، باحثاً عن الهدوء الملهم والشعور بالحرية. وبقليل من المال اختار مكان إقامته المؤقت في إحدى الشقق وبدأ بالرسم. إذ كان يرى أن هذا كل ما يحتاجه تقريباً في سبيل تجربة مختلفة.

ما الذي جذب هوكني إلى لوس أنجلس؟ الجواب بكل بساطة، هو الطقس الأخّاذ والمكان المثير، عالم من أشجار النخيل وأحواض السباحة، إضافة إلى كون المدينة كانت تعيش حالة من التوهج الثقافي بعد وصول كثير من الفنانين المنفيين من أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية من أمثال توماس مان وإيغور سترافينسكي وألدوس هكسلي. كانت لوس أنجلس تشبه المكان الحُلم لأي فنان، وقد تشكَّل هذ الانطباع لدى هوكني بعدما كوَّن الصورة الجمالية الخاصة به عن المدينة، جمال المناخ والمتعة التي يشعر بها الناس تحت الشمس، وشكَّل هذا مصدر إلهام خاصاً به، وأسهم في اختياره للألوان النابضة بالحياة.

ولد ديفيد هوكني عام 1937م، ودرس في أكاديمية برادفورد للفنون قبل أن يلتحق بالأكاديمية الملكية للفنون في لندن. سافر إلى لوس أنجلس لأول مرة فور تخرجه عام 1964م، وخلال الأعوام التالية تأثر بالأضواء ونمط الحياة في المدينة. وبحسب شهادته فإن «الأضواء في لوس أنجلس مذهلة أكثر بكثير من إنجلترا». وهناك بدأ العمل على سلسلة (أحواض السباحة) بأسلوبه البسيط الذي يقترب كثيراً من الواقعية. وظهر من خلالها أنه يتمتع بالموهبة في القبض على الموضوع والجرأة في التقاط اللحظة، حيث وثَّق الصيف في تلال هوليود والمظلات، والنقوش الزاهية، وحتى حداثة الديكور والعمارة.

جاذبية السطح المتغير للماء

بمجرد وصوله إلى لوس أنجلس إذاً، اكتشف هوكني أن لدى الجميع حوض سباحة. وأحواض السباحة في العموم ليست شيئاً مميزاً، ولكن في لوس أنجلس كان حوض السباحة يُستخدم، بسبب الطقس، على مدار العام. كما أنه لم يكن دلالة على الرفاهية بالضرورة مثلما هو الحال في كثير من المناطق الأخرى.

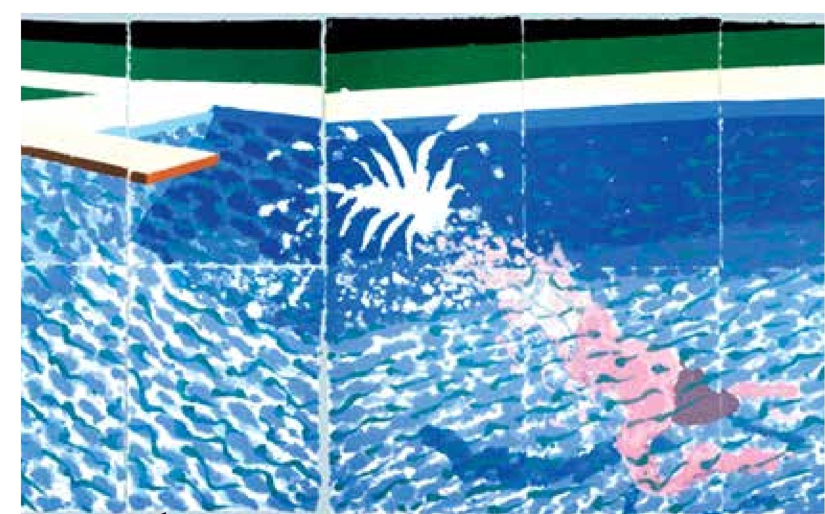
لقد انجذب هوكني إلى سطح الماء المتغير على الدوام، ووجد فيه ملهماً يستطيع من خلاله تناول موضوعاته الفنية المتعلِّقة في بُعدين حساسين من أبعاد التجربة الإنسانية، ألا وهما الخيال والذاكرة. ساعدته في ذلك مجموعة الألوان التي كان يستخدمها، فالذهبي والأزرق والأصفر والأخضر ألوان تمنح الشعور بالتوهج والصفاء اللذين تحتاجهما النفس.

شكَّلت مجموعة «رش» (Splash) المؤلفة من ثلاث لوحات لأحواض سباحة يُثار فيها سطح الماء على شكل رشة كبيرة، أهم ما في سلسلة (أحواض السباحة) التي أنجزها بين عامي 1966 و1967م. وفيها استلهم من معاصريه، البريطاني برنارد كوهين والفرنسي جان دوبوفيه تناولهما لسطح الماء. كما ترك مساحات واسعة من قماش الرسم خاماً، دون صبغ أو بقليل منه، في محاولة منه لمحاذاة الخيال والذاكرة بالحالة الأصل للنفس الإنسانية، الحالة التي تسبق الشعور والتجربة.

تشترك تلك اللوحات في تصوير مشهد درامي، ولكنه في الوقت نفسه مشهد صامت ومهيب وخالٍ من الأشخاص، على عكس لوحاته السابقة التي كانت تصور أحواض سباحة تحوي شخصاً، في الغالب ذكراً يدير ظهره. أما في مجموعة «رش»، فالدراما حاضرة في حركة الماء المفاجئة وقصيرة الأجل.. وبهذه الطريقة يجعل هوكني من حضور الشخص السابح حضوراً مختلفاً ومتناقضاً، يتراوح في الوقت نفسه بين الحضور والغياب، وبين السكون والحركة.

إخفاء الحضور البشري وإظهار أثره

كان هوكني دائماً مهووساً بالزمن، وبالاختلاف بين الزمن على أرض الواقع وبين الزمن كما نعيشه. ولكنه في هذه اللوحات تقدَّم في الزمن خطوة إلى الأمام، وتلاعب بالحضور البشري في اللوحة، مُخفياً هذا الحضور ومُبقياً على أثره. وفي هذا يقول عن اللوحة الثالثة من المجموعة التي استغرقت منه أسبوعين كاملين: «عندما تأخذ صورة لرشة ماء فأنت تجمّد لحظة لتصبح شيئاً آخر. أدرك أن



«غطّاس كبير»، 1978م



«رشّة كبيرة»، 1967م

الرشة لا يمكن أبداً أن تُرى بهذه الطريقة في الحياة الواقعية، حيث تحدث بسرعة شديدة. وأعجبني هذا، لذلك رسمتُها بطريقة متأنية جداً». يصوِّر هوكني في اللوحة اللحظة المهمة للماء المتطاير قبل أن يعود السطحُ المتحرك إلى هدوئه وصفائه من جديد. وبالطبع ينقل هذه الصورة عبر مجموعة الألوان الجريئة والفاتحة التي تناسب المشهد الطبيعي والذهني لحوض السباحة بشكل خاص وللمنطقة الجغرافية بشكل عام. فالضوء القوي الذي تتميز به كاليفورنيا المشمسة عموماً ولوس أنجلس بالتحديد، هو ما جذب الفنان إلى المنطقة. واستطاع اللون الفيروزي ودرجات الأزرق الفاتح التي تنتهي بالأبيض وباقي الألوان المشرقة، التعبير عن الموضوع بنجاح.

لقد أسهم هوكني في التعريف بلوس أنجلس، وأصبحت لوحاته من أهم أعمال تيار «البوب آرت». وخلال فترة قصيرة زادت شهرته كفنان له أسلوبه المختلف. فهذا الفنان معجب بالانطباعي هنري ماتيس وبيكاسو وحتى هوكوساي الرسام الياباني، ومتأثر بالحيوية الانطباعية في اختيار اللون. كان يفضّل الرسم على أسطح القماش، وباستخدام متفاوت للألوان المائية والزيتية. معظم تلك الأعمال تناولت موضوع لوس أنجلس الفاتن، الطقس والسباحة والمناظر الطبيعية. يقول هوكني: «الألوان تحركني. في إنجلترا يفتنك الأخضر في كل مكان والأحمر لون حافلات لندن، لكن هنا الضوء والسماء الزرقاء يفتناني جداً».

عمل هوكني على مجموعة من اللوحات التي تصوِّر الطبيعة في كاليفورنيا، بدقة في نقل تفاصيل البيئة وتعدد الفصول. وتحمل واحدة من أهم لوحاته عنوان «الطريق إلى الأستديو»، وتبدو مثل مهرجان للألوان، يتضح من خلالها تأثره بالانطباعية. فأعماله تمثل الشغف الذي كان يعيشه، والمتعة في اكتشاف الطريقة التي ينظر بها إلى العالم، حتى أصبح واحداً من أشهر الفنانين البريطانيين وأكثرهم تأثيراً في القرن العشرين.

في عام 1978م، قرَّر هوكني شراء منزل على أحد تلال هوليوود، أنشأ فيه الأستوديو الفني الخاص به وأصبح جزءاً من المشهد الفني في المدينة، حيث أسهم في تأسيس متحف الفن المعاصر في لوس أنجلس، وأصبح من رواد حركة «البوب آرت» الفنية



«فضاء داخلي عريض»، لوس أنجلس، 1988م

برفقة آندي وارهول. وكان نمط الحياة الاجتماعي الذي يعيشه يتيح له الاختلاط بنجوم السينما والموسيقيين، فقام برسم مجموعة من اللوحات بإلهام من الباليه والموسيقى. ولفترة، سُحر هوكني بالكاميرا، وعمل على مجموعة من الأعمال الفنية بكاميرا البينتاكس والبولارويد. في الغالب كان يفضِّل التصوير السردي والكولاج. فقد كان يحب تجربة الأساليب الفنية المختلفة بدءاً بآلات الفاكسيميلي وبرامج التصميم، وانتهاءً بالأجهزة اللوحية مؤخراً.

كان تأثير كاليفورنيا على دايفد هوكني عظيماً. ففي الفترة التي عاد فيها إلى مسقط رأسه في يوركشاير عام 2007م، راح يرسم بسطوة اللون البنفسجي، وأنجز مجموعة من اللوحات بأحجام ضخمة استلهمها من الطبيعة الخصبة في الريف الإنجليزي. لكنه عاد مجدداً إلى لوس أنجلس، إذ يبدو أن هذه المدينة تشكِّل ملاذاً له، يرى فيها أنه فنان منتج أكثر وأسعد. فعمل مؤخراً على مجموعة من «البورتريهات» لأشخاص من كل الأعمار يجلسون ببساطة على كرسي خشبي بخلفية زرقاء. فالفنان البريطاني بات مرتبطاً حتى النخاع بكاليفورنيا، يدلّ على ذلك قوله: «لقد عشت وقتاً طويلاً هنا، إني أرى في لوس أنجلس المكان الأكثر جنوناً وإبداعاً». ←



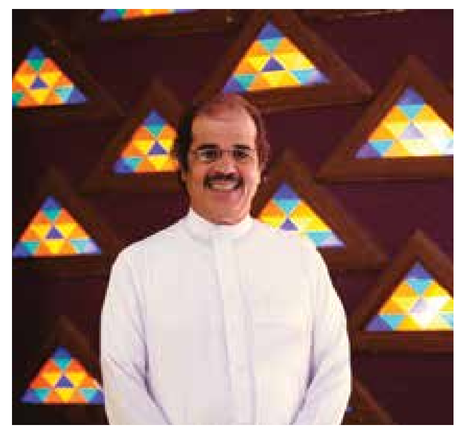


أشيقر من مدن نجد، وهي مدينة هادئة منغمسة في الهوية العربية، وغنية بطبيعتها من نفود ومزارع نخيل، وتُعد من أقدم مدن نجد وما زالت محتفظة بكثير من الآثار القديمة، وبيوتها الطينية تقاوم عوامل التعرية المتغيرة. بيئتها ملهمة وآثارها موحية لمن يمتلك إحساساً عالياً تستفزه شُقرة تربتها وحمرة جبالها. والفنان علي الرزيزاء هو ابن أشيقر هذه، إنه من وصفه أحد أساتذة الفن في إيطاليا بأنه كأس ممتلىء لو أضيفت إليه قطرة واحدة لخرجت منه دون أن تضيف إليه شيئاً.

فيصل الخديدي

علي الرزيزاء وأشيقر





الفنان علي الرزيزاء

الألوان الترابية وزخارف العمارة المستوحاة من البيئة المحلية

ألقت بيئة نجد الثقافية الخصبة بظلالها على شخصية علي الرزيزاء وموهبته المبكرة، واستنطقت مكامن الإبداع في مخرجاته ومنجزاته الفنية التي صقلها بدراسته في معهد التربية الفنية في الرياض، ثم أعقبها بدبلوم من أكاديمية الفنون بروما، حتى أصبح بفنه ومعرفته وخبراته المكتسبة من الممارسة والدراسة والموهبة الفطرية كشجرة تغرس جذورها في المدينة الساكنة به دائماً أشيقر.

عمل لصالح كثير من الجهات الحكومية والخاصة، وظهر امتداده الفني عند كثير ممن درسوا الفن على يديه، سواء في معهد التربية الفنية الذي عمل فيه معلماً لثلاثة أعوام، أو في التعليم العام بالمرحلتين المتوسطة والثانوية، أو حتى في المراكز الصيفية التي عمل بها مشرفاً على الفنون لثلاثة أعوام. وفي مساحة أوسع للإنجاز، عمل بأمانة الرياض لمدة ستة أعوام مهندساً للديكور، وأشرف على تنظيم عديد من المعارض التابعة للأمانة، وعلى إعداد وتصميم وتنفيذ معرض الرياض بين الأمس واليوم الذي قدَّم صورة مشرقة لهوية الوطن متجذرة في تاريخ نجد وتراثه الأصيل، وهو المعرض الذي جال على عديد من الدول والعواصم (لندن - باريس - القاهرة - أمريكا - كندا - إشبيليا).

بيته متحفه

وعلى الرغم مما حققه الرزيزاء من حضور في المعارض الكبيرة، إلا أنه ما زال مسكوناً بكثير من مدينته أشيقر. فقد عمل جاهداً على أن يكون كل ما يحيط بفنه معبِّراً عن تلك الرؤية الممتدة من شقرة تراب أشيقر وحمرة صخورها وجمال زخارف بيوتها الطينية وبساطتها. فبنى عالمه بنفسه بتصميم ورؤية ذاتية، حتى غدا منزله متحفاً أُعدَّ على مدار أكثر من خمسة عشر عاماً، راعى فيه الملامح النجدية والتراث المحلي بأدق تفاصيله من أبواب وشبابيك وأرضيات وأسقف وزخارف ونقوش وألوان الطلاءات والأثاث، وصولاً إلى نظم الإضاءة والتهوية، فكانت النتيجة تحفة فنية بمفردات زخرفية متحدة عميقة المدلول، مبنيةً بتكرارٍ غير ممل، وهندسية منتظمة مريحة وأنيقة بصرياً، ليصبح المنزل دار عرض تضم أكثر من خمسين عملاً فنياً من مقتنياته لأعمال عدد من الفنانين العالميين والعرب والمحليين. فقد نجح الرزيزاء في إظهار منزله على هيئة تحفة فنية معمارية أصيلة الهوية غنية بالجمال، حتى أصبح كمن يسكن في قلب لوحة تشكيلية.

مفرداته التشكيلية

تتلخص مفردات الرزيزاء في الشكل الدائري ومشتقاته من نصف دائرة وأهلّة وخطوط منحنية، كما يحضر الشكل المثلث أيضاً بمختلف مظاهره، وبتكرار يضيف إيقاعاً أصيلاً. فهو يرد الشكل الدائري إلى قرص الشمس، والمثلث إلى جذوع النخيل التي تشي بعمق وتغلغل الهوية الطبيعية لمدينته أشيقر التي أصبحت حاضرة في داخله. ويأتي الحضور اللوني في أعماله بومضات من لون الأرض وشقرتها، وألوان الرمال المتدرجة في البُنّي.. وإليها أضاف وحدات زخرفية عاشها وتشربها من خلال الأبواب العتيقة والشبابيك التي تشق باستطالةٍ صمتَ جدران العمارة النجدية.

يمكن القول إن الرزيزاء فنانٌ صاحب فلسفةٍ فنية حقيقية، ومشروعٍ تشكيلي ناضج، يقوم على الاعتناء بتراث المعمار المنزلي..

فالرزيزاء فنانٌ صاحب فلسفةٍ حقيقية، ومشروع تشكيلي ناضج، يقوم على الاعتناء بتراث المعمار المنزلي. هذا التراث هو موضوعه الكبير الذي يجسِّد من خلاله مشروعاً متجدداً في لوحات مسندية، ومجسمات ميدانية، وديكورات منزلية، فكان إبداعاً ناطقاً بكل قيم الجمال في متحفه المنزلِ ومنزله المتحف. فقد انطلق الفنان بإبداعه وفلسفته من عطر الأرض وشموخ النخيل وتفاصيل حياة ابن نجد، فلامس قرص الشمس بإبداعه وملأ محيطه فناً أصيل الهوية عميق الجذور، تجاوز به الحدود المكانية والزمانية، وسجل حضوره العالمي بمنجز أصيل.





القصيدة كشفٌ وارتحالٌ في الماوراء، فالشاعر يمارس نبوءةً من نوع خاص. أشواقه فيضٌ من الإلهام، وأحلامه شكلٌ من أشكال الحدس، حين تطيل التحديق في اللامتناهي، ستشف روحك وتنفذ عبر الحُجُب متجاوزة حدود المكان والزمان. والقصيدة المتنبئة هي التي تُكتب في منطقة بين الحضور والغياب، بين المرئي واللامرئي، بين الوعي واللاوعي، أياً كان موضوعها أو مساحة اشتغالها. والشاعر العارف هو ذاك الذي يشعل حرائق الأفكار، ثم يقف مصلوباً على أخشاب رؤاه.

في ذات الشاعر توقٌ أبديٌّ إلى لحظة البدء، إلى الشهقة الأولى، وإلى صرخة الوجود...
وفي العتمة البيضاء حيث تقيم النفس، سوف تتلمَّس طريقها للعروج إلى أفق فسيح وفضاء أوسع وأجمل. يظل الإنسان مشدوداً إلى خيوط النور المتصالبة مع تصوراته، ليصل إلى الروضة السماوية...
الكون حجرة الشاعر المعتادة، حيث يحرق سجائر روحه، الواحدة تلو الأخرى، ليتصاعد مع دخانها ويبصر ما لم يكن يبصره قبل ذلك الاحتراق!
كل قصيدة هي عودة إلى البداية، هي ميلاد متجدِّد للبشرية، وفي كل قصيدة موت وحياة، وذات الشاعر هي نقطة الالتقاء بين ذلك الموت وتلك الحياة، هي البرزخ الذي يصل بين العالَمَيْن. وفي لحظة واحدة فقط يمتزج هذان العالمان ليصبحا عالماً واحداً، لا حدود بينهما، تلك هي لحظة التجلي والتلقي، تجلٍّ للروح على إلهامات باهرة، وتلقٍّ لألواح الحقيقة...
إنها لحظة يتداخل فيها الألم بالفرح، ويتكامل فيها الاعتناق بالانعتاق، اعتناق الذات وانعتاق من الذات...
يموت الشاعر لتولد القصيدة... تحترق الروح لتنبعث الإنسانية...

1

فأنا أشواقي أحداقٌ
ورؤايَ الحبْ

وأنا أنفاسي خطواتٌ
لمنافي القلبْ

ألبس أحزاني
لكني ...
عارٍ في الجُبْ
سأغنّي ..
وسأفنى عشقًا
وسيفنى الدربْ
(...)

2

لا أعلم شيئًا،
لكني ..
مهد الأسرارْ
لا أقرأ...
لكن في صدري
كل الأخبارْ
قلبي آفاقٌ تترامى..
وفمي أسوارْ
ودمي
- هل تعرف لون دمي ؟-
كل الأنهارْ
في الكون يتيمان تماما
أحمدُ والغارْ

3

ويقول البحرُ :
ألم ترني ؟

رقصي أمواجْ
وتقول سماءٌ :
في عنقي
يلتمعُ سراجْ
(...)
وتقول الغيمة :
من رحمي ..
مطرٌ ثجّاجْ
وأقول ....
ولكن في قلبي
يبكي الحلاجْ !

4

وأحدّق في العالمِ
لأرى ..
فأرى الواحدْ !
تملؤني الدهشة
منفرداً
نحو الواحد !
يهتف بي عقلي
عرفاناً :
.. قف لتشاهدْ !
محجوباً كنت عن الرؤيا .
وأنا العائدْ
- فأنا المفقود بصحرائي
وأنا الفاقدْ

5

ما الكلمة ؟
كونٌ كان رؤىً
ثم انبثقا !

ما اللذة ؟
شيءٌ من وجعين
إذا التصقا !
ما الظلمة ؟
صبحان تلاقا
ثم افترقا
ما الدمعة
بحرٌ !
قيل البحر إذا اختنقا !
ما الرؤية ؟
نورٌ أحرقني
ثم احترقا

6

ستأمرُ أنفاسُ الشعلة
رئةَ المصباحْ

سأعاقرُ كأسَ مناجاتي

وسأفتح باباً ..
كي أبصرَ سرّ الأرواحْ

وسأرقى ..
حتى تتلاقى كل الأفراحْ

وسيصدح صوتٌ أبديٌ :
ألقِ الألواحْ

7

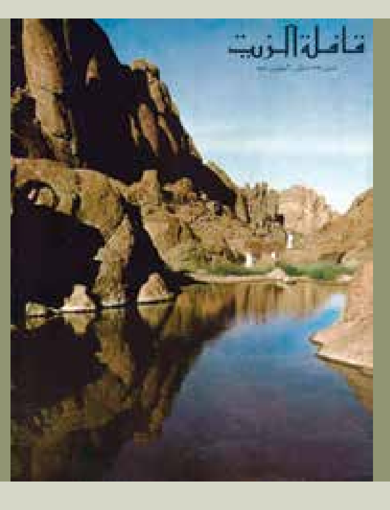
ممتدٌ من أقصى وجعي
حتى أقصاهْ

مجنونٌ ،
ترقص في جسدي
كل الأشباهْ

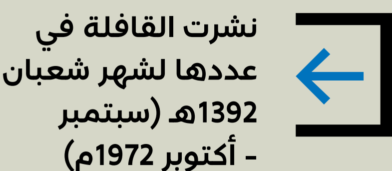
الحبُ تراتيلي
فأنا ...
ماذا لولاهْ ؟

اللهفة أنغامٌ تسري
والدهشة ...
آه !!

وسأصمت ...
لكنْ ملءَ فمي
" الله الله "



حائل.. حاضرة جبال شُمَّر



نشرت القافلة في عددها لشهر شعبان 1392هـ (سبتمبر - أكتوبر 1972م) استطلاعاً مصوراً بقلم سليمان نصر الله حول مدينة حائل وبلدات منطقتها، نقتطف منه ما يأتي:

القافلة
يوليو / أغسطس 2016

منطقة حائل شاسعة جداً، إذ تمتد شمالاً حتى تشمل صحراء النفود ذات الرمال الوردية، وتمتد شرقاً وجنوباً إلى حرة خيبر، وتصل إلى القصيم من الجهة الجنوبية الغربية. وفيها الجبال والأودية والحرار والصحاري والسهول والهضاب، كلها قد اجتمعت في تناسق جميل لتضفي عليها طابعاً مميزاً. وليس من قبيل الصدف أن تُعرف هذه الرقعة الخلابة اليوم باسم «إمارة الجبل». ذلك أن جبال طيء، كانت ولا تزال، مصدر الخير وينبوع الجمال، نسج الخيال المجنح حولها أمتع القصص التي لا تزال جنبات الشعاب تردد أصداءها. وهذه الجبال تتألف


قلعة «عيرف» على قمة جبل «عيرف» في الجهة الجنوبية من مدينة حائل



من سلسلتين متوازيتين تُعرف إحداهما بأجا والأخرى بسلمى. وتفصل بين السلسلتين سهول تمتد نحو 70 كيلومتراً تتخللها الجبال الصغيرة.

ومدينة حائل التي ترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي 3500 قدم تقع في سهل منبسط على بُعد 4 كيلومترات من حافة جبل أجا الشمالية الشرقية، وتحيط بها هضاب قليلة الارتفاع من الجهة الشمالية، وإلى الشرق من حائل يقوم جبل صغير يُدعى «أعيرف» الذي تتربع فوقه «قلعة الزيارة» القديمة التي بُنيت في أوائل القرن التاسع عشر، ومن ورائه ينتصب جبل «سمراء حائل»، وهو جبل شاهق تقوم على قمته أطلال حصن قديم منيع بُني بالحجارة الغرانيتية والجص. ويشرف هذا الجبل الأشم على مدينة حائل، وقرية الخريمي من الجهة الجنوبية، وعلى ضاحية «السويفلة» القديمة من الجهة الشمالية. ومن أروع المشاهد التي يمكن أن يحظى بها الإنسان وقوفه على أطلال ذلك الحصن قبيل جنوح الشمس إلى المغيب مستقبِلاً النسائم الباردة، ممتعاً ناظريه بالسهول والهضاب والجبال والأودية، مشاهداً كيف تودع ذكاء تلك الطبيعة الفتانة كل يوم، فتلقي عليها وشاحاً من تبر قبيل أن تختفي وراء قنن جبل أجا.

ويطلق أبناء حائل على قمة ذلك الجبل اسم «الموقدة» ويزعمون أن حاتماً الطائي كان يأمر غلامه أن يوقد النار على تلك القمة ليهتدي بها المسافرون وتجلب له الضيوف، فكان يقول:

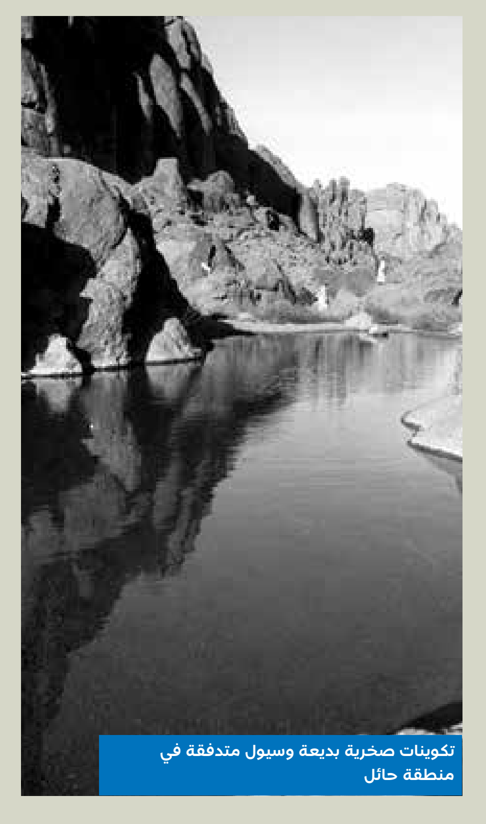
أوقد فإن الليل ليل قرّ
والريح يا موقد ريح صرّ
علّ يرى نارك من يمرّ
إن جلبت ضيفاً فأنت حرّ

وحائل اليوم تشهد حركة عمرانية عارمة ستزداد نشاطاً. ولن يمضي طويل وقت حتى يفتتح الطريق المعبَّد الذي يربط حائل بالقصيم، ومن ثم بالرياض، والبالغ طوله 280 كيلومتراً.

إن مما يسترعي انتباه الزائر لحائل قصر الإمارة الذي يقف شامخاً عند مدخل المدينة مما يلي المطار والذي



بدأت منذ عهد قريب زراعة القمح في منطقة حائل، وانتشرت انتشاراً كبيراً



تكوينات صخرية بديعة وسيول متدفقة في منطقة حائل

بناه سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير حائل السابق. وهذا القصر يُعد تحفة فنية رائعة، وقد شيِّد عام 1357هـ بالطين واللبن، وتقوم ردهاته على أعمدة من الحجر المصقول المكسو بالجص، ويمتاز القصر بأبوابه الضخمة المزخرفة، الزاهية الألوان، المصنوعة من خشب الإثل. ويحيط بالقصر سور عالٍ تقوم على أركانه «مرابيع» أي أبراج مستديرة، وتزدان حواف الجدران من أعلى «بزرانيق» جميلة. ويمثل هذا القصر الطراز المعماري العريق المتبع في أبنية حائل خير تمثيل. وفي الجهة المقابلة لقصر الإمارة يقف قصر آخر لا يقل عنه روعة هو «القشلة». وما إن يجتاز المرء هذين القصرين حتى يجد نفسه في وسط المدينة، حيث تقوم المحلات التجارية المكتظة بالسلع والكماليات على اختلاف أنواعها. ومن شارع المطار الرئيس يتفرع شارع الأمير خالد الذي يتجه غرباً، وقد أخذت ترتفع على جانبيه العمارات الحديثة الضخمة والمطاعم والمحلات التجارية. وعلى مقربة منه شيِّدت المباني الحكومية الحديثة، ومنها الإمارة، وإدارات الجوازات والجنسية، والبريد والبرق، والشرطة، وغيرها.

الحركة العلمية والفكرية والأدبية

يرجع تاريخ التعليم في حائل إلى ما يقرب من قرن من الزمان عندما كانت نخبة من المشايخ من أهل العلم تقوم بتعليم أبناء حائل مبادئ القراءة والكتابة.. أما التعليم النظامي بمعناه الحديث فقد بدأ عام 1356هـ عندما افتتحت المدرسة السعودية، وهي أول مدرسة ابتدائية بحائل. ومن ثم أخذت الحكومة توالي افتتاح المدارس الابتدائية في حائل وقرى المنطقة حتى بلغ عددها 72 مدرسة، تضم بين جدرانها 6765 طالباً. وفي عام 1373هـ تأسس معهد للمعلمين يلتحق فيه الطالب بعد إنهاء المرحلة الابتدائية، وقد تخرَّج منه حتى تصفيته عام 1387هـ ما يقرب من 465 طالباً انخرطوا في سلك التدريس في المنطقة. ويرجع تاريخ تأسيس أول مدرسة متوسطة في حائل إلى عام 1375هـ، ثم ما لبث أن أصبح في المنطقة خمس مدارس متوسطة، يبلغ عدد الطلاب فيها حالياً 1075 طالباً، وفي عام 1378هـ قامت وزارة المعارف بافتتاح مدرسة ثانوية، وهي تضم الآن 164 طالباً.. وفي العام الدراسي 1390 / 1391هـ افتتح في حائل معهد ثانوي لإعداد المعلمين يُقبل فيه الطالب الحاصل على شهادة الكفاءة.



عندما يشتد البرد في منطقة حائل تروج سوق الفراء المصنوعة من جلد الخراف التي تكثر في حائل، ومنها النجدية والحبصية والجرشية، وتمتاز كلها بأصوافها الناعمة

أما التعليم الديني في حائل فيوفره المعهد العلمي التابع للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض. وقد افتتح هذا المعهد عام 1381هـ وبدأ بحوالي 150 طالباً، ويقبل فيه الطالب بعد نيله الشهادة الابتدائية.

ويعود تعليم الفتاة في حائل إلى عام 1381هـ عندما افتتحت الرئاسة العامة لتعليم البنات أول مدرسة ابتدائية في حي الجديدة، ثم أتبعتها فيما بعد بثلاث مدارس ابتدائية في حائل. وقد شرع في العام المنصرم في إنشاء مدرسة نموذجية ضخمة في مدينة حائل تضم مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. ومن المتوقع أن تنتهي أعمال الإنشاء فيها قريباً لتباشر المدرسة رسالتها في العام الدراسي المقبل.



يجري حالياً تمديد خط أنابيب قطره 12 بوصة لينقل مياه الشرب إلى مدينة حائل من منطقة «الحميمة» التي تقع على بعد 45 كيلومتراً من حائل



القافلة
يوليو / أغسطس 2016

مواعيد عرقوب

من الأمثال المشهورة «مواعيده مواعيد عُرْقوب»، ويضرب لمن لا يلتزم بوعوده. فما قصّة عُرقوب هذا؟

عُرقوب هو رجلٌ من العَماليق جاءه أخٌ يطلب منه أن يُعينه في حاجته، فقال له عرقوب: إذا أطْلَعَتْ هذه النّخلةُ فلَكَ طَلْعُها (الطّلع هو الغَريض وهو أوّل ما يُرى من عِذْق النّخلة).

فلمّا أطلَعَتْ أتاه أخوه، فقال له: دعها حتّى تصير بَلَحاً. فلمّا أبْلَحَتْ قال: دعْها حتّى تصير زَهْواً (الزّهو هو التلوّن بالحُمرة والصُّفرة). فلمّا أزْهَتْ قال: دعْها حتّى تصير رُطباً. فلمّا صارت رطباً، قال: دعْها حتّى تصير تَمْراً، فلما أتمَرتْ جاء إليها عُرقوب في الليل فجذّها، ولم يُعطِ أخاه شيئاً، فصار مَثلاً.

وفيه يقول الشّاعر :

وَعَدْتَ وكَانَ الخُلْفُ مِنكَ سَجِيَّةً ... مَواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بِيَثْرِبِ

محمد فارع:
البيوت القديمة إرثنا الأجمل

محمد فارع فنان سعودي شاب. شكّل في محترفه في الرياض فضاءً فنياً، فرّغ له الجزء الأكبر من بيت العائلة.وذلك في اعتماده نمط حياة تقوده فعلياً لا مجازياً مفاهيم الفن.. ولدى لقائنا فارع في محترفه هذا، تشكَّلت عندنا صورة عنه، كفنان حريص على استقلاليته، وذي موقف إيجابي من مؤسسات الثقافة الرسمية في الوقت نفسه. كما يظهر أن لإيمانه بالتراكم والصدق مع الذات بالغ الأثر عليه في تكوين المواقف والمسافات بينه وبين مجايليه في الوسط الفني. إنه فنان وفيٌّ للتراث، ويظنه المشروع الأنسب لمصافحة الآخر، مؤمن بأنَّ لمحترفه الجميل دوراً اجتماعياً فاعلاً في الوسط الفني.

ضياء يوسف



• لو استنطقنا روح محترفك، ماذا ستقول لنا عن الفن وعنك في عالم الفن؟

سيقول محترفي إن قصتنا كمجتمع لديها فرصة لتؤرخ فنياً بأجمل تفاصيلها. فنحن نعيش حياة الأسلاف من خلال فنهم فقط. وسيقول أيضاً إنني أبحث عن قلب واحد يجمع الفنانين من جهة والفن بهم من الجهة الأخرى. فالفنانون التشكيليون أو الفوتوغرافيون والشعراء والفنانون عموماً، هم دائماً في حالة اختلافات ضمن المهنة المشتركة. أريد للصدق أن ينشأ في بيئة الفن لدينا. أريد أن يتم تداول الفن بالصدق فقط.

• من الواضح أن أعمالك تقدِّم مجموعة من العناصر والمعلومات اللونية الأساسية حول التراث، وبشكل أقل وضوحاً بكثير، تظهر أهمية موضوعات أخرى تتطرق إليها لوحاتك. هل نقول إن فنك ذاتي يتعلَّق بالشعور أكثر من الفكرة؟

أولاً، الفن هو تعبير الإنسان عن ذاته وما حوله وما اكتسبه خلال حقبة زمنية يعيشها. والفنان «الحقيقي» هو نتيجة ما يكتسبه ويتعلمه من أشياء بسيطة. هنالك ثقافات أخرى سبقتنا لديها مهارات في الفنون تفوقت بها. ونحن نستطيع تعلم مهاراتهم وتقنياتهم. ولكن الجميل والمميّز ليس في ذلك إنما في «اختزال» الثقافة التي نشأنا عليها: البيوت، الشمس، المطر، النخيل.. كل شيء حولنا لمسناه، أحسسنا به هو من مكتسباتنا الجميلة، ويجب أن تخرج منها أعمالنا الفنية سواء أكانت تجريدية أو مفاهيمية، أو بأي شكل من أشكال الفنون، ويحق لي أن أعبِّر عن وجودي وكياني من خلالها. فبالنسبة لي، تدرجت في الرسم من قلم الرصاص إلى الواقعية ثم إلى التجريدية ثم إلى نوع من التعبير المفاهيمي..لأوصل رسالتي.. ولا أقول إن رسالتي بهذا الوضوح، ولكن انتمائي إلى بيئتي الذي أريد التعبير لكل العالم عنه هو في غاية الوضوح. وسيدرك الآخر ما أفعله.

• مناقشة فضاء المحترَف الخاص بك تجعلنا نتطرَّق إلى الإشكالات التي تواجهها في تلقي موضوعك الفني وفي تحوله وتطوره. إلى أي حدٍّ أنت مدرك للتحولات الفنية في أعمالك، وللصعوبات التي قد تواجهها هذه التحولات مع المتلقين؟

أنا أعي أن تحولات مراحلي الإبداعية ليست محاولة للتماشي مع المتلقين. وعندما أتغير فهذا لا يعني أن الأمر يحدث من أجل المتلقين أو الجمهور. إدراكي هو الذي يتغير. ربما في بداياتي كان يهمني أن أثبت احترافيتي وموهبتي.

الآن أرسم لأرتاح، لأنني أشعر بنوع من المسؤولية في طرحي. بت أعرف أن هناك نوعاً من الصدق يصل إلى المتلقين على أي حال. فمثلما تتغيَّر نظرة الإنسان من عيني الطفل إلى عيني المراهق إلى الناضج إلى الشيخ، فإن إدراك أي مبدع من المبدعين ينمو بنفس الأطوار تقريباً. وما يحكم كل هذا هو التطلع إلى الحياة بشغف. فما يتغير هو طريقة تعقيد الحياة. كل شيء حولي أقرأه وأراه بشكل



استطعت إدخال مجتمع الفن النخبوي إلى محترفي والفنان «الحقيقي» هو نتيجة ما يكتسبه ويتعلّمه من أشياء بسيطة..

أوضح الآن. وأنا أدرك أن رؤيتي في المستقبل ستكون أوضح وسأعبِّر عن كل مكتسب.

• إلى أي حدٍّ تطمئن إلى قدرة «محترَفك» كأداة كما تحب أن تسميه.. في عكس توجهك الداخلي وعمقك!

لقد تطور معنى المحترَف بالنسبة لي كثيراً. فقد جاء في مرحلة ما ليتدخل في تكوين حياتي ومنزلي الشخصي. وحولت «مجلس البيت» الذي هو وجه البيت وأهم مكان فيه، إلى محترف. لم يؤمن أهلي في البدء بفكرة المحترف لأجل الفن. ولعشرة أعوام أو أكثر، عانيت لكي أقنعهم بضرورة تغيير المكان ليتسع للفن مع الأشياء الأخرى. اقترحت أن يأتي الضيوف إلى مكان أكثر إثارة للدهشة من مجلس عادي. والآن، بعد كل هذا الزمن، استطعت تغيير المكان ليتماشى مع داخلي.

لدي عائلة وأخوة يتشاركون البيت، وقد تغيروا داخلياً تجاه فكرة الفن بعد أن استطعت إدخال مجتمع الفن النخبوي إلى محترفي / الذي هو جزء من بيتهم الآن. المساحة بالنسبة لي أساسية لفني لأنها تمثل إيماني بالمساحة الصحيحة لمصافحة الناس، والتعبير عن الفن، وإيصال رسائل جميلة للمجتمع. ومساحتي استقبلت ضيوفاً مهمين. لذلك، أثق بأن المحترف جزء من مشروعي الفني الذي أعمل عليه. هو عملي الذي يتطور كل يوم أكثر وأكثر. التراكم الذي يحدث بفعل الزمن وتلاقح الأفكار يتشكّل في داخلي، وينعكس في النهاية على المحترف.

ومن خلال فنون الآخرين الذين أشركهم في مساحتي من فناني جيلي وعشاق الفن، أستثمر الثقة التي تتكون بيننا وتثمر. وأستثمر من تجاربهم التي مروا بها لأتعلم. الفن أداة تتكلم عن ثقافة مجتمع كامل. أتعامل مع هذه الحقيقة بواقعية، وأحاول بتعاوني مع عدة جهات تنظيمية أن أتعامل مع ثقافة الآخر من خلال ثقافة وطني. ثقافة مجتمعي ومكاني وأصدقائي والفنون التي تحدث في كل لحظة حولي. خصوصاً الإسلامي منها الذي يملأني بمعاني الثبات من أجل ركيزة التقدم.

• ما هي الصعوبات التي تواجهها مع محترفك بصفته عالمك الأصغر بسبب انفتاحه على الحياة الاجتماعية بهذا الشكل الواسع؟

الصعوبة الأولى هي في أنني مضطر للبقاء في المحترف أقل بكثير مما أتمنى. بسبب ارتباطي بالعمل وعدم تفرغي لفني. هذا يحدّ كثيراً من فضائي الفني.. فضلاً عن الالتزامات الأخرى. أنا بحاجة لذهني وتركيزي وأتطلع لإنتاجي بشغف حقيقي.

• اهتمامك بأناقة محترفك واضح. فهذا فضاء يتوقع حضور الأصدقاء.. ويمارس سلوك المنصة الاجتماعية تقريباً. ويأخذنا هذا إلى سؤال عن إيمانك بجدوى التفاعل الاجتماعي بينك وبين الفنانين من جهة. وبين الفن والمقتنين الذين هم جزء أساسي من إحياء الاتجاهات الفنية أو قتلها.

بداية، أنا أحب الديكور والتصميم. ويجب أن يتناسب الإخراج مع المحتوى بشكل واضح ولافت. محترفي أنيق بسبب هذا لا أكثر. كما أن مرسمي يستقبل ضيوفاً وزملاء وأصدقاء وفنانين تشكيليين.. ولذا، أحاول العمل على تحويل محترفي إلى معرض دائم وخاص بمقتنياتي الشخصية. أنا أعشق الفن، وأريد للحياة أن تتحوَّل إلى قطعة فنية. لم يزرني مقتنون، كل زواري حتى اللحظة من الفنانين أو الأصدقاء أو الإعلاميين. وإذا تحوَّل المحترف إلى كيان رسمي، فقد نستقبل أكثر من ذلك. أتمنى أن يصبح هذا المحترف مكاناً يخدم الوطن من خلال الفن الذي يقدِّمه.





• لايوجد فن بمعزل عن المجتمع وما يجري فيه. وهناك تحولات كبيرة يواجهها المجتمع السعودي والعالم بأسره مثل تقنيات التواصل بين الناس.. كيف يواجه عالم الفن هذه التحولات برأيك؟ وما هي الرهانات والصعوبات والأثمان التي سيدفعها الفنانون جرَّاء ذلك؟

صارت وسائط التواصل الاجتماعي جزءاً من الفن. فظهر «الفيديو آرت»، وتغيرت بنية الفن وصورته بحسب تغير أشياء كثيرة في الحياة، ربما أكبرها هو ما نراه في ثورة الاتصال. فبتنا نستطيع أن نرى ورشة فنية في أي مكان في العالم ونحن في بيوتنا. وهذا تطور يخدم العمل الفني. ورغم أن سطح اللوحة «الكانفاس» تغيَّر، إلا أن الفن صار صدره أرحب، وتبقى اللوحة المتصدرة في نظري.

• تنبعث القرية وما زالت في أعمال أدبية وفنية كثيرة. فهل تكريس أعمالك لموضوع القرية هو موقف سلبي من المدينة؟

ليس عندي مثل هذا الموقف السلبي. أنا أرى البيوت القديمة تندثر، وجمالها ببقائها، وأنا أشير إليها بلوحاتي. والحمدلله أن هناك من عمل على المحافظة عليها لأنها الإرث الأجمل الذي تركه لنا من سبقنا، بجمالياته ومدلولاته



ومناسبته للبيئة. وأنا أحافظ عليها من خلال لوحتي. هذه طريقتي في حفظ البيت التراثي الوطني في أي جزء من الوطن الغالي. وهي لا تزال ماثلة أمامي، وأنا أفتخر بها.

• أي نوع من الأمل تنطوي عليه مسيرتك الفنية؟ وإلى أين صارت تأخذك مؤخراً؟

اشتركت مؤخراً مع مجموعة من الفنانين السعوديين في معرض أقيم في مدينة كان الفرنسية وانتقل إلى باريس برعاية سفارة خادم الحرمين الشريفين في فرنسا. وكانت له أصداء جميلة في المجتمع الفرنسي. أما طموحي المستقبلي فهو أن أتمكَّن من إقامة معارض شخصية داخلياً وخارجياً. فأنا أعمل على هذا، وأفكر في تبنِّي تنظيم معارض داخلية أو خارجية لفنانين آخرين. أريد أن أمارس دوراً في تنظيم المعارض، وأن أستثمر خبرتي في هذا المجال لتنظيم ملتقيات فنية.

• هل تعتقد أن التكتلات الفنية في المجتمع السعودي هي ظاهرة إيجابية أم العكس؟ وبرأيك، هل تنشأ هذه التكتلات بحكم موضوع الفن أم سوقه؟ وإلى أي حدٍّ نحتاج إليها؟

التكتلات ظاهرة طبيعية في الحياة وفي مختلف المجالات. ولكن الجيد منها هو ما يخلق فضاء تنافسياً جميلاً وشريفاً، عبر أعمال منظمة. أما التكتلات التي تسعى إلى إلغاء الآخر أو تقلل من شأنه فهي هدّامة.

• كيف تتحدد أهمية الفنان في مجتمعنا؟ وهل هي صادقة وأصيلة في نظرك؟

هنالك فنان يُصنع وآخر يَصنع. هنالك فنان تتم صناعته ليكون فناناً، وهذا موجود وبقوة على ساحة الفن السعودي. فإذا أردنا أن نعرف الفنان فعلاً، فعلينا أن ندرك رحلته وتراكم تجربته الحياتية والفنية. هناك فنانون كُثر من نوع الفنانين الذين «يَصنعون» مثل الفنان محمد السليم وعبدالحليم رضوي، رحمهما الله، وطه صبان، وعلي الرزيزاء، وعبدالرحمن السليمان وغيرهم. هؤلاء لا نستطيع أن نشك في ثقافتهم وفي أسمائهم الراسخة. ولكن هناك أيضاً فنانون تم تصنيعهم. ولا نعرف كيف يحدث هذا بين ليلة وضحاها. لست مطَّلعاً بما يكفي لمعرفة السر وراء هذا، لكنني على يقين تام بأن الأمر أشبه بفقاعة الصابون. ويبقى للممارسة والتعب والتراكم والقراءة والتعلم لمسة الفرق الواضحة.

• هل يفي الدعم الرسمي بما يحتاجه عالم الفن؟ وإلى أي حدٍّ يمكن للفنان تجاوز هذا الدعم في طريقه إلى النجاح؟

هذا موضوع حساس بعض الشيء بالنسبة للفنانين. فعلى سبيل المثال، هناك «جمعية الثقافة والفنون»، وفهم دور هذه الجمعية سيمكننا من التعامل معها، أو وضع سقف توقعات موضوعي. هذه الجمعية وضعت لتطوير النشء الفني. وكثير من الفنانين ركنوا إلى هذه الجمعيات فلا يعملون أو يقيمون معارض إلا عن طريقها. علماً أن دورها يقتصر على تعليم الفنون ودعم الفنانين الناشئين.

يجب أن يعمل الفنان لنفسه. أن يقيم المعارض لنفسه انطلاقاً من ذاته. حركته المرنة هي دوره الأساسي تجاه فنه ونفسه. وهو دور أعمق بكثير من أي دور آخر يمكن أن يمارس عليه. بالطبع من المهم أن تدعم الجهات الرسمية المشاركات



أشعر بنوع من المسؤولية وتحولات مراحلي الإبداعية ليست محاولة للتماشي مع المتلقِّين..

الداخلية والخارجية. أما تطور الفنان الشخصي فيقع على عاتق الفنان وحده. أرغب في رؤية دور الفنانين وتحركاتهم أنفسهم، وإن كان تحت مظلة وزارة الثقافة والإعلام. نحتاج كثيراً في الحقيقة، ولكن الأمور تبشِّر بالخير من خلال إنشاء المتاحف وحركة سوق الفن. ونحن نتطلع بشغف وتفاؤل إلى «رؤية المملكة 2030»، ونتوقع منها الشيء الكثير.

الجزء الأهم من الدعم يجب أن يأتي من الشركات والبنوك والمؤسسات القادرة على رعاية الفن وتغيير وضعه، كما هو الحال في المجتمعات الأخرى، حيث تلعب مثل هذه المؤسسات دور الراعي الأكبر للحياة الفنية المعاصرة.

• هناك معيار في الوسط الفني السعودي منذ نشأته، يمنح درجة أرفع للفنان الذي يتاح له العرض في الخارج. من ناحية أخرى، لا يمكن إنكار التجربة الثقافية الخاصة والمميزة لمن تتاح له هذه الفرصة، فماذا عنك وعن مشاركتك في العرض في الخارج؟

المعارض العالمية والبيناليات الكبيرة تقوم باختيار الأعمال من خلال قيِّمين عليها. هذه معايير جيدة لتقييم الفنانين. وهذه النوعية من الأعمال على الأقل ليست من نوع الأعمال ذات القيمة المضلِّلة. وكتجربة ثقافية فهي مميزة لأن الشعوب الأوروبية مثلاً، متمرسة في زيارة المتاحف، ولديها تشبع وفهم حقيقي للفن. ويشد انتباهها الجديد. وبيئتنا جديدة عليها وتجذبها. هناك تساؤلات ممتعة لدى الغربيين تجاه أعمالنا، وهم يقرأونها جيداً.

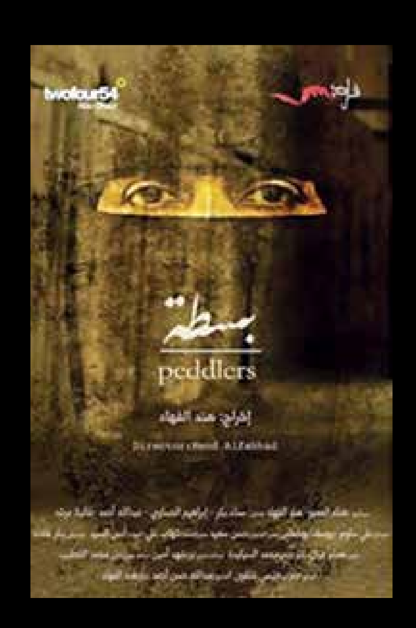
إن النقاش مع الآخرين المختلفين إيجابي جداً. ومع هذا، تبقى ضرورة تمسُّك الفنان بثقافته وتعاليم دينه. فأحياناً لا تتناسب بعض الفنون المعروضة مع خصوصيتنا. والعمل الفني بالإجمال هو الرسالة الأولى عنا، ويجب أن تكون رسالة صادقة ومعبِّرة.

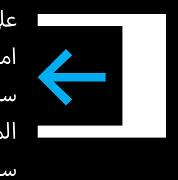


المفارقة اللطيفة التي سُجِّلت في الدورة الثالثة لمهرجان الأفلام السعودية 2016، هي عرض فِلمين يتناولان ظاهرة «البسطة»، والباعة المتجولين في الأسواق الشعبية الذين يترزقون من بيع المستلزمات البسيطة. الفلمان من إنتاج السنة الماضية. أحدهما تسجيلي قصير للمخرج الشاب محمد الحمادي بعنوان «البسطة»، تقصَّى فيه خبايا المهنة وخلفياتها ودوافع أصحابها لمزاولتها، والثاني روائي قصير للمخرجة الشابة هند الفهاد بعنوان «بسطة»، ويتناول قصة إحدى البائعات أو «البسّاطات» كما يطلق عليهن، وهو مستوحى من أحداث حقيقية، كما أشارت المخرجة في مقابلة صحفية لها، ويتضمَّن تعاطفاً مع النساء اللائي يعملن في هذه المهنة في المدن السعودية.. وهنا وقفة أمام هذا الفِلم الذي نالت عنه المخرجة جائزة النخلة الذهبية، وتسلمتها في الحفل الختامي لمهرجان الفِلم السعودي على مسرح خيمة إثراء المعرفة التابعة لأرامكو السعودية بالظهران.

خالد ربيع

«بسطة»..
التفاتة سينمائية إلى البائعات المتجوّلات





على مدى ربع ساعة تماماً، ينقل الفلم معاناة امرأة تدعى «أم سالم» (تؤدي دورها الممثلة سناء بكر)، تعمل في هذه المهنة بسبب الظروف المادية التي أجبرتها على الجلوس ببضاعتها في سوق شعبي، افترشت بعض النساء البائعات أرضه ليكون بذلك سوقاً للبسّاطات.

يبدأ الفِلم الذي تم تصويره في الرياض وحائل والشارقة، بكادر عريض لبيت شعبي تقف أمامه صباحاً سيارة مفتوحة الصندوق الخلفي. وتمر لحظات ويخرج شاب (الممثل أحمد عبدالله في دور «سالم») يحمل صندوقاً ثقيلاً ويضعه في صندوق السيارة. ثم تخرج أم سالم وتستقل السيارة مع سالم ليوصلها إلى السوق الشعبي، حيث اعتادت فرش بسطتها بين النساء، وكانت قد غابت عن السوق مدة أسبوعين بسب عملية جراحية أجرتها، مما جعل امرأة أخرى تأتي وتحتل موقعها الذي اعتادت عليه.

في لقطات متداخلة مع وصولها إلى السوق، ورحلة انتقالها من البيت إليه، يدور حوار بين الأم والابن، نتعرف من خلاله على ملامح سريعة من حياتهما، وسبب اختيارها لهذه المهنة التي تراها مريحة ولا تتطلب مجهوداً سوى الجلوس واستقبال الزبائن لتبيعهم ما تعرضه من مواد العطارة وبهارات الطعام، وهي أيضاً المهنة أو «الشغلة» التي تجعلهما يرفعان رأسيهما ويسلمان من منة الناس، كما قالت لابنها.

تصل أم سالم إلى السوق وتجد بسّاطة أخرى قد احتلت مكانها. وتحاول تنحيتها عن ذلك المكان دون فائدة. فيظهر الشرطي حارس السوق (الممثل إبراهيم الحساوي)، ويحاول التدخل في النزاع الذي دار بين المرأتين، وترفض أم سالم أن تشكو للشرطي، لكن عيون النساء البائعات الأخريات تتراءى من خلف النقاب وتوحي بالريبة من محاولة تدخل الشرطي، فيما تبعث إشارات خفية وخاطفة، وأيضاً غير مؤكدة، تشير إلى أن الشرطي يدبر أمراً.

عقدة القصة

تأتي امرأة متسوقة لتبتاع من أم سالم، وتطلب منها أن تترك لديها بعض الأكياس المملوءة بالأغراض ريثما تعود بعد قليل. وبعد ممانعة توافق، فتترك الأغراض وتغادر. بعد لحظات تأتي امرأة أخرى تدَّعي أنها شقيقة المرأة التي أودعتها الأكياس، وتطلبهم منها وتأخذهم، بعد أن برهنت لها أنها تعرف



من ضمن ما يميّز هذا الفِلم الاختصار والاشتغال بالإيحاء المدعوم بإشارات خاطفة، ربما يراد منها تقليص دقائق الفِلم إلى أقصى حد

محتويات الأكياس، وأن المرأة التي تركتهم عندها هي أختها وأرسلتها لتأخذهم منها.

يأتي الشرطي، ويتحاور مع أم سالم، ويتضح أنه قد عرض عليها الزواج من قبل، ولكنها لم توافق، وتقول له: يكفيك النساء اللاتي لديك.. في اللحظة نفسها تعود المرأة التي كانت أودعتها الأكياس، وتطلب أغراضها، لكن أم سالم تخبرها بأن أختها جاءت وأخذتهم.. يدب نقاش حاد بينهن، تتهم فيه المتسوقة أم سالم بأنها سرقتها، ويتدخل الشرطي لإنهاء النزاع، ويطلب من المرأة أن تذهب وتعود في اليوم التالي، ويعدها بأنه سوف يعطيها المال الذي يعوضها، إن لم تعطها البائعة قيمة الأغراض. وبعدما تغادر، يبتسم الشرطي ابتسامة ماكرة ويومئ بجسده وبملامح وجهه بأنه هنا.

خاتمة

المشهد الأخير في الفِلم يظهر أن الليل قد حل، والمحال في السوق أغلقت، والنساء البائعات غادرن، وأم سالم تجلس وحيدة منتظرة ابنها الذي تأخر في الحضور لاصطحابها إلى البيت، وهنا يتقدّم الشرطي بسيارته ويقف ليقلها معه، ويتضح وجود امرأتين في السيارة معه.. تركب أم سالم السيارة وينتهي الفِلم.

الحبكة والإيحاء

من ضمن ما يميّز هذا الفِلم الاختصار والاشتغال بالإيحاء المدعوم بإشارات خاطفة، ربما يراد منها تقليص دقائق الفِلم إلى أقصى حد. فجاء سرد الفِلم مكثفاً، لا يكشف عن العقدة الرئيسة بشكل سافر، لكن ذلك لا يعيب الحبكة.

أما من ناحية القصة، فقد لا يدرك المشاهد ما إذا كانت أم سالم قد وافقت على عرض الزواج من الشرطي تحت ضغط تورطها في حادثة فقدان الأغراض. وفي الوقت نفسه، قد يوحي ركوبها معه على هذه الموافقة، وإن كان يمكن تفسير ذلك بسبب تأخر ابنها عن الحضور لأخذها، ليس إلا.

إنه فلم يتطلب مشاهدة يقظة. فقد تصل سياقاته إلى مشاهد وتغيب عن آخر. ولكن جودة عناصره السينمائية مثل تقنيات التصوير والحوار وأماكن التصوير والمؤثرات الصوتية والموسيقى والتمثيل المتمكن.. جعلت منه فلماً جيداً ومستحقاً للجوائز التي نالها.



بسطة

تمثيل: سناء بكر يونس وإبراهيم الحساوي وعبدالله أحمد، وغالية مرشد | **تصوير:** حسن المدلوج | **المنتج المنفذ:** مجموعة فراديس «عبدالله حسن أحمد» | **سيناريو:** هند الفهاد وهناء العمير | **تصوير:** حسن سعيد | **مونتاج:** علي سلوم ويوسف بوخماس | **تنفيذ الإضاءة:** شهاب علي | **موسيقى:** بكر فلاته | الفِلم من تمويل وإنتاج tow four54 أبوظبي.

جوائز نالها الفلم

- نال جائزة المهر الخليجي للأفلام القصيرة بمهرجان دبي السينمائي، ديسمبر 2015م.
- نال جائزة أفضل فِلم قصير في مهرجان الشباب للأفلام في جدة، فبراير 2016م.
- نال جائزة النخلة الفضية في الدورة الثالثة لمهرجان الأفلام السعودية بالدمام، مارس 2016م.



ديغا: كتاب فريد لمعرض فريد

بقلم
كميل حوا

تتصف كتب الفن التي تُصدرها المتاحف أو صالات العرض الكبرى لمناسبة معرض فني استثنائي بشخصية خاصة وفرادة ما! وربما يعود ذلك إلى أن فكرة المعرض تجعل المعروضات التي تظهر في الكتاب حالة استثنائية تعرض وجهة نظر جديدة، لم يسبق لها أن اجتمعت في كتاب من تأليف ناقد أو باحث في الفن.

ويزيد من فرادة هذه الكتب أنها بشكل عام لا تُوزّع على المكتبات بقدر الكتب التي تصدر عن دور النشر. وأكثر من ذلك، فمن غير المحتمل إعادة إصدارها في طبعة ثانية بعد انتهاء المعرض، حتى في حال نفاد الطبعة الأولى. لذلك، فإن هواة الفن وعشاقه يترصَّدون هذه الكتب، ويحتاطون لشرائها قبل نفاد الطبعة، وبشكل عام ضمن فترة العرض. ومن هذه الكتب، «الكاتالوج» الذي أصدره متحف الفن الحديث في نيويورك ليصاحب معرضاً فريداً للفنان الانطباعي و«غير الانطباعي» إدجار ديغا.

اشتهر هذا الفنان برسوماته لراقصات الباليه وحلبات سباق الخيل. وكان يُصنَّف من ضمن المدرسة الانطباعية، لكنه لم يكن يجلس فعلاً على مقاعدها بقناعة كاملة، بل كان وكأنه على تخومها، محتفظاً لنفسه بدرجة من الاستقلالية والتميّز ظهرت، على سبيل المثال، في تفاديه الرسم في الطبيعة، إلا في حالات استثنائية محدودة.

أما معرضه الكبير المقام حالياً في نيويورك فله خاصية كذلك، تميّزه بقدر ما تميّز الكتاب الخاص هذا، وهو أنه يجمع لأول مرة عدداً كبيراً من أعمال ديغا الطباعية، أي ما يُعرف بـ «المونوتايب»، وهو اسم درج فيما بعد لصنف معيَّن من آلات الطباعة ومؤسسات تطوير حروف الطباعة المعدنية. فحين شغُف إدجار ديغا بهذه التقنية



الفنية، كانت الطباعة ما زالت في بداية عهدها. و«المونوتايب» المقصودة هي طباعة يدوية يمارسها الفنّان بنفسه حيث يقوم بالرسم مباشرة على صفيحة معدنية عادة من الزنك. وبعد أن يروي غليله من التأثيرات المختلفة، يضع هذه الصفيحة ضمن جهاز طباعة بدائي بسيط، ويطبع في العادة نسخة واحدة من العمل الفني أو نسختين إذا كانت كمية الحبر تسمح بالتكرار. ويستمتع الفنانون بهذه الممارسة الفنية لأنها تُفضي إلى نتائج غير محسوبة أو متوقّعة، وكثيراً ما يعمدون إلى طباعة ثانية فوق الطبعة الأولى لإثراء العمل وربما لمضاعفة غرابته.

ويُجمع النقّاد على أن هذا المعرض يقدِّم الفنان بما لم يعهده الناس به، وبمناخ أكثر عصرية من أعماله المعروفة. وربما من هنا عنوان العرض والكتاب معاً.



VISION رؤيـــة
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مؤشرات البحث العلمي في المملكة

يشكِّل البحث العلمي واحداً من أبرز العناصر التي تعوّل عليها «رؤية المملكة 2030» الهادفة إلى نقل الاقتصاد الوطني من الاعتماد على النفط، والتحوُّل إلى الاقتصاد المعرفي. فقد بات من المسلّم به عالمياً أن البحث العلمي هو استثمار مجدٍ وطويل الأمد، وحجر الزاوية في بناء أي اقتصاد قائم على الابتكار، وأساس لتوليد معارف جديدة ولاستدامة النمو الاقتصادي وتقوية المنافسة العالمية وخلق صناعات جديدة بالكامل. وعلى الرغم من حداثة عهد البحث العلمي في المملكة مقارنة ببعض دول العالم، فإنه خطا خلال السنوات القليلة الماضية خطوات كبيرة، وضعته في الصف الأول إقليمياً وفي الصفوف الأولى عالمياً.

البحث العلمي الجامعي في العالم

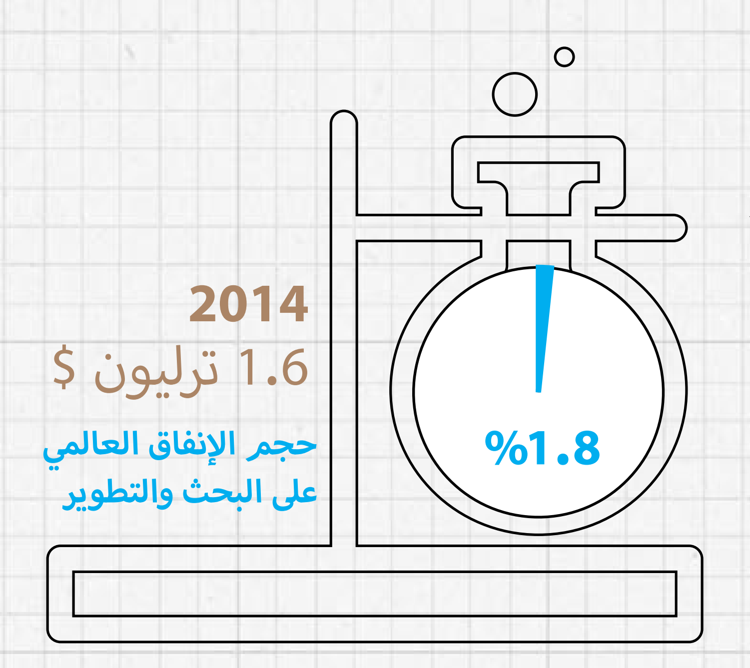
ظهوره

يعود تاريخ البحث العلمي الجامعي إلى القرن التاسع عشر. ففي عام 1809م، أنشئت جامعة برلين كمؤسسة مكرّسة بالكامل لإجراء البحوث العلمية في مختلف الميادين لمساعدة البلاد على النهوض من نتائج هزيمتها في الحرب أمام فرنسا.

وفي عام 1887م، تأسس أول معهد بحثي مستقل، هو «معهد العلوم الطبيعية» في برلين أيضاً. وبعد ذلك بسنة، أنشيء «معهد باستور» في فرنسا، ثم توالى إنشاء المعاهد البحثية في كافة أنحاء أوروبا.

حاضره اليوم

أثمرت مراكز البحث العلمي ثماراً كبرى أثَّرت على تطور العلوم والاقتصادات ونوعية الحياة خلال القرن العشرين، ما يكفي لوضعها ضمن أبرز اهتمامات حكومات العالم قاطبة. فتحول البحث العلمي إلى صناعة عملاقة، يكاد حجمها أن يكون مؤشراً دقيقاً لقياس تطور أي دولة وقوتها الاقتصادية ومكانتها بين دول العالم.



فوفقاً للتقرير السنوي الذي تصدره مجلة «باتيل» المتخصصة

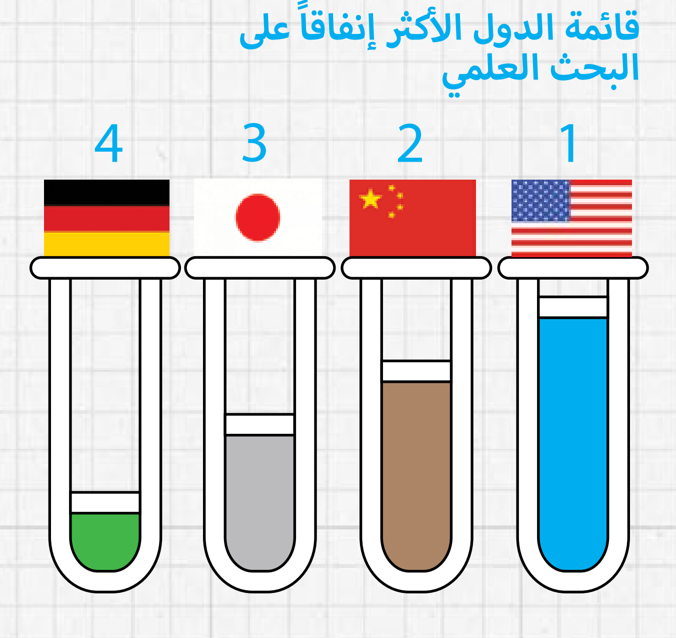
1 بلغ الإنفاق العالمي على البحث والتطوير في عام 2014م، نحو 1.6 تريليون دولار، أي ما يشكِّل 1.8% من الناتج العالمي البالغ 88.733 تريليون دولار.

2 تتصدَّر الولايات المتحدة الأمريكية قائمة الدول الأكثر إنفاقاً على البحث العلمي بمبلغ 465 مليار دولار، أي ما يشكِّل 2.8% من ناتجها المحلي، تليها الصين في المركز الثاني بمبلغ 284 مليار دولار ونسبة 2%، ثم اليابان بمبلغ 165 مليار دولار، ثم ألمانيا بمبلغ 92 مليار دولار.

3 هناك عشر دول في العالم تنفق وحدها نحو 80% من إجمالي الإنفاق على البحث العلمي، ومن بينها ثلاث دول هي الولايات المتحدة والصين واليابان تنفق وحدها نصف هذا المبلغ.

4 أشار التقرير إلى أن الصين بتخطيطها لزيادة الإنفاق على البحث العلمي من 1.94% من ناتجها المحلي عام 2014م إلى 2.2% في عام 2015م، فإنها تتطلع إلى أن يصبح اقتصادها قائماً على الابتكار بحلول عام 2020.

قائمة الدول الأكثر إنفاقاً على البحث العلمي



البحث العلمي في المملكة من البداية إلى ما هو عليه اليوم

ظهر الاهتمام بالبحث العلمي في المملكة بظهور الجامعات الحديثة قبل نحو نصف قرن، غير أنه بعد مسيرة كانت بطيئة في بداياتها، شهد اندفاعاً كبيراً خلال السنوات العشر الماضية. فقد تضاعف عدد البحوث العلمية المنشورة في الدوريات العالمية عدة مرّات، من 1400 بحث فقط في عام 2006م إلى نحو 9000 بحث في عام 2013م. ويُعزى هذا الارتفاع الكبير إلى عوامل عدة، من أهمها:

1 ارتفاع عدد الجامعات في المملكة خلال الفترة نفسها إلى 34 جامعة.

2 اعتماد المملكة في عام 2008م خطة بحثية وطنية بغرض التحوُّل من اقتصاد قائم على النفط، إلى اقتصاد قائم على المعرفة بقيادة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وما شهدته المرحلة الأولى من هذه الخطة من إنشاء معاهد بحثية وجامعات حديثة على أعلى مستوى.

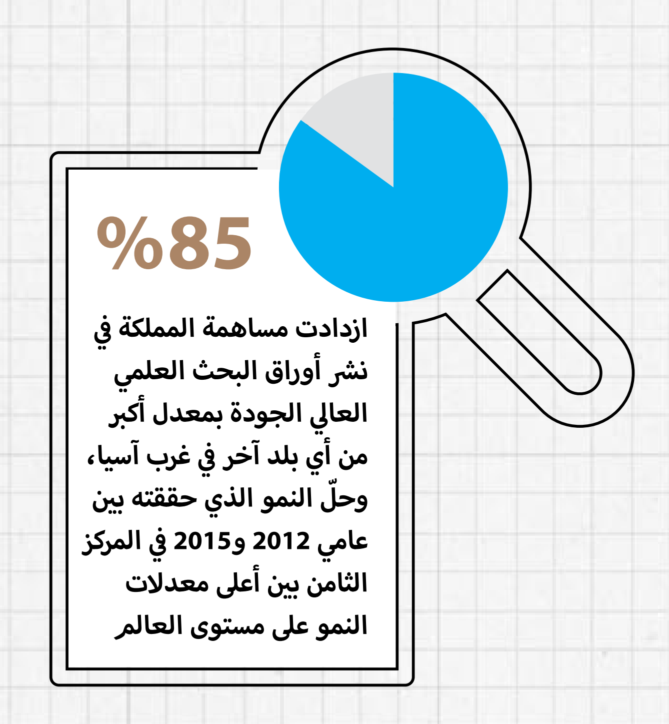
في عام 2012م، ظهرت المملكة لأول مرة على الخريطة العالمية للبحث والتطوير في تقرير مجلة «باتيل» وكان هذا هو الظهور الأول لدولة عربية ضمن هذا التقرير، لكنها خرجت منه في عام 2013م، لتعود إليه في عام م2014، ترافقها دولة عربية أخرى هي قطر، وخمس دول إسلامية هي تركيا وإيران وباكستان وماليزيا وإندونيسيا.

وفي العام نفسه 2012م، أفاد تقرير «رويترز طومسون» لأداء البحث والابتكار في دول مجموعة العشرين، أن ملف المملكة في البحث والابتكار ينمو بسرعة هائلة، لكنه لا يزال منخفضاً مقارنة بما يجب أن يكون عليه في دولة من مجموعة العشرين. وأشار التقرير نفسه في موضع آخر إلى أن نسبة سعودة الأبحاث ترتفع باطراد، فبعد أن كانت نسبة السعوديين العاملين في البحث العلمي في المملكة لا تتجاوز 10% عام 2003م، ارتفعت هذه النسبة إلى 35% عام 2011م.

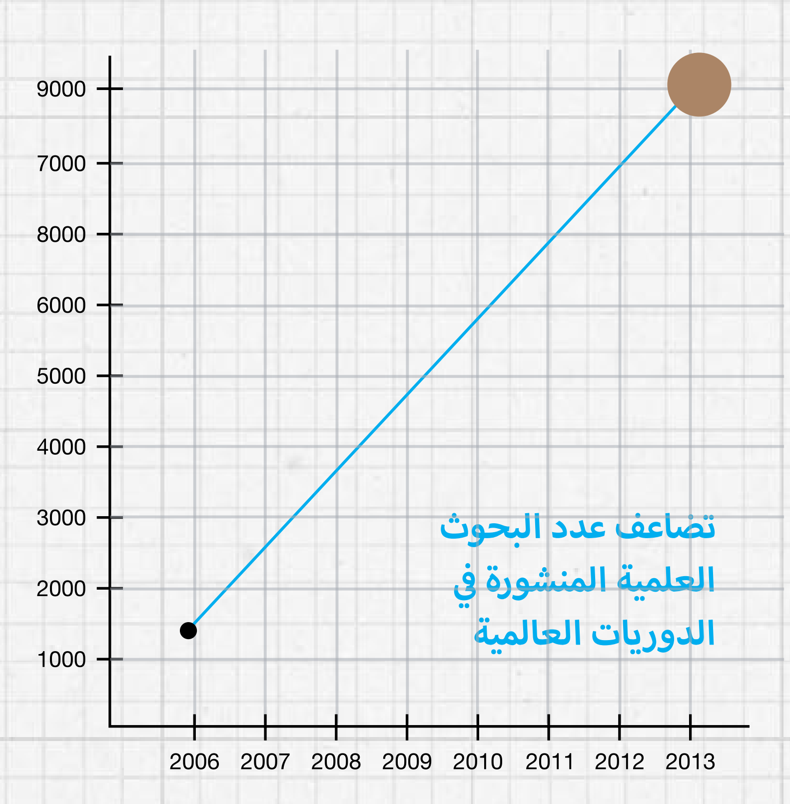
وفي شهر أبريل من العام الجاري 2016م، صدر «مؤشر نيتشر للأبحاث العلمية 2016 - المملكة العربية السعودية»، ليكشف أن المملكة أظهرت أعلى معدل نمو في البحوث العلمية عالية الجودة في غرب آسيا، تزامناً مع تصدر الجامعات السعودية الترتيب عربياً في معظم تصنيفات الجامعات العربية.

واستناداً إلى «مؤشر نيتشر»، فقد ازدادت مساهمة المملكة في نشر أوراق البحث العلمي العالي الجودة بمعدل أكبر من أي بلد آخر في غرب آسيا، وحلّ النمو الذي حققته بين عامي 2012 و2015م، والذي قدَّره المؤشر بنسبة 85%، في المركز الثامن بين أعلى معدلات النمو على مستوى العالم.

أما على صعيد إجمالي مخرجات البحث العلمي، فقد أدى هذا النمو إلى دفع مكانة المملكة ثماني درجات إلى الأعلى، من المرتبة التاسعة والثلاثين إلى المرتبة الحادية والثلاثين بين دول العالم، والأولى عربياً.



في شهر أبريل من العام الجاري 2016، كشف «مؤشر نيتشر للأبحاث العلمية 2016 - المملكة العربية السعودية»، أن المملكة حققت أعلى معدل نمو في البحوث العلمية عالية الجودة في غرب آسيا



تحتل المملكة المرتبة 37 عالمياً في الإنفاق على مجال البحث العلمي

(يعتمد «مؤشر نيتشر» على قياس مساهمة كل بلد أو مؤسسة في نحو 60 ألف مقالة علمية عالية الجودة تنشر كل سنة، ويستخدم المؤشر ثلاثة مقاييس معقدة نسبياً لرصد البيانات، هي: عدد المقالات، والعدد الكسري، والعدد الكسري المرجّح. ويمكن للمهتم بالاطلاع على ماهية هذه المقاييس بالتفصيل وباللغة العربية، أن يجدها في موقع «منظمة المجتمع العلمي العربي» (www.arsco.org).

الإنفاق على البحث العلمي

بلغ إجمالي الإنفاق على البحث العلمي في المملكة خلال العام الماضي 2015م، نحو 6.75 مليار ريال (1.8 مليار دولار). في الوقت الذي يقدَّر فيه حجم إنفاق الدول العربية مجتمعة على البحث العلمي بنحو 20 مليار ريال (5.31 مليار دولار). وبذلك تحتل المملكة المرتبة السابعة والثلاثين عالمياً في الإنفاق على هذا المجال.

ويتميز الإنفاق على البحث العلمي في المملكة بالاعتماد بشكل أساسي على التمويل الحكومي. وفي هذا الصدد، أشار مدير جامعة الملك سعود الدكتور بدران العمر، خلال الملتقى الثالث لكراسي البحث في المملكة عام 2014م، إلى أن «النسبة العظمى من موازنات البحث العلمي في المملكة تموّل من الدولة بواقع 85% تقريباً، في حين أن نسبة التمويل الحكومي لموازنات البحث العلمي في اليابان مثلاً تقلّ عن 18%، وفي كندا 30% وفي الولايات المتحدة 35%».

مراكز البحث العلمي وتوزعها الجغرافي

يمكن للباحث عن عدد مراكز البحث العلمي في المملكة أن يقع على أرقام متفاوتة بشكل كبير. ففي حين أن بعض الباحثين يكتفي بتعداد ما يزيد عن المئة بقليل، يمكن لإحصاءات أخرى كتلك التي أجرتها «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» أن ترفع هذا العدد حتى 267 مركزاً، وكان ذلك في عام 2011م.

ويعود هذا التفاوت إلى الاعتبارات والمقاييس الخاصة بكل جهة تجري الإحصاء. ففي حين أن بعضها يكتفي بمجرد وجود المؤسسة ليأخذها بعين الاعتبار، تستند جهات أخرى إلى حجم المقالات العالية الجودة التي تخرج عن المركز لتصنيفه ضمن المراكز النشطة.

أبرز الجهات التي تقود أعمال البحث العلمي في المملكة



د. تركي بن سعود: البحث العلمي من أهم أدوات تنفيذ رؤية 2030

يشدِّد رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، صاحب السمو الأمير الدكتور تركي بن سعود بن محمد آل سعود، على دور البحث العلمي والتطوير التقني في تنفيذ رؤية المملكة 2030.

وقال سموه في تصريح لمناسبة صدور قرار مجلس الوزراء باعتماد «رؤية المملكة العربية السعودية 2030»: «إن مجال البحث العلمي والتطوير التقني من الأدوات المهمة التي سوف تسهم في تنفيذ هذه الرؤية». وأوضح أن «البحث والتطوير يرتبطان بالتنافسية والإنتاجية والاستدامة، ويعتمدان بشكل رئيس على القدرات البشرية، وهي ميزة تتمتع بها المملكة، إضافة إلى وجود بنية تحتية متطورة».

وأكد سموه أن مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ستعمل من خلال منظومة البحث العلمي والتطوير التقني في المملكة لتسخير كافة الإمكانات اللازمة، مما يسهم في تنفيذ هذه الرؤية الطموحة من خلال عديد من المبادرات والتحالفات الصناعية التقنية التي تقيمها المدينة بشكل ينسجم مع سعي المملكة إلى زيادة القيمة المضافة إلى المنتجات، ورفع قدراتها التنافسية دعماً للاقتصاد الوطني.



إحدى فعاليات أسبوع العلوم والتقنية الذي تنظّمه مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

وعلى الرغم من أن كل الجامعات السعودية ومعظم فروعها باتت تحتوي على عمادات للبحث العلمي، فإن سبعاً منها تقود البحث العلمي في المملكة، هي حسب توزعها الجغرافي على الوجه التالي:

1 في الرياض ثلاث، هي: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وجامعة الملك سعود، ومستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث.

2 في منطقة مكة المكرمة ثلاث: جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وجامعة الملك عبدالله في ثوّل، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

3 في المنطقة الشرقية: جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، التي تحتضن إضافة إلى ما فيها من مراكز للبحث العلمي، وادي التقنية في الظهران.

وعلى الرغم من أن «مؤشر نيتشر» يقول إن نحو 90% من الأبحاث العلمية العالية الجودة التي أُنجزت في السنة الماضية كانت بقيادة جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، وأن الزيادة الكبيرة في الأبحاث التي أجريت في هذه الأخيرة هي التي عززت مكانة المملكة في المؤشر، فإن ذلك لا يعني الإقلال من أهمية البحوث العلمية الجارية في المعاهد والمراكز الأخرى. فبفضل مراكز البحث العلمي في الكيمياء، وغالبيتها يقع في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ووادي التقنية في الظهران، بات علم الكيمياء يشكل ثلثي البحوث العلمية في المملكة حسب المؤشر. وقد تضاعفت مساهمة هذه المراكز مجتمعة ثلاثة أضعاف منذ عام 2012م، بحيث باتت مكانة المملكة في مجال بحوث الكيمياء متقدمة على بعض الدول الأوروبية مثل فنلندا والبرتغال وإيرلندا.



استناداً إلى تقرير «نيتشر»، توزعت نسب البحوث العلمية العالية الجودة في المملكة في عام 2015م على النحو الآتي:

- جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية: 73%.
- جامعة الملك عبدالعزيز: 14%.
- جامعة الملك سعود: 6%.
- مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية: 2%.
- مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث: 2%.
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن: 1%.
- مراكز أخرى: 2%.

وجاء في الدراسة التي أعدتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المشار إليها سابقاً، أن العلوم التطبيقية تشغل ما نسبته 31.4% من مجمل البحوث العلمية في المملكة، تليها العلوم الطبية بقرابة 22.8%، ثم العلوم الإنسانية بنسبة 14.9%، فالعلوم الاجتماعية بنسبة 13.8%.

توزع البحوث عالية الجودة وطبيعتها

%73

%6

%2

%14

%2

%2

%1

دور الشراكات العالمية

يقول دايفد سوينبانكس، مؤسس «مؤشر نيتشر» إن الزيادة التي طرأت مؤخراً على ناتج المملكة من الأبحاث عالية الجودة لافتة للأنظار. ويستند ذلك في جزء كبير منه إلى التعاون الدولي»، فقد عزَّزت المعاهد ومراكز البحوث في المملكة من تعاونها الدولي، وعقدت عشرات الشراكات مع جامعات ومعاهد أبحاث أجنبية. ومنذ عام 2012م، لا تزال الولايات المتحدة الشريك الأكبر للمملكة في هذا المجال تليها الصين، ثم ألمانيا فالمملكة المتحدة.

ويلاحظ الدكتور طارق قابيل في قراءته لتقرير نيتشر المنشور على موقع «منظمة المجتمع العلمي العربي» أمرين أساسيين في هذا المجال:

- فيما يتعلّق بإنتاج جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية وجامعة الملك عبدالعزيز لنحو 90% من إجمالي الناتج العلمي السعودي في عام 2015م، فإن كلاً من الجامعتين تتبع استراتيجية مختلفة تماماً، حيث يأتي شطر كبير جداً من ناتج المقالات العلمية من متعاونين خارج البلاد في حالة جامعة الملك عبدالعزيز، وأما جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية فيأتي الشطر الأكبر من مساهمتها من داخل جدران المؤسسة نفسها.
- إن التعاون الإقليمي والمحلي محدود للغاية في المملكة، غير أن مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث حقَّق نجاحاً بالتركيز على هذين المجالين من التعاون، مما ساعد على إنشاء قاعدة محلية من الباحثين ذوي الخبرة.

«عمادة البحث العلمي»

نصّت «اللائحة الموحَّدة للبحث العلمي في الجامعات» الصادرة عام 1419هـ، على إنشاء عمادة باسم «عمادة البحث العلمي» في كل جامعة سعودية، وأن تكون أهداف البحوث التي تُجرى في الجامعات إثراء المعارف والعلوم في جميع المجالات المفيدة، وعلى وجه الخصوص فيما يأتي:

1. إبراز المنهج الإسلامي ومنجزاته في تاريخ الحضارة والعلوم الإنسانية.
2. جمع التراث العربي والإسلامي والعناية به وفهرسته وتحقيقه وتيسيره للباحثين.
3. تقديم المشورة العلمية وتطوير الحلول العلمية والعملية للمشكلات التي تواجه المجتمع من خلال الأبحاث والدراسات التي تطلب إعدادها جهات حكومية أو أهلية.
4. نقل وتوطين التقنية الحديثة، والمشاركة في تطويرها وتطويعها لتلائم الظروف المحلية لخدمة أغراض التنمية.
5. ربط البحث العلمي بأهداف الجامعة وخطط التنمية، وتلافي الازدواجية والتكرار، والاستفادة من الدراسات السابقة.
6. تنمية جيل من الباحثين السعوديين وتدريبهم على إجراء البحوث الأصيلة ذات المستوى الرفيع، وذلك عن طريق إشراك طلاب الدراسات العليا والمعيدين والمحاضرين ومساعدي الباحثين في تنفيذ البحوث العلمية.
7. الارتقاء بمستوى التعليم الجامعي والدراسات العليا.

ودعت اللائحة إلى نشر نتائج البحث العلمي في أوعية النشر المحلية والدولية، والتعاون مع الهيئات البحثية داخل المملكة وخارجها عن طريق تبادل المعارف والخبرات، وتوفير وسائل الاتصالات الحديثة والإصدارات العلمية من دوريات وكتب وغيرها.

الدراسة التي أعدتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

علوم طبية
%22.8

علوم تطبيقية
%31.4

علوم اجتماعية
%13.8

علوم إنسانية
%14.9



ارتفاع عدد الجامعات في المملكة خلال الفترة من 2006 إلى 2013م

مراكز البحث العلمي في المملكة

مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية KACST

1. مراكز التميز المشتركة

مركز تميز النظم الهندسية المركبة CCES

مركز تميز الفضاء والطيران CEAA

مركز تميز تقنية النانو الحيوية JCIN

مركز تميز المواد المتقدّمة والتصنيع CAMM

مركز تميز تقنية النانو الخضراء CEGN

مركز التميز للبتروكيماويات KOPRC

مركز التميز لتطبيقات الاتصالات CETA

مركز تميز المواد النانوية لتطبيقات الطاقة النظيفة CENCEA

مركز تميز الموروثيات المشترك CEG

مركز تميز الطب النانوي CENM

2. معهد بحوث المياه والطاقة

المركز الوطني لتقنية معالجة وتحلية المياه

المركز الوطني لتقنية أنظمة الطاقة الكهربائية

المركز الوطني لتقنية الاحتراق والبلازما وخلايا الوقود

المركز الوطني لتقنية الأغشية

المركز السعودي لكفاءة الطاقة

3. معهد بحوث علم المواد

المركز الوطني لبحوث التقنيات المتناهية الصغر (النانو)

المركز الوطني لتقنية البتروكيماويات

المركز الوطني لتقنية البناء والتشييد

المركز الوطني للفيزياء التطبيقية

4. معهد بحوث الاتصالات وتقنية المعلومات

المركز الوطني لتقنية الإلكترونيات والضوئيات

المركز الوطني لتقنية أمن المعلومات

المركز الوطني لتقنية الحاسب والرياضيات التطبيقية

المركز الوطني لتقنية الروبوت والأنظمة الذكية

المركز الوطني لتقنية المستشعرات والأنظمة الدفاعية

5. معهد بحوث الأحياء والبيئة

المركز الوطني لتقنية الخلايا الجذعية

المركز الوطني لتقنية الموروثيات

6. معهد بحوث الفضاء والطيران

7. معهد بحوث العلوم النووية

جامعة الملك عبدالعزيز KAU

مركز الملك فهد للبحوث الطبية

مركز بحوث الدراسات البيئية

مركز التميز البحثي في علوم الجينوم الطبي

مركز البحوث والتنمية

مركز تقنيات متناهية الصغر

مركز الأميرة الجوهرة البراهيم للتميز البحثي في الأمراض الوراثية

مركز التميز لأبحاث هشاشة العظام

مركز التدريب والوقاية من الإشعاع

مركز الابتكار في الطب الشخصي

مركز أبحاث المخاطر الجيولوجية

مركز الشيخ عبدالله بخش للتميز في الرعاية الصحية لأمراض القلب للأطفال

مركز التميز لأبحاث التغير المناخي

مركز الشيخ محمد حسين العمودي للتميز في رعاية سرطان الثدي

مركز التميز البحثي في المواد المتقدِّمة

مركز طب وبحوث النوم

مركز التميز البحثي في تقنية تحلية المياه جامعة الملك عبدالعزيز

مركز المهارات والمحاكاة السريرية (CSSC)

مركز المبدعون للدراسات والأبحاث

مركز الحوسبة عالية الأداء

مركز الملك عبدالله للدراسات والبحوث البترولية (KAPSARC)

مركز الملك عبدالله العالمي للأبحاث الطبية

جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية KAUST

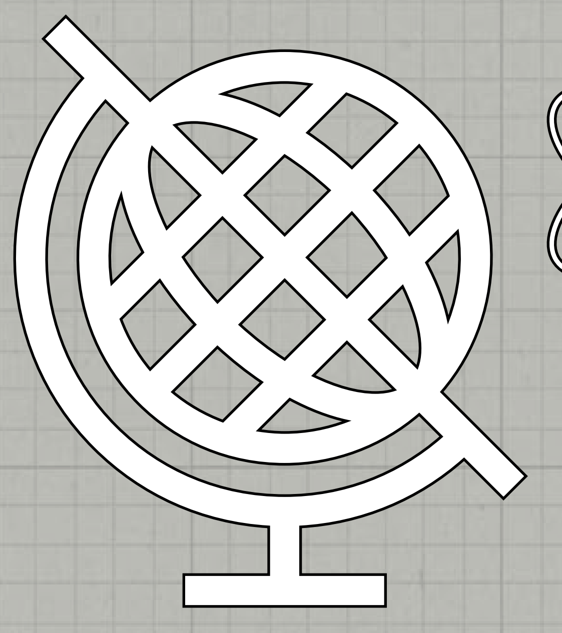
مركز الأغشية المتقدِّمة والمواد المسامية (AMPMC)

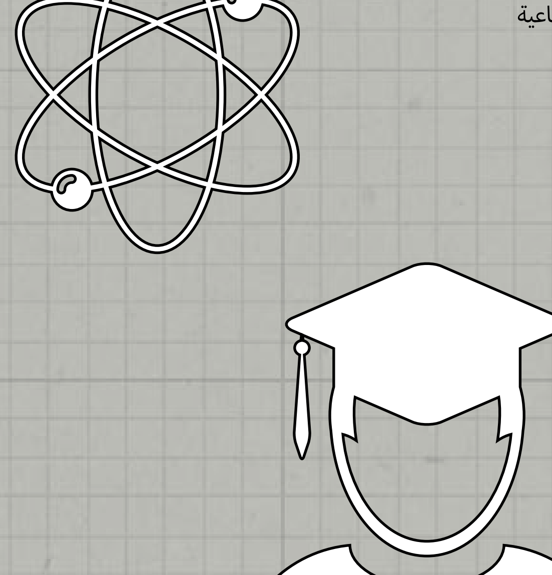
مركز الحفازات (KCC)

مركز أبحاث العلوم الحيوية الحاسوبية (CBRC)

مركز أبحاث الاحتراق النظيف (CCRC)

مركز زراعة الصحراء (CDA)





مركز أبحاث الحوسبة القصوى (ECRC)
مركز أبحاث البحر الأحمر
مركز بحوث هندسة الطاقة الشمسية
مركز أبحاث هندسة النفط في المراحل السابقة للإنتاج (UPERC)
مركز تحلية المياه وإعادة استخدامها (WDRC)

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن KFUPM
مركز بحوث الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات (CCITR)
مركز الاقتصاد والإدارة (CEM)
مركز البيئة والمياه (CEW)
مركز البحوث الهندسية (CER)
مركز التكرير والبتروكيماويات (CEP)
مركز التميز البحثي في تكرير البترول والبتروكيماويات (CoRE-PRP)
مركز التميز البحثي في التآكل (CoRE-C)
مركز التميز البحثي في الطاقة المتجدِّدة (CoRE-RE)
مركز التميز البحثي في تقنية النانو (CENT)
مركز التميز البحثي للدراسات المصرفية والتمويل الإسلامي (CEIF)

وادي الظهران للتقنية DTV
مركز شلمبرجير لأبحاث الكربونات (SDCR)
مركز بيكر هيوز الظهران للبحوث والتقنية (DRTC)
مركز هاليبرتون لتقنيات المكامن غير التقليدية وإنتاجية الخزانات
مركز يوكوجاوا السعودية للبحوث والتنمية
مركز أبحاث روزن
مركز هانيويل-يو إي بي الظهران التقني
مركز جي إي السعودية للتقنية والابتكار
مركز أميانتيت السعودية للبحوث والتنمية
مركز سبكيم للتقنية والابتكار (STIC)
مركز ابتكار هواوي المشترك لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات للنفط والغاز

جامعة الملك سعود KSU
مركز التميز البحثي في التخثر والإرقاء (CETH)
مركز التميز البحثي في التقنية الحيوية
معهد الملك عبدالله لتقنية النانو (KAIN)
معهد بحوث الأمير سلطان للتقنيات المتقدِّمة (PSATRI)

جامعة الملك فيصل KFU
مركز أبحاث الإبل
مركز أبحاث الثروة السمكية
مركز أبحاث الطيور
مركز الدراسات المائية
مركز أبحاث النخيل والتمور

جامعة أم القرى UQU
مركز البحوث والدراسات الاستشارية
مركز بحوث الطب والعلوم الطبية
مركز بحوث العلوم الهندسية والمعمارية
مركز بحوث العلوم الصيدلانية
مركز بحوث العلوم الاجتماعية
مركز بحوث اللغة العربية وآدابها
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مركز بحوث التعليم الإسلامي
مركز البحوث التربوية والنفسية
مركز بحوث الحج والعمرة
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي

مراكز متنوعة
مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة
مركز أبحاث استزراع الأسماك في السعودية
المركز الوطني لأبحاث الزراعة والمياه بالرياض
المركز الوطني لمكافحة وأبحاث الجراد – وزارة الزراعة والمياه
مجمع سابك الصناعي للبحث والتطوير – مدينة الرياض
مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
مركز الملك فهد الوطني لأورام الأطفال والأبحاث





الملف:

السِّر

مَنْ منّا لا أسرار في حياته؟ ومَنْ منّا لا يعرف أن محيطه يكتم عنه كثيراً من الأسرار؟

فكل المعارف والمشاعر ومكوّنات وعي الإنسان تنقسم إلى قسمين: قسم متبادل مع محيطه، وقسم يحتفظ به لنفسه أو ضمن دائرة مغلقة. إن السر درع يحمي به الإنسان نفسه أو مصالحه من الآخرين. ولأن «الحماية» من مستلزمات الحياة، ومن شروط البقاء، لا عجب في أن تنطوي هذه الحياة على سلسلة من الأسرار تمتد من أعماق نفس الطفل، وحتى قيادات الدول والمجتمعات.

قد يكون الاحتفاظ ببعض الأسرار مرهقاً ومكلفاً، ولكنه يبقى أقلّ تكلفة من إفشائه. ولذا، يبدو السر أشبه بملكية خاصة، تحميها الأعراف الأخلاقية، ومنها ما هو محميّ قانوناً. وكي لا يبقى مفهوم السر سراً يستطلع حسام الدين صالح في هذا الملف تاريخ السر، وحضوره في حياتنا اليومية وأثره فيها ماضياً وحاضراً، كما ينقلنا إلى أبرز مواقع تجمع الأسرار من حولنا في هذا العالم.

تبدأ حياة الإنسان بسرٍّ وتنتهي بآخر. فعند تكوّنه في رحم أمه يكون جنسه سراً، وعندما يُوارى الثرى تحضر صورة الموت كواحد من أكبر الأسرار التي شغلت الإنسانية على مرّ العصور. وما بين الولادة والموت تتكدس في حياة هذا الإنسان أسرار لا حصر لطبيعتها ولا للدواعي إلى الاحتفاظ بها أسراراً.

يقال إن الإنسان كائن اجتماعي وثقافي ولغوي، إلا أن كل هذه الصفات لا تنفي عنه صفة السرية الملازمة لكثير من تفاصيل حياته. إننا اجتماعيون لأننا لا نستطيع العيش منعزلين عن الآخرين، وسرّيون لأننا لا نسطيع أن نعيش مكشوفين تماماً في حال الاتصال بالآخرين. نحن ثقافيون لامتيازنا بالوعي والعقل وحُب المعرفة، لكننا سرّيون لأننا نحب أن نعرف أكثر مما نريد أن يعرفه الآخرون عنا. نفخر بكوننا كائنات لغوية تجيد التواصل، دون أن نسمع افتخاراً مشابهاً بالأسرار التي تميّزنا عن بقية الكائنات التي تعيش وتموت دون أن تشعر بوخز السر، أو تتعرَّض سلباً لتأثيراته عند كتمانه أو إفشائه.

كأن السرّ يشطرنا إلى نصفين، فما زالت الحياة منذ وعينا بها مقسّمة إلى مُكتَشَفات ومجهولات. كذلك، فإن بعض حياتنا الشخصية معروف للآخرين: ولادتنا، نشأتنا، تعليمنا، حالتنا الاجتماعية وغيرها، وبعضها الآخر نطويه بالكتمان طوعاً وإصراراً، نكشفه عندما نريد، ونخفيه عمّن نريد.

وللسرّ جاذبية تشدّ غرائز الآخرين إلى اكتشافه. ويمكن لسعي هؤلاء إلى اكتشافه أن يكون تطفلاً وعيباً سلوكياً، كما يمكنه أن يكون بحثاً حميداً. ألم تبدأ كل الاكتشافات الكبرى في تاريخ الإنسانية بملاحظة وجود سرٍّ غامض في موضع ما؟

هكذا يبدو أن لكل شيء سراً، نحن، والكون، والحياة. ومن كان منّا بلا سرٍّ فليبح به.



جنس الجنين.. واحد من الأسرار الخالدة التي شغلت كل إنسان

تاريخ السر

لا تاريخ محدد لبداية السر ولا نهاية، وكأنه أمر ساكن، قائم في نفس الإنسان وفي العالم من حوله. لا يتطور ولا يتبدل، بل يقتصر التطور على النظرة إليه وعلى التعامل معه.

قد نستطيع القول إن تاريخ السر سبق وجود اللغة، ومع سبقه لتاريخ الكلام والكتابة تطوّر التعامل معه بتطورهما. ولا نستطيع من الناحية التاريخية الفصل بين السر وكتمانه. فمنذ العصور القديمة تأكد الإنسان من قيمة حفظ الأسرار وعاقبة إفشائها من خلال حرصه على مصلحته الشخصية، وعلى مصلحة وجوده في الجماعة التي يعيش فيها.

السر في اللغة

السر ما أَخْفَيْتَ، كما يقول ابن منظور في لسان العرب؛ وكثيره أسرار، والسريرة مثل السر وكثيرها سرائر؛ وكل سر مخفي بالضرورة، فالسر في اللغة يؤخذ من مادة (س ر ر) التي تشير إلى إخفاء الشيء؛ وكأن اللغة العربية قد احتاطت لاحتمال ظهور الأسرار وطبيعتها، فعدّت السر من ألفاظ الأضداد التي يمكن أن تستخدم في المعنى وعكسه، فيمكن أن يطلق السر على الإعلان أيضاً، مثلما جاء في قول الله تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ)، أي: أظهروا الندامة؛ ومثلها قول الله تعالى: (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)، وقد فُسِّر الإسرار هنا بالإظهار لأن إبلاغ السر إلى الآخرين يقتضي إظهاره لهم.

وعندما يذكر السر اصطلاحاً فإنه برأي الرّاغب الأصفهاني، يعبّر عن (الحديث المكتّم في النّفس)، وهو عند الكفوي: «ما يسرُّه المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها»، أما مجمع الفقه الإسلامي فقد اعتبر السر كل: «ما يفضي به الإنسان إلى آخر مستكتماً إياه من قبل أو من بعد، ويشمل ما حفت به قرائن دالة على طلب الكتمان إذا كان العُرف يقضي بكتمانه، كما يشمل خصوصيات الإنسان وعيوبه التي يكره أن يطلع عليها الناس»، ويضع الشيخ شريف بن إدريس تعريفاً جامعاً للسر بقوله إن السر هو كل «ما يقوم في الذهن مقيداً بالكتمان».

وهكذا، يزداد السر تمنعاً عن تعريف واحد جامع. فرغم بساطته اللغوية، يصعب وضعه في إطار محدَّد خاصة حينما يتعلَّق الأمر بالمفاهيم، لارتباط الأسرار بشتى مجالات الحياة: الشخصية، والسياسية، والعسكرية، والقانونية، والاجتماعية.



منذ ذلك التاريخ البعيد عُرف احترام السر كأحد مكارم الأخلاق التي تحافظ على حرية الناس ومصالحهم الاجتماعية. وتبعاً لذلك وجد السر مكانه من الصيانة والحرمة في مدونات الأخلاق التي ظهرت في المجتمعات القديمة. ثم تبع ذلك سن القوانين الحامية له، فيما ظهر حينها من قوانين، كقوانين حمورابي في بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد التي كانت تقوم على مبدأ المعاملة بالمثل، وفقء العين عقوبة لمن يتعمد النظر في أسرار الآخرين، ومثلها قوانين الأمانة وحفظ السر التي ميّزت الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين.

وقد وجد السر مكانة أثيرة في حياة العرب، وكان حفظ السر يُعد من مكارم الأخلاق والمروءة، وتشهد بذلك حياتهم الاجتماعية التي وثقتها دواوينهم الشعرية.

السِّر قضية ثقافية وقانونية منذ فجر الحضارات





العلوم.. تعبير عن سعي الإنسان إلى الكشف عن أسرار الطبيعة



السر في القرآن الكريم

ورد (السر) في القرآن الكريم بصورة مباشرة بلفظ (السر) ومشتقاته، وورد بصورة غير مباشرة في الآيات الحاضة على الوفاء بالعهود والأمانات والشرف والمروءة، وفي الآيات المحذِّرة من اللغو، والخيانة، وهتك الأستار والأعراض، والإساءات والأذى.

ومن الآيات التي ورد فيها اسم (السر) صراحة، قوله تعالى: (قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الفرقان:6)، وقوله تعالى: (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) (طه:7)، وقوله تعالى: (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (إبراهيم:31)، وقوله تعالى: (ويَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (التغابن:4)، وقوله تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) (الملك:13)، وقوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) (التوبة:78)، وقوله تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) (يونس:54)، وقوله تعالى: (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) (التحريم:3)، وقوله تعالى: (تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ) (الممتحنة:1)، وقوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) (الطارق:9) وغيرها من الآيات.

ومن الآيات العامة التي حضَّت على احترام الأسرار وعدم إفشائها قوله تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (الإسراء:34)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ • وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الأنفال: 27-28)، وقوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: 83) وغيرها من الآيات.

احترام الإسلام للأسرار

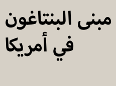
السر في الشريعة الإسلامية جزء من الإنسان، يجب احترامه معنوياً بحمايته من كل أذى، كما وجب احترام كيانه مادياً بعدم الإضرار به من أي جانب. ولهذا منع الإسلام إفشاء أسرار الآخرين، وحض على كتمانها، لما في إفشائها من ضرر على حياة الأشخاص والمجتمعات؛ وبهذا عدّ الإسلام إفشاء السر من المحرمات إذا ارتبطت بضرر.

ويرتبط عدم احترام الأسرار في الإسلام بكثير من الأفعال المنكرة والممنوعة مثل التجسس الذي يرتكز على كشف أسرار الآخرين من عورات وكشف أسرار الدول والمجتمعات ونقلها للأعداء، ومثل الغيبة التي لا تكون إلا بكشف أسرار الناس أمام الآخرين سواء أكانت هذه الأسرار والمعلومات صحيحة أم خاطئة، مثلما يقول الجاحظ في هذا الشأن: «كل سر في الأرض إنما هو خبر عن إنسان، وطوي عن إنسان، فله في الغيبة أكثر الحظ، وجلها كلفة لا ضرورة».

ومن الممنوعات المرتبطة بعدم احترام أسرار الآخرين النميمة، التي تعني نقل الكلام بقصد الإفساد، ويُعد بعض العلماء النميمة إفشاءً للسر في حدِّ ذاتها مثل الإمام الغزالي الذي يقول: «حقيقة النميمة



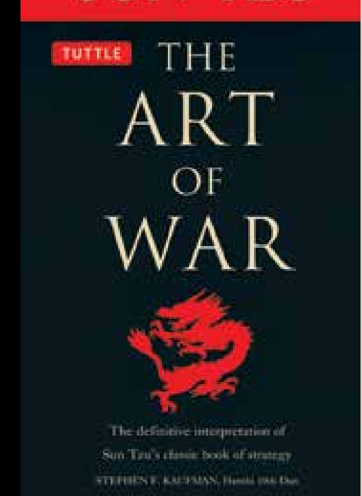




مبنى البنتاغون
في أمريكا

أضخم مخازن الأسرار

من أضابيرها المظلمة خرجت لنا أختام «سري للغاية» و«سري جداً» لتصبح كليشيهات قريبة إلى حياتنا؛ فأجهزة المخابرات العسكرية والأمنية في العالم هي أكبر أجهزة البحث عن الأسرار وأكبر مخازنها أيضاً.



ومن أقدم ما وصلنا من كتابات تتناول سرية عمل المخابرات العسكرية، هو الفصل الثالث عشر من كتاب الصيني صن تزو «فن الحرب» في القرن الخامس قبل الميلاد، والمخصص لعمل المخابرات وأنماطه وأهمية الاستطلاعات السرية. فالسرية تغلّف كافة مناحي الاستطلاعات العسكرية والأمنية، بدءاً بالسرية التي يجب أن يتصف بها العاملون فيها، وصولاً إلى الإبقاء على الأسرار طي الكتمان بعد إحالتهم على التقاعد، عملاً بشرف المهنة والعهد الذي يكونون قد قطعوه على أنفسهم. ويُعد جمع الأسرار وتنظيمها والاستفادة منها من أقدم النشاطات التي زاولها الإنسان في تاريخه، وما أجهزة ووكالات المخابرات الحالية - بأنظمتها وأساليبها وأدواتها الجديدة - إلا شكلاً حديثاً ومتطوراً لمهنة قديمة مارستها البشرية عبر أجيالها المتعاقبة، حماية لمجتمعاتها وحدودها السياسية والجغرافية.

إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه»، ومن العلماء المسلمين الذين أشاروا إلى ارتباط السر بالنميمة الإمام الماوردي الذي قال كلمته الحكيمة: «إظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمناً، والنميمة إن كان مستخبراً».

تطور التعامل معه

يحفظ التاريخ بين دفتيه كثيراً من النهايات المؤلمة لأشخاص قضوا حتفهم على وقع أسرار اؤتُمِنوا عليها ثم كشفوها. وكان إفشاء السر يسمى «الخيانة»، وكانت العقوبة تصل إلى القتل. وبتطور الأعمال والمهن صار الكشف عن السر المهني جريمة يعاقب عليها القانون، بعد أن كانت في الأساس التزاماً أخلاقياً، حيث حفظت لنا كتب الطب القديمة وجوب التزام ممارسي الطب عدم إفشاء أسرار مرضاهم،

أبقراط وحماية أسرار المرضى

وما زال قَسَم أبقراط الذي يؤديه اليوم كثير من خريجي كليات الطب شاهداً على هذا الالتزام الأخلاقي تجاه الأسرار. وتقول كثير من المصادر التاريخية إن أول النصوص العقابية لكشف الأسرار المهنية كانت على عهد الإمبراطور الفرنسي نابليون الأول في القرن التاسع عشر. وقد واجه تعريف مفهوم السر من الناحية القانونية وكيفية التحقق من وقع الجريمة كثيراً من المصاعب وعدم الاتفاق على نتائج موحدة،
فهل السر مثلاً هو كل ما يضر إفشاؤه بالسمعة أو الكرامة، أم هو علاقة تتطلب التزاماً بين شخصين كما في القانون الإيطالي، أو يمكن اعتبار الأخبار أسراراً كما في القانون الفرنسي؟ وقد وجدت الأسرار المهنية طريقاً للقوانين الجنائية في كثير من الدول، وربما ترتبت على جريمة كشف الأسرار عقوبات مدنية أو مالية. وقد تجلت هذه القوانين بصورة خاصة فيما يتعلَّق بالأسرار الطبية والقانونية والمالية وأسرار الدولة.

لقد توسع المجال الذي يتحرَّك فيه السر. ولم يعد علاقة بين الإنسان ونفسه، أو بينه وبين من يبوح لهم بأسراره. كما لم يعد الحفاظ عليه مجرد خُلق ضمن فضائل المروءة. فقد تحوَّل السر إلى منظّم لكثير من العلاقات الجماعية. وأصبحت السريّة مبدأ يرتكز عليه كثير من المهن والوظائف مثل الطب والخدمات الاجتماعية، والقانون، والصحافة، والاستخبارات، والمعلوماتية، والمصارف، والضرائب، البريد والمراسلات. واستقوى مبدأ السرية مع تطور الوظائف المرتبطة به، وأصبح الإخلال به يهدِّد مستقبل المهن، ويعرّض حياة الأفراد الشخصية للضرر.

غير أن المفارقة الكبرى في تاريخ السر هي في ما هو قائم من حولنا اليوم. ففي عصر يتباهى بالعولمة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ونشر المعارف، «كل المعارف»، نشهد من وسائل حفظ الأسرار التقنية والقانونية ما لم يشهده أي عصر مضى. ألا يكفي هذا للتأكيد على أن ازدياد التواصل لا يقلل من الأسرار المختزنة بل يزيدها؟





كلمة السر





للسر كلمته التي لولاها لأصبحت أسرارنا في مهب الانكشاف، إلا أن كلمات السر لم تلجم بشكل كامل اللصوص والساعين إلى نهب أملاك الآخرين وكشف أسرارهم، منذ الاستخدام غير المشروع لقاسم بابا لكلمة سر شقيقه علي بابا في حكايتهم المشهورة التي روتها قصص ألف ليلة وليلة، وإلى يومنا هذا الذي يتزايد فيه وقوع نفوسنا في شر نسيانها، ويتبارى فيه أيضاً قراصنة المعلومات و(الهاكرز) بقدراتهم التقنية على الوصول إلى هذه الأسرار عبر كلمات المرور الإلكترونية.

لقد أحاطت بنا الأسرار من كل جانب، ولم تعد مجموعة من كلمات السر كافية للوفاء بمتطلبات الحياة الحديثة، حيث الآلات التي نخترعها لراحتنا باتت تطالبنا بكلمات سر قوية ومغايرة لأي كلمات أخرى، حتى تستطيع أن تخدمنا بأمانٍ كامل. ولهذا يأمل كثيرون في مجيء اليوم الذي نستطيع أن نستبدل به كلمات السر ذات الأحرف والأرقام والرموز، بأدوات أخرى أكثر حماية للأسرار، وأقل إرهاقاً للذاكرة، مثل بصمات العين والأصابع ونبرات الصوت.

علم التعمية في عصر المعلوماتية

أحالت الأسرار الترميز أو التشفير إلى علمٍ معتبر، بعد أن كان قديماً مجرد فن يضفي السرية على المعلومات ويخفي البيانات. ويعد «علم التعمية» من العلوم الحديثة نسبياً، التي تقاطعت مع كثير مع العلوم الأخرى كالرياضيات والهندسة والبرامج الحاسوبية، وازدادت أهميته بعد ارتباطه بكثير من التطبيقات التقنية المعاصرة، بعدما كان قديماً يستخدم في مجالات محددة كحفظ المعلومات العسكرية من التجسس المضاد، وحماية مراسلات الأجهزة الحكومية. فهذا العلم ينفتح اليوم على مجالات جديدة كالاتصالات والتجارة الدولية، ليندرج في منع التجسس والقرصنة، وليساعد على تسهيل التجارة الإلكترونية.

بدأ علم التعمية بالتشفير، بتحويل المعلومات المفهومة إلى رموز يصعب فهمها على من لا يعرف سرها، واشتهر العرب والمسلمون قديماً بهذا النوع من تعمية الأسرار فكتبوا فيه المؤلفات، وكانوا يسمونها طرق استخراج المُعمَّى؛ ولم يتوقف هذا العلم عن التطور، ومن أحدث تطبيقاته الحديثة تقنيات التصويت الإلكتروني والتوقيع الرقمي وغيرها من التطبيقات المرتبطة بعالم المعلوماتية.



ورغم أن كثيراً من أدوات المراسلة، والتواصل الإلكتروني قد بُنيت على عدم اختراق الأسرار، إلا أنها باتت هي الأخرى وسيلة لنشر أسرار الأشخاص والمجتمعات، إلى درجة أصبحت تهدِّد السلامة الاجتماعية واستقرار حياة الأفراد.

السرّ في الرواية
حيث للغموض معنى

لكل رواية سرها الذي يتطلَّب من القارئ الوصول إليه خلال عملية القراءة. وقد يتعلَّق هذا السر بشخصية الكاتب الحقيقية أو بشخصيات الرواية المتخيلة؛ وبعد الفراغ من القراءة يتضح أكثر سر النجاح أو الفشل الذي تحقَّق للكاتب في مشروعه الروائي. ولهذا، لا تفلت الروايات عموماً من دورانها في فلك الأسرار. فالكتابة مهمة خاصة تبدأ بعيداً عن أعين الآخرين بوصفها إنتاجاً لسرٍّ يُراد لكشفه أن يكون مهمة عامة للجمهور.

وللأسرار حضورها القوي في أدب الغموض عموماً، وفي أدب الرعب. والأدب البوليسي خصوصاً. كما يعدّ أدب الخيال العلمي حاضنة لعشاق الأسرار، ومنتجاً في أحيان كثيرة لكثير من الأسرار التي تحوّلت فيما بعد إلى حقائق ومكتشفات واختراعات استفادت منها البشرية. وقد بنى هذا النوع من الأدب شهرته وجاذبيته على الشغف الإنساني باستكشاف الأسرار والمجهولات.

أما استخدام السر كموضوع روائي، أو استعماله كمدخل للبناء الروائي من خلال اسم الرواية وعنوانها الأوّلي، فما زال تقليداً فنياً طيّعاً ومؤثراً عند روائيي الأمس واليوم.

«أسرار» هي إحدى هذه الروايات التي برع فيها الكاتب النرويجي كنوت هامسون، الحائز نوبل للآداب عام 1920م، وقد كانت هذه الرواية نفسها سراً مخفياً عن قرَّاء اللغة العربية قبل أن تترجم إلى اللغة العربية خلال العام الجاري 2016م، أسوة بروايته الشهيرة «جوع». وبنفس الاسم «أسرار» كتبت الروائية الأمريكية المعاصرة دانيال ستيل روايتها بلمستها الرومانسية والبسيطة التي اشتهرت بها. وبروايته «سر» المنشورة في العام 1999م فاز الروائي الياباني كيغو هيغاشينو بجائزة اليابان لكتاب الغموض، لتترجم بعدها إلى الإنجليزية بعنوان «ناوكو» وهو اسم أحد شخصيات الرواية.

ومن الكتَّاب الذين وظفوا الأسرار في أعمالهم الأدبية شكلاً ومضموناً عالم الآثار البريطاني بول سوسمان خصوصاً في روايته «آخر أسرار الهيكل» التي تتخذ من الشرق الأوسط وتعقيداته مادة لبنائها الروائي. ومنذ روايته الأولى «الشارع السري لمكان الاختباء» المنشورة في عام 1989م وإلى عام 2008م حيث نشر روايته «باب الأسرار»، يظل الروائي التركي أحمد أوميت وفياً للأسرار ولأدب الغموض الذي اشتهرت به أعماله.

وتمضي في ذات الطريق الروائية اللبنانية نجوى بركات في روايتها الأخيرة «لغة السر» المنشورة في عام 2004م. وللأديب الجزائري الدكتور محمد مرتاض رواية بعنوان: «وادي الأسرار» نُشرت في عام 2013م لم يكتفَ من السر فيها بالعنوان فقط، بل ذيّل غلافها بعبارة لمحمد أبو سليم عن السر قال فيها: «للسر سر لا ينكشف إلا في بقائه محجوباً متمنعاً»، وتحكي هذه الرواية عن يوميات الثوار ضد الاستعمار الفرنسي إبان الثورة الجزائرية. ومن عمالقة الأدب



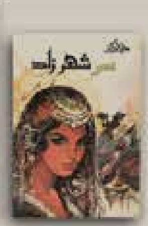
مدة صلاحية الأسرار

كثير من الأسرار لا تستطيع العيش في الخفاء إلى الأبد، ومنها الأسرار السياسية والعسكرية، فبعضها تتكفل الأحداث والأيام بكشفها، وبعضها تُفرج عنه الدول بموجب عملية رفع السرية عن الوثائق التاريخية التي تتجاوز عدداً محدداً من السنوات تختلف من دولة إلى أخرى، وتكون غالباً مسنودة بقوانين الوثائق السرية وقوانين حرية الوصول إلى المعلومات الحكومية.. ويقوم عديد من المؤسسات الدولية - كالبنك الدولي - باتباع سياسة رفع السرية عن وثائقها بعد انقضاء عشرين عاماً.

وبسبب شغف الناس الفطري بمعرفة أقصى ما يمكن معرفته عن الآخرين، يبذل البعض جهداً في التنقيب عن الأسرار، إرضاءً لأناس يريدون أن يعرفوا أكثر. وفي بعض الحالات، يشكِّل ذلك جزءاً مهماً من عمل الصحافة، ويكون محموداً إذا كان في «فضح» السر منفعة عامة. ولكنه في أحيان أخرى، يبقى مذموماً، حتى ولو تمكن من الالتفاف على القوانين المرعية الإجراء. فالصحف البريطانية مثلاً التي تصب اهتمامها على نشر أسرار الحياة الشخصية للعائلة المالكة وغيرها من المشاهير، تعرف باسم «الصحف الصفراء»، وهذه التسمية باتت ذات نكهة سلبية تشير إلى تدني مستوى الأداء الصحفي.

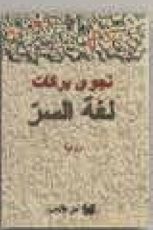
















غيضٌ من فيض «السّر» في الأدب

العربي الذين وظفوا الأسرار في أعمالهم توفيق الحكيم في مسرحياته «سر المنتحرة»، وعلي أحمد باكثير في مسرحياته «سر شهرزاد»، و«سر الحاكم بأمر الله»، ونجيب محفوظ في مجموعته القصصية «التنظيم السري».

ويمكننا أن نصف الروائي الأمريكي دان براون بكاتب الأسرار. فأغلب رواياته التي أثارت كثيراً من الضجة تتحدث عن عوالم سرية وشفرات ورموز، وحركات باطنية، ففي كل أعماله وهي الحصن الرقمي، وحقيقة الخديعة، وملائكة وشياطين، والرمز المفقود، وشيفرة دا فينشي، والجحيم، يبني دان براون معمار الرواية لتتحرك تحت أسقفها شخصيته المركزية التي ابتكرها من خياله البروفيسور «روبرت لانغدون» الأستاذ الجامعي المتخصص في الرموز الدينية والمجتمعات الباطنية.. ويعترف دان براون نفسه بسطوة الأسرار على الناس، حيث نقلت له هيئة الإذاعة البريطانية في العام 2004م قوله: «إن الأسرار تجذب اهتمامنا جميعاً»، كتفسير لإقبال القرّاء على شراء رواياته.



وللسر: كاتمٌ وصاحبٌ وأمين

صاحب السر

هو كل شخص أوكلت إليه مهمة حفظ سر ما. وقد اشتهر بهذا اللقب في الإسلام الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، بعد أن أودعه الرسول، صلى الله عليه وسلم، أسراراً ومعلومات تتعلَّق بأسماء المنافقين حينها، وهي أسرار لم يكشفها لغيره من الصحابة.

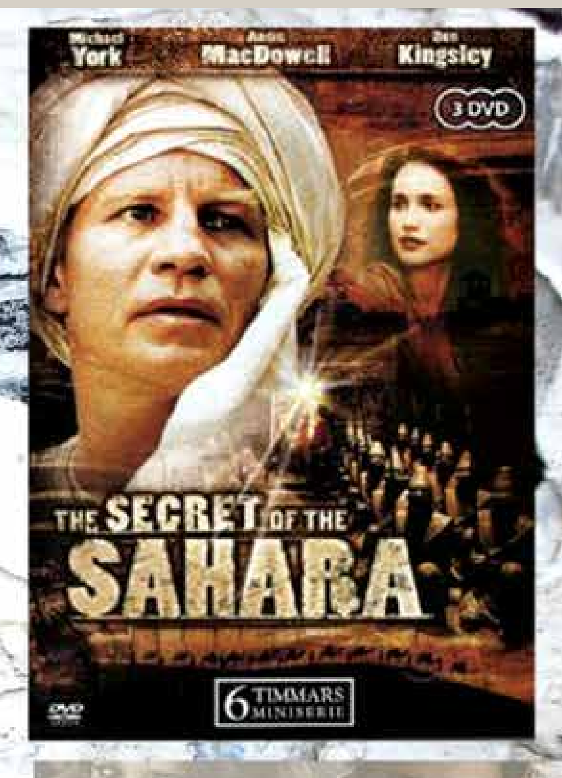
كاتم السر

أما كاتم السر فهو القائم بوظيفة نشأت في بلاط الخلافة العباسية، كان يقوم بها أحد المقربين من الخليفة ويُعهد إليه بكتابة الأوامر والرسائل والمدونات الإدارية. وبحكم الوظيفة والقرب من دوائر القرار، كان المسؤول عن هذه الوظيفة قريباً من أسرار الحكم والحكام، ولهذا وصف بكاتم السر. وتطورت وظيفة كاتم السر في دواوين الإنشاء التي تطورت بدورها في الممالك الإسلامية، وأصبحت تتطلب كثيراً من المهارات مثل تعدد اللغات اللازم للمراسلات الخارجية، ولانفتاح الممالك الإسلامية حينها على تخوم أوروبا وآسيا. حتى إن كاتب السر كان يلقب أحياناً بـ «لسان الممالك» و«لسان ملوك الأمصار». فقد كانت وظيفته مشابهة في العصر الحديث لوظيفة وزراء الإعلام والخارجية والناطقين باسم الحكومات.

أمين السر

ما زالت وظيفة «أمانة السر» وظيفة إدارية موجودة حتى عصرنا الحالي. لكنها تقتصر في كثير من الدول العربية على السلك القضائي، فأمين السر، أو «أمين سر التحقيق» هو الشخص المكمّل للهيئة القضائية والمكلف بمساعدة عمل النيابات العامة بتجهيز محاضر التحقيق في القضايا والقرارات والجلسات وإعداد اليوميات وتحرير الإعلانات، والقيام بالأعمال الكتابية المتطلبة في الدعاوى القضائية، وكل ما يتعلق بالمساعدة القضائية.
وقد تخرج وظيفة أمين السر عن السلك القضائي، لتعبر إلى الفضاء الإداري العام، حيث تصبح مهمة تولي الأعمال الكتابية من حفظ محاضر الاجتماعات، وإعداد المراسلات، وكتابة الإشعارات، ومتابعة التكاليف الإدارية، وحفظ سجلات العمل وغيرها من أعمال «السكرتارية»...

السِّر
في التلفزيون والسينما



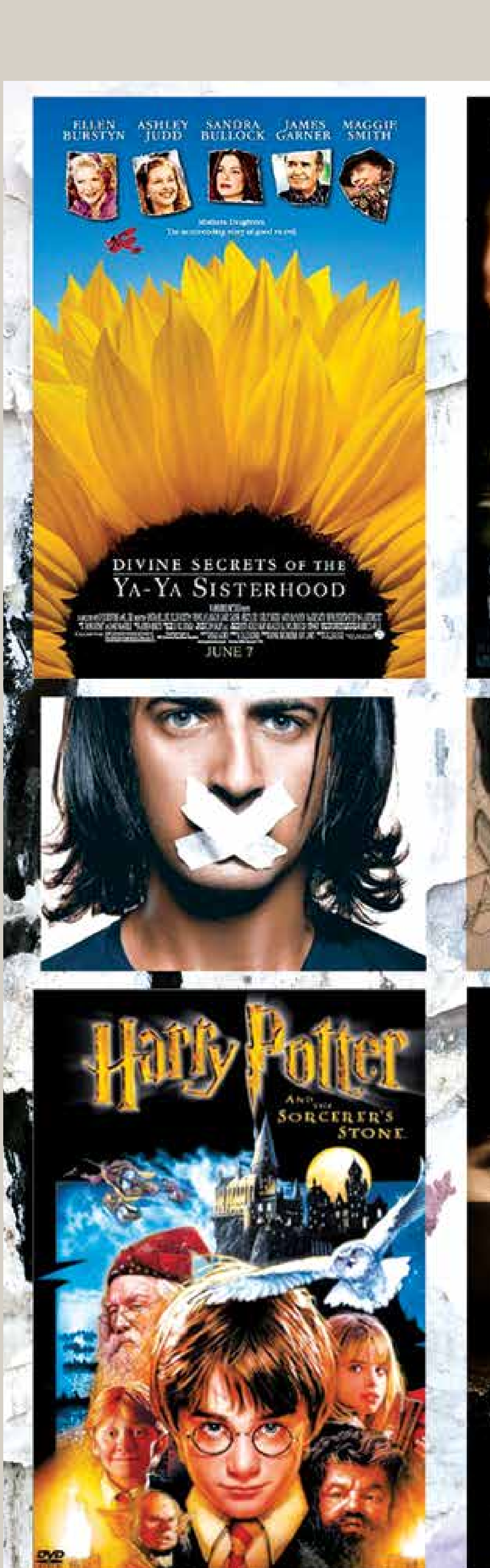


تطول قائمة الأعمال التلفزيونية والسينمائية التي كان السر أبرز موضوعاتها. نذكر منها الفِلم الوثائقي «السر» الذي تحوَّل من كتاب شهير لروندا بايرن إلى فِلم مصوَّر أشهر يتحدث عن قانون الجذب، ويُنتظر أن يصدر كفِلم سينمائي من إنتاج هوليوود هذا العام حسبما أفاد الموقع الرسمي للفِلم على الإنترنت.

ومن الأفلام العربية القديمة «أسرار الناس» 1951م، من بطولة فاتن حمامة، فريد شوقي، شكري سرحان وغيرهم. وفِلم «شاطئ الأسرار» عام 1958م، من إخراج عاطف سالم وبطولة عمر الشريف وماجدة. وفِلم «كلمة السر» 1968م، وفِلم «أسرار البنات» 1969م، وفِلم «البيوت أسرار» 1971م، وفِلم «أسرار عائلية» 2013م.

ومن السينما الأمريكية شاهدنا الفِلم الدرامي الكوميدي «جزيرة المدينة» 2009م الذي يؤدي بطولته كل من أندى جارسيا وجوليانا مارجوليز وستيفن ستريت حيث تدور أحداث الفِلم حول أسرة يخفي كل عضو فيها سره عن بقية العائلة، إلى أن يكتشف ربّ الأسرة السر الذي يغيِّر حياته. ومن الأفلام القديمة فِلم «سر الصحراء» للمخرج بن كينغسلي الذي صُوِّر في المغرب وأُنتج في العام 1988م، ولم يخرج عن عادة الكثير من الأفلام الغربية التي كانت وما زالت تصوّر العرب بدواً رحّلاً لا يجيدون التأقلم مع الحياة العصرية. ومن الأفلام كذلك الفِلم الإنجليزي «العميل السري» 1996م للمخرج كريستوفر هامبتون. ومن الأفلام الشهيرة فِلم «نحن نسرق الأسرار: قصة ويكيليس» 2013م للمخرج أليكس جيبني، وفِلم «مفتاح الأسرار» 2005م للمخرج إيان سوفتلي وبطولة كيت هيدسون، وفِلم «أسرار أخوية يايا» 2002م للمخرج كالي خوري وبطولة ساندرا بولوك؛ ولا ننسى سلسلة أفلام هاري بوتر ومنها فِلم «هاري بوتر وحجرة الأسرار» 2002م للمخرج كريس كولومبوس. ومن الأفلام الجديدة التي تناولت موضوع السر فِلم «السر في أعينهم» 2015م للمخرج بيلي راي، وبطولة جوليا روبرتس، نيكول كيدمان، وشيوتيل إيجيوفور.

أما المسلسلات، فقد اشتهر منها مسلسل «الصندوق الأسود» الذي عرض في عام 2010م والمسلسل الدرامي «سر علني» الذي عرض في عام 2012م.



أقفال السر عبر التاريخ

- الشمع
- الوشم
- الحبر السري
- الخوارزميات
- الاختزال
- الشفرة
- الكود
- كلمة المرور
- تعديل صدى الصوت
- توحيد لون الكتابة مع الخلفية
- السودوكو
- تطبيقات الستيغانوغرافي

اللغات السرية

أحياناً، يرغب حامل السر في البوح به إلى شريحة محدَّدة من محيطه، دون أن يتمكن الآخرون في المحيط نفسه من معرفة كنه هذا السر، فتظهر عندها اللغات السرية، التي يخترعها البعض لدواعٍ كثيرة هدفها تأمين مكاسب غير شرعية في الغالب دون أن تكون عرضة للمساءلة. فاللغات السرية كما يعرِّفها د.عبدالوهاب المسيري هي «لهجات ورطانات خاصة، بل أحياناً لغات، يستخدمها أعضاء الجماعات الوظيفية. فالعوالم والنشالون، على سبيل المثال، لهم لغاتهم السرية، وهي في الغالب رطانة، تركيبها هو تركيب اللغة الشائعة في المجتمع مع إضافة مفردات لغوية لا يعرفها إلا عضو الجماعة الوظيفية، فائدتها المباشرة تسهيل أداء الوظيفة، وهي وظيفة مشينة في العادة، ومن ثم تصبح اللغة السرية من علامات الهامشية».

وقد تظهر مثل هذه اللغات في بعض المجتمعات الشبابية كنوع من «المقاومة المراهِقة» لجيل عمري أكبر، أو كتعبير عن مطالب غير مسموعة من طرف الأغلبية؛ وقد تكون موجة مرتبطة بظروف سياسية واقتصادية معينة لا تلبث أن تزول. وقد ظهرت مثل هذه اللغات السرية في المجتمع الشبابي في السودان في بداية التسعينيات من القرن الميلادي الماضي وكانت تعرف بلغة «الراندوك» وانتقلت من مجتمعات المشرّدين إلى الأوساط الشبابية والطلابية، وخضعت لكثير من الدراسات الاجتماعية واللغوية، منها دراسة فرنسية حاولت مقارنتها بلغة المدن الفرنسية التي تُسمى «الفيرا».

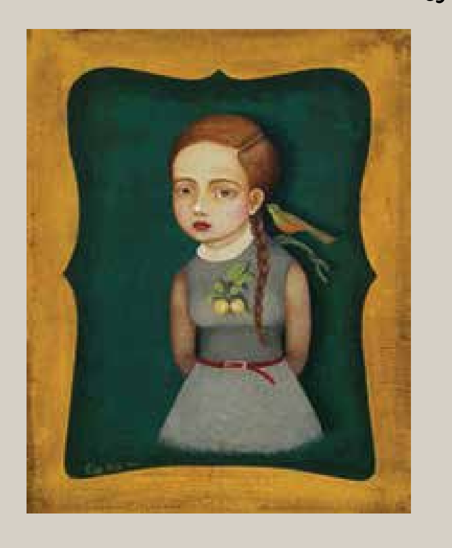
السرُّ في الفن التشكيلي .. وفي الغموض حياة

لو كان بالإمكان تحديد أضلاع لعملية السر عند كتمانه أو إفشائه، لرسمناه على شكل قلب ولسان وأذن. فحفظ السر يقتضي قلباً كتوماً، والبوح به يتطلب اقتراب لسانٍ من أذنٍ، أما الإفشاء فحسبه اللسان فقط. فلا عجب إذاً أن نجد هذا التعبير الشكلي لعملية السر يشيع في اللوحات الفنية التي عبّرت عن موضوع السر.

يبدو احتياج الفن لشيء من الغموض مشابهاً لحاجة الجمال للروح، لكي يتحقق فيه معنى الحياة، فلكل غموض فاتن قدرة متجددة على إطالة المنتج الفني وحمايته من (العادية) والملل. والفن التشكيلي خصوصاً يؤكد هذه الحقيقة، بل ويستمد قوته منها منذ عصور ضاربة في القِدم حتى عصرنا الحالي، حيث ما زال كثير من الأعمال الفنية تفرض سيطرتها ومهابتها على جمهور كبير من الناس بفعل ما تكتنزه من أسرار، وما زالت أعمال بعض كبار الفنانين تُحافظ على ألغازها، من نهب الأيام التي تطوّر مع كل لحظة أداة جديدة لاستكشاف المجهول. ومنها على سبيل المثال لا الحصر لوحات ليوناردو دافنشي التي راحت أسرارها تتناقص مع تقادم الأيام دون أن تنفد، كما هو حال تحفته الخالدة «الموناليزا»، التي لا تزال تحتفظ بكثير من أسرارها، وأولها الهوية الحقيقية للمرأة التي تمثلها..



«السِّر» للفنان المفاهيمي ميل رامسون



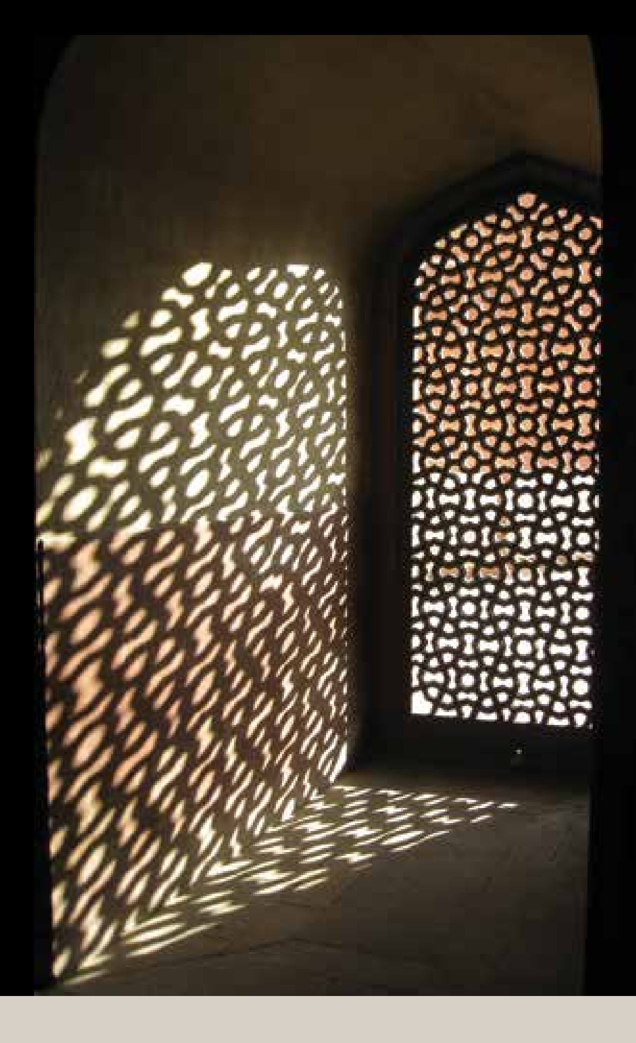
«الهمس».. الصورة المرئية للمفهوم التجريدي «السِّر»..





هذا الغموض العام الذي يحيط بالفن عموماً، لم يمنع عديداً من الفنانين من الافتتان بالسر كوحدة موضوعية في لوحاتهم. ويحفظ لنا التاريخ على سبيل المثال لوحات فنية كثيرة حملت اسم «السر» كعنوان واحد متشابه لأعمال تعود إلى عدة فنانين، منهم الفنان البولندي آدم ستيكا الذي اشتهر بولعه بطبيعة الحياة الشرقية ولوحاته الزاخرة بتفاصيل قبائل شمال إفريقيا ولوحة «السر» هي إحدى هذه اللوحات التي يصوِّر فيها رجلاً يهمس في أذن امرأة. وهناك لوحة أخرى بالاسم نفسه «السر»، للفنان الإنجليزي إدموند بلير لايتون المتوفي في العام 1922م. وهناك أيضاً «السر» للفنان المفاهيمي ميل رامسدن الذي يُعد أحد رواد الفن المفاهيمي والذي

الحائط ومشربية الأرابيسك: حلول معمارية لمشكلة الأسرار



كانت الجدران والأبواب والنوافذ وما زالت من أساسيات العمارة في العالم. فمثلما لا يُتصوَّر وجود بشري دون أسرار، لا يُتصوَّر كذلك وجود بناء دون أن يحتاج إلى جدار أو باب أو نافذة. هذه الصلة الوثيقة بين ضرورات العمارة وبين الأسرار والخصوصيات أعطت للحوائط والواجهات والشبابيك أهمية فائقة في الفن المعماري عموماً، والعربي والإسلامي خصوصاً، حيث تتطلب القيم الاجتماعية من العمارة ما يضمن حرية مستخدمي المساكن وحرصهم على خصوصياتهم وأسرارهم من أعين الغرباء سواء أكانوا زوّاراً أم من الجيران.

وبفعل هذا الاهتمام بالنواحي الجمالية والوظيفية، ظهرت فكرة (المشربيات) الخشبية المزخرفة فحلَّت مشكلات الإضاءة والتهوية خصوصاً في البيئات الحارة، وحافظت على أسرار البيوت وحرية ساكنيها، إذ إنها تسمح لمن في الداخل من الإطلالة على الفضاء الخارجي العام، ولكنها تحجب عن الفضاء العام ما في الداخل من خصوصيات وأسرار.

ومثلما ازدهرت المشربيات في مصر، انتشرت بعدها في بقية النواحي العربية كالحجاز، واليمن، والسودان، ولبنان، وفلسطين، ودول الخليج العربي. ويرى كثير من المعماريين العرب أن الحاجة باتت اليوم ماسة لإعادة الاعتبار لهذا التراث المعماري، بما يتوافق مع التطور المعاصر، لكي تستطيع العمارة الحديثة حل المشكلات الجمالية والوظيفية التي تعاني منها الكثير من المجتمعات العربية، فقد فقد الجدار معناه الجمالي في عديد من البيئات العربية بسبب الحاجة الملحة للتسترّ ولحفظ أسرار وممتلكات البيت من فضول وتغوّل الآخرين، فتطاولت عليه الأسلاك الشائكة، وأصبحت الكثير من البيوت مثل صناديق حديدية عملاقة، وباتت تفتقر بشدة لحائط مثاليّ، أو مشربيّة معاصرة.

يسمى أيضاً بالفن التصوري، وأحد أعضاء جماعة فن ولغة التي تحاول ربط اللغة بالفن، حيث يُظهِر عمله «السر» العائد إلى عام 1967م، إطاراً مربعاً أسود، وبجانبه إطار أبيض كُتب عليه: «مضمون هذه اللوحة غير مرئي، الشخصية والبُعد في المحتوى صمم ليبقى سرياً وبشكل دائم، وغير معروف إلا للفنان».

وتواصل الفنانة الكوبية إلسا مورا المولودة في العام 1971م والمقيمة في مدينة نيويورك مسيرة اختيار مسمى «السر» لإحدى لوحاتها التي تظهر فيها عصفورة تبوح بسر لطفلة يبدو عليها الحزن. ومن الفنانات المعاصرات اللواتي اهتممن بالسر في أعمالهن الفنية الفنانة البريطانية أنجيلا ليون في لوحتها «سرّنا» التي يعود تاريخها إلى عام 2010م.



السر في شعر الأقدمين والمعاصرين

تزخز دواوين العرب - أقدمها وأحدثها- بأشعار من شتى الأصناف والطبقات والجماليات، تعكس كلها مكانة السر في حياتهم وخطورة التهاون في حفظه. وهنا مقتطفات منها مثالاً لا حصراً:

يقول البغدادي:

صُنِ السرَّ بالكتمانِ يُرضيك غبُّه
فقد يظهرُ المرءُ المضِيعَ فيندمُ
فلا تلجئنْ سرًّا إلى غيرِ حرزِه
فيُظهرَ حرزَ السوءِ ما كنتَ تكتمُ

ومن واقع خبرته يقول أنس بن أسيد:

ولا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت وشاة الرجال لا يتركون أديماً صحيحا

وكان جرير يقول:

كانت إذا هَجَر الخَليل فِرَاشَها
خُزِنَ الحَدِيثُ وعفَّت الأسرارِ

وينعى الحلاج أخلاق هاتكي الأسرار:

مَن ساروره فأبدى كلّما ستروا ولم يراع اتّصالاً كان غَشَّاشا
إذا النفوس أذاعت سرّ ما علمت فكل ما خلت من عقلها حاشا
من لم يصن سرّ مولاه وسيّده لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

ويقول بعض الشعراء:

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

ويقول آخر عن قرار البوح بالسر للغير:

فلا تنطق بسرك، كل سرٍّ إذا ما جاوز الاثنين فاشي

ويصور أبو الطيب المتنبي احتفاظه بسر غيره بعقل لا يصل إليه السُّكر ولو شرب الخمر:

وللسر مني موضع لا يناله نديم، ولا يفضي إليه شرابُ

ويستكشف أبو العتاهية وجوه الأسرار عندما تنطوي في القلوب:

إنّ القلوبَ إذا طَوَت أسرارَها أبْدَتْ لكَ الأسرارَ منها الأوْجُهُ

ويحكي عبد الغني النابلسي مفارقة الإسرار والإفشاء قائلاً:

تستر السرّ بإفشائه كالموج منسوب إلى مائه
ليس كلام القوم رمزاً ولا إشارة منهم بإيمائه

ويمكننا البدء بعلي الجارم لنصل بين جيل الشعراء العرب الأقدمين والأحدثين الذين تسربل السر بأحرف قصائدهم.

يقول الجارم:

والحبُّ سِرٌّ من الفِردوسِ نَبْعَتُهُ وخير ما يحفَظ الأسرارَ كتمان

أما إيليا أبو ماضي فيتجلى انبهاره بأسرار الكون في قصيدته «الأسرار» حيث ينتهي به مقام الجمال:

بادٍ ويعجز خاطري إدراكه وفتنتي بالظاهر المتواري!

وأحمد مطر في احتراساته السياسية المتواصلة يخشى على السر من السر:

أمارس دائماً حرية التعبير في سري وأخشى أن يبوح السر بالسر

ويرسم عبدالوهاب البياتي في رسالته إلى أرنست همنجواي النهاية لحياة السر:

لا تسأل عن الحُب فالناس يمضون ولا يأتونَ
والسر على شفاهنا انتحر

قالوا في السر

«يُقاس حجم السر بقيمة الشخص الذي نخفيه عنه».
كارلوس زافون

«إنَّ سِرَّك من دمك، فانظر أين تريقه».
أكثم بن صيفيّ

«ما وضعت سرّي عند أحد أفشاه عليّ فلمته، فأنا كنت أضيق به حين استودعته إيّاه».
عمرو بن العاص

«لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار».
جبران خليل جبران

«كشف المرء سره حماقة، وكشفه سر الآخرين خيانة».
فولتير

«الصدور خزائن الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره».
عمر بن عبدالعزيز

«إن أصعب سر يحتفظ به الإنسان هو رأيه الخاص في نفسه».
مارسيل بانول

أمثال وحكم في السر

إذا تجاوز السر ثلاث آذان انتشر.
مثل باسكي

حفظك لسرك أوجب من حفظ غيرك له.
مثل عربي

تجنب الذين يأتمنونك على الأسرار الصغيرة، فهم يريدون منك اجتذاب الكبيرة.
مثل فرنسي

ما قيل على المائدة ينبغي أن يبقى تحت غطائها.
مثل باسكي

من يحبل في السر يلد في العلانية.
مثل تركي

السر أمانة.
مثل عربي

سر الثلاثة، سر الجميع.
مثل فرنسي

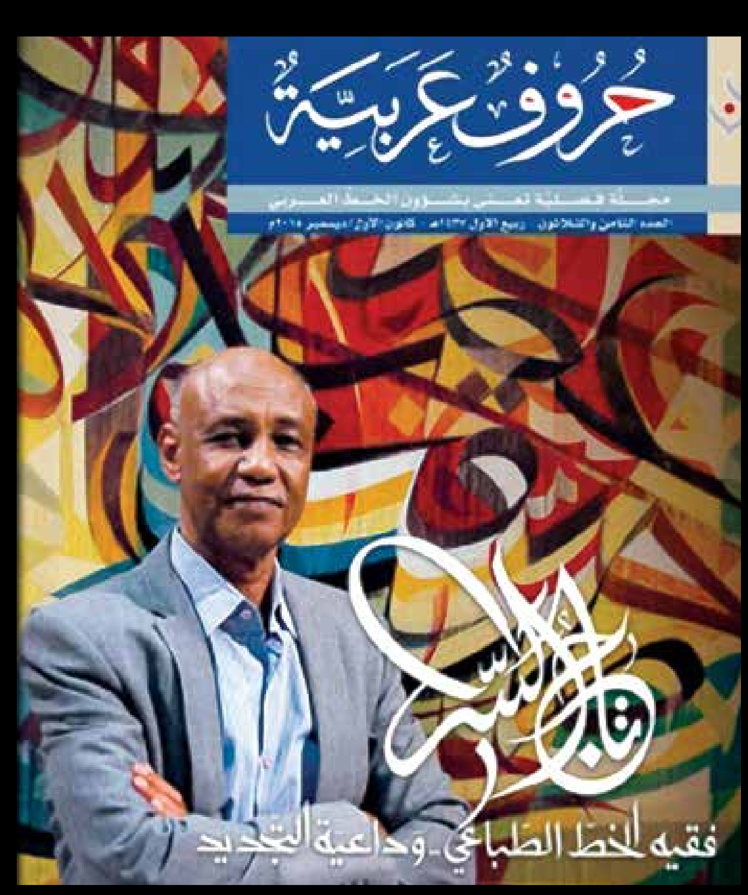
صدرك أوسع لسرك.
مثل عربي

من لا يعرف الكتمان لا يعرف الحكم.
مثل لاتيني

وللسر: تاج، ختم، ولسانٌ وشفتان

سيبدو من الغريب أن يقف (السر) أمامك متمتعاً بكل المقوّمات التي تجعل منه كائناً بشرياً، لكنه أمر اعتيادي في بلد مثل السودان؛ فهو البلد الوحيد في العالم العربي الذي يحظى فيه السر باهتمام واحترام للدرجة التي يحرص فيها كثير من السودانيين على تسمية مواليدهم به. يعود شغف السودانيين بالتسمية بالسر، إلى الأجواء الصوفية التي كانت وما زالت تؤثر على الحياة الاجتماعية في السودان، وينبع اسم السر من الموروث الصوفي الذي يكثر فيه مدح المتصوفة بعلمهم بأسرار المعرفة، ومع انتقال السر من المعرفة إلى العارف به، أصبح السر لقباً لأعلام المتصوفة، ثم وجد الاسم طريقه إلى الكثير من العائلات السودانية حباً لأولئك الصالحين وصلاحهم. ولا يتسمّى السودانيون بالسر فقط، بل يزيدون عليه صفات أخرى، كتاج السر، وسر الختم الذي كان في بادئ الأمر (الختم) لقباً اشتهر به مؤسس الطريقة الختمية في السودان الشيخ محمد عثمان الميرغني، ثم ظهر اسم (تاج السر) لقباً أيضاً وأداة للتمييز بين الأسماء المتشابهة في الاسم الواحد، كانت في البداية مجرد ألقاب للزعماء الدينيين إلى أن أصبحت في حد ذاتها من الأسماء الشائعة في السودان.

وقد اشتهر بهذه الأسماء كثير من الزعماء والسياسيين والفنانين والأدباء في السودان، منهم من زعماء الختمية الشيخ محمد عثمان تاج السر الميرغني، والشيخ محمد سر الختم الميرغني، ورئيس الوزراء السابق سر الختم الخليفة، والصحافي السر سيد أحمد، والشاعران الغنائيان السر قدور، وتاج السر عثمان، والشاعر تاج السر الحسن الملقب بشاعر «آسيا وإفريقيا»، والفنان التشكيلي تاج السر حسن المعروف بعميد الخطاطين السودانيين، والروائي أمير تاج السر صاحب «صائد اليرقات» الرواية التي وصلت للقائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية في العام 2011م.



الخطاط تاج السر حسن



الروائي أمير تاج السر



الشاعر تاج السر الحسن



الصحافي السر سيد أحمد



رئيس الوزراء السابق سر الختم الخليفة

ويكيليكس ثم بنما

أضخم تسريب للأسرار في التاريخ



بمراهقة امتزجت بحب القرصنة، بدأت رحلة أشهر تسريب مستمر للوثائق شهدها العالم مع الصحافي والمبرمج الأسترالي جوليان أسانج. فبفضله، أصبح «ويكيليكس» عنواناً لأشهر القضايا المتصلة بالأسرار والمعلومات والأمن القومي في عشرات من دول العالم، نظراً لضخامة الوثائق السرية المعلنة - أكثر من مليون وثيقة منذ البداية - ولحساسيتها وتأثيراتها الكبيرة.

ويبدو أن «وثائق بنما» المسربة من شركة موساك فونيسكا للخدمات القانونية في بنما، سوف تتفوق على «ويكيليكس» في ضخامة عدد الوثائق السرية الذي يقارب 11 مليون وثيقة مسربة. تختلف وثائق بنما عن ويكيليكس في عدد المؤسسات الإعلامية التي شاركت في هذه المهمة التسريبية، حيث تمت العملية بعد تحقيق دام عاماً كاملاً شاركت فيه أكثر من مئة مؤسسة إعلامية، لتخرج بعدها بمعلومات سرية حول غسيل أموال وتهربات ضريبية تتعلق بعدد كبير من أصحاب الرساميل الكبرى في مشارق الأرض ومغاربها.

أما صدقية محتويات هذه الوثائق من أسرار، فتبقى بدورها سراً، إذ حامت شكوك كثير حول صحة ما ورد في كثير منها. وتم تفنيد بعضها تماماً. حتى إنّ الدافع الحقيقي لإفشاء هذه الأسرار، هو بدوره سرٌ لم يكشف عنه حتى الآن.



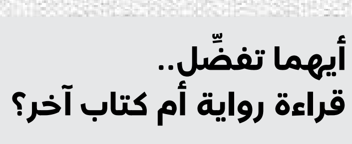
الصندوق الأسود

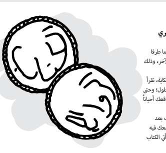
كاشفُ أسرارٍ 30 يوماً فقط

يتأزم الحديث عن تحطم أي طائرة بشكل مفاجئ بالحديث عن الصندوق الأسود الذي يفترض أن يحتوي على سر سبب التحطم. وكما أن الصندوق الأسود الموجود في كل أنواع الطائرات هو في الحقيقة برتقالي اللون ليسهل العثور عليه في حال تحطم الطائرة، فإن البيانات المسجلة عليه ليست مجرد معلومات، ولكنها في الحقيقة أيضاً أسرار يُرجَى منها الكشف عن غموض كثير من حوادث الطيران التي لم يتم التأكد من أسبابها. وللعثور المبكر على الصندوق الأسود أهمية قصوى لأنه يصير بلا فائدة إذا تجاوز البحث عنه ثلاثين يوماً، حيث تنتهي مدة صلاحيته ككاشف للأسرار، ويضيع سر الكارثة إلى الأبد.

دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع قطاع المعلِّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.





الرواية أم كتاب آخر؟

«هل تفضل قراءة رواية أم كتاب آخر؟» هو السؤال المطروح في زاوية «بداية كلام»، متجاوزاً أزمة القراءة ليغوص في الاختيارات الفردية عند المهتمين بالقراءة ومكانة الرواية عندهم.

شكسبير

لمناسبة مرور أربعمائة سنة على وفاة الأديب الإنجليزي وليم شكسبير، مقالة في القسم الأدبي تتطرَّق إلى الشكوك التي تحيط بحياة هذا الكاتب المسرحي والشاعر العظيم، وما إذا كان هو فعلاً كاتب كل هذه المسرحيات الخالدة.

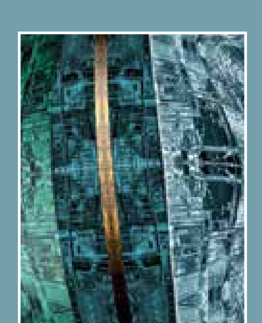
مطاعم المستقبل

في قسم الحياة اليومية موضوع مثير للخيال بعنوان «مطاعم المستقبل: خدمة من دون لمسة شخصية»، يتناول التغيرات المرتقبة في عالم المطاعم بفعل الاعتماد المتزايد على الآلة.



السرّ

هو موضوع ملف هذا العدد، ويتضمن عرضاً لماهية الأسرار وحتمية وجودها في حياة كل منا، وتركيزاً على جوانب أخلاقية ترتبط بحسن التعامل مع أسرار الآخرين، وغير ذلك الكثير مما يمكنه أن يكون محور نقاش.



القافلة

Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine

A Saudi Aramco Publication

July - August 2016

Volume 65 - Issue 4

P. O. Box 1389 Dhahran 31311

Kingdom of Saudi Arabia

www.saudiaramco.com



Saudi Aramco website



Qafilah website